BIRZEIT UNIVERSITY
Birzeit, Palestine

عنوان الرسالة

التعبير "الهوياتي" الثقافي السياسي في المخيم: مخيم الدهيشة نموذجاً

The 'Identifiable' Cultural and Political Expressions in the Camp: Al- Dheisheh Camp as a Case Study

مقدمة من الطـالبة: وسـام محفوظ

بإشراف:

د.أحمد جميل عزم و د.لورد حبش

تاريخ مناقشة الرسالة

2016

BIRZEIT UNIVERSITY
Birzeit, Palestine

عنوان الرسالة

التعبير "الهوياتي" الثقافي السياسي في المخيم: مخيم الدهيشة نموذجاً

The 'Identifiable' Cultural and Political Expressions in the Camp: Al- Dheisheh Camp as a Case Study

مقدمة من الطـالبة: وسـام محفوظ

لجنة المناقشة

د.أحمد جميل عزم و د.لورد حبش/ إشراف

د.رنا بركات

د.مصلح كناعنة

"قدِمَت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في الدراسات الدولية من كلية الدراسات العليا في جامعة بيرزيت، فلسطين"

2016

مقدمة من الطالبة:

وسام محفوظ

التعبير "الهوياتي" الثقافي السياسي في المخيم: مخيم الدهيشة نموذجاً

The 'Identifiable' Cultural and Political Expressions in the Camp: Al- Dheisheh Camp as a Case Study

2016

لجنة المناقشة:

المشرف

د.أحمد جميل عزم ..... و د. لورد حبش .....

أعضاء لجنة النقاش:

د. رامي بركات ..... د. مصلح كناعنة .....

الإهداء

إلى ذلك الأمل... الرافض للغياب، البعيد على مرمى عين، والقريب على مرمى عُمْر....

إلى أخي كامل، لأنك جعلتني أرى الطريق فوجدتنا، برغم كامل النقصان حولي.....

إلى ابتسام ورهام، لعل في كلماتي المثخنة بكل ما تعرفون ونتشارك، ما يقيم وَتَدْ.....

إلى القادرين وحدهم على إدارة وجه حنظلة... إلى المثخنين أبداً وأمداً بكل شيء... والمشبعين ألماً... وممتلئين أملاً... إلى اللاجئين الفلسطينيين أينما ارتحلوا.....

الشكر

إلى معلمي الأول ومشرفي د. أحمد، أشكرك على إيمانك بي وعلى كل صبر وجهد وفكر لم تؤله لتقدمه لي.....

إلى د. لورد، أشكرك على لفتتك الجميلة.....

أساتذتي ومشرفيي الأفاضل، شكراً لأنكم آمنتم بقدرتنا على أن نكون يوماً ما نريد.....

لكل من قابلت خلال بحثي من مدراء مدارس ومراكز ومسؤولي أنشطة وطلبة، لولا تعاونكم لما كان شيء ليُخَط.....

إلى الدهيشة، أهلاً ومخيماً وجدراناً، شكراً لأنكم فتحتم لي أبواب ونوافذ مخيمكم المليء على آخره بكل شيء.....

"والهوية؟ قلتُ

فقال: دفاعاً عن الذات...

إن الهوية بنتُ الولادة،

لكنها في النهاية إبداع صاحبها،

لا وراثة ماض.

أنا المتعددُ...في داخلي، خارجي المتجدد...

لكنني، أنتمي لسؤال الضحية،

لو لم أكن من هناك

لدربتُ قلبي على أن يربي هناك غزال الكناية

فاحمل بلادك أنى ذهبت"[1]

[1] محمود درويش، *قصيدة طباق إلى إدوارد سعيد من ديوان كزهر اللوز أو أبعد* (بيروت: مؤسسة رياض الريس للنشر والتوزيع، أيلول/ سبتمبر2015)، 183، 184.

قائمة المحتويات

الإهداء .....

الشكر .....

قصيدة "طباق إلى إدوارد سعيد" .....

قائمة المحتويات .....

ملخص .....أ

Abstract .....ج

مقدمة .....و

1- إطار نظري ومنهجي: العلاقة بين الثقافة والهوية والصراع.....1

1-1 النظرية البنائية والبعد الثقافي في الصراع 4

1-2 الثقافة والمنتجات الثقافية في الصراع 10

1-2-1 الفن كأداة مقاومة 14

1-3 الهوية والصراع 19

1-3-1 الهوية.....19

1-3-2 تغير الهوية.....22

1-3-3 تعريف الهوية.....23

1-3-4 كيفية دراسة الهوية.....25

1-3-5 مستويات الهوية والتعبير عنها.....29

1-3-6 البعد المتخيل في الهوية.....31

1-3-7 الهوية والمشاعر المعبر عنها في حالة المقاومة.....34

2- الهوية الفلسطينية 39

2-1 خصوصية الحالة الفلسطينية 44

2-1-1 اتجاهات حول نشأة الهوية الفلسطينية.....46

2-2 اللاجئون الفلسطينيون والهوية 54

2-2-1 هوية اللاجئين وأثر اللجوءعلى هويتهم.....54

2-2-2 المخيم كمكان "إنتاج هوياتي" ولصيانة الهوية.....57

2-3 الهوية الثقافية الفلسطينية 61

2-3-1 خصائص الفن الفلسطيني.....66

3- مخيم الدهيشة...تجليات الهوية الثقافية.....70

3-1 الأبعاد المتخيلة والرمزية في تكوين وتوكيد الهوية عند لاجئي الدهيشة 71

3-2 المشاعر التي تصوغ الهوية عند لاجئي الدهيشة 82

3-3 تداخلات الهوية الفلسطينية ومستوياتها والتعبير عنها لدى لاجئي الدهيشة 95

3-4 أثر اللجوء على الهوية في الدهيشة (قضايا اللجوء وحق العودة والمخيم).....107

خاتمة.....119

ملحق الأشكال (اللوحات والفعاليات) 127

ملحق خاص بالمقابلات (ملخص المقابلات) 151

المراجع 156

ملخص:

تشكل بيئة مخيمات اللاجئين الفلسطينيين، وضعاً استثنائياً عن باقي البيئات المحيطة، لما تتميز به من صفات خاصة ومختلفة خلقتها حالة اللجوء نفسها، والتي كانت قد تشكلت بفعل الاحتلال وحدوث حدث مفصلي كالنكبة في حياة الفلسطينيين، مما أدى بدوره للتأثير على مختلف تفاصيل حياة الفلسطيني وهويته. ومع وقوع الفلسطينيين بفعل الاحتلال ضمن دائرة صراع لا يزال مستمراً، ومع تحولهم لأفراد لاجئين بسبب ما أنتجته النكبة من واقع لجوء، يأتي البحث في سياق محاولة لفهم التفاعل بين الصراع وتداعياته وهوية اللاجئين، وذلك بالأخذ بتجربة سكان مخيم الدهيشة في محافظة بيت لحم، وعبر تحليل التعبيرات الثقافية التي يقدمونها، ليشكل بذلك جزءاً من عملية فهم تأثير الصراع وآثاره على الشعوب الواقعة تحت الاحتلال، أو التي شردت بفعل الاحتلال، فضلاً عن فهم دور الهوية في عمليات الصراع وتجلياته.

تم اختيار مخيم الدهيشة في محافظة بيت لحم كمجتمع دراسة، مع القيام بالبحث في ما تقدمه المدارس(الابتدائية والاعدادية) والمراكز الثقافية في المخيم من فعاليات، حيث تم تحليل عينة من النشاطات والفعاليات الثقافية التي تقدمها، وذلك من خلال قيام الباحثة بعقد مقابلات مع الأفراد ذوي العلاقة؛ مدراء المدارس وبعض الطلاب، ومسؤولي الأنشطة الثقافية في المدارس والمراكز، وتمت هذه المقابلات ضمن زيارات ميدانية للمخيم،كما تم عقد مقابلات أخرى قصيرة إما وجهاً لوجه أو عبر الهاتف وفي فترات متباعدة وذلك لغرض التزود ببعض المعلومات الإضافية لغرض الدراسة.

هذا إضافة إلى أداة الملاحظة العلمية وذلك من خلال التواجد المباشر وحضور الفعاليات في المراكز والمدارس في المخيم، من مثل كلمات الإذاعة الصباحية وحفلات لمناسبات مختلفة وحصص الرسم، والحصول على تقارير ومحاضر اجتماعات لأندية ومدارس في المخيم، وعلى تحليل رسومات ومواضيع الإنشاء وما إلى ذلك من مواد ينتجها الطلبة في مدارسهم، والقيام بتحليل واستقراء الرسائل في كل ذلك من

أجل الوصول إلى النتائج. وقد تم الجمع بين المقابلات التي قامت بها الباحثة، وربطها مع تحليل يستفيد من الدراسات والنظريات المرتبطة بالهوية والثقافة، وذلك لمحاولة الإجابة عن أسئلة الدراسة وفرضياتها.

لقد احتوت الدراسة على ثلاثة فصول إضافة إلى المقدمة والتي تم من خلالها استعراض لأهم النظريات والمناهج لدراسة الصراع من خلال التعبيرات الثقافية، هذا وقد تضمن الفصل الأول الحديث عن العلاقة بين الثقافة والهوية والصراع وذلك من خلال تقديم إطار نظري ومنهجي لدراسة هذه العلاقة، وقد تم اللجوء للنظرية البنائية كمنهج لدراسة الصراع من خلال التعبيرات الثقافية، كما تم الاستناد إلى أطروحات بندكت أندرسون في كتابه "الجماعات المتخيلة...تأملات في أصل القومية وانتشارها"، لدراسة الجانب الخاص في دراسة الهوية، خصوصاً الشق الذي تحدث فيه عن البعد الرمزي والثقافي للهوية، لكونه تحدث عن الشعوب الواقعة تحت الاحتلال وتعبيراتها وهو ما ينطبق على حالة الفلسطينيين وبالتالي على العينة التي تناولتها الدراسة.

وفي الفصل الثاني تم الحديث عن الهوية الفلسطينية وخصوصيتها والاتجاهات المختلفة حول نشأتها، كونها المؤطر الذي ساعد على تحليل تعبيرات الأفراد وبالتالي فهمها ومعرفة ما تحتويه وتعبر عنه، مما مكن من الإجابة عن الأسئلة حول كيفية تعبير الأفراد عن أنفسهم وعن الآخر من خلال تعبيراتهم. أما الفصل الثالث والأخير فقد احتوى على تحليل لمواد الدراسة التي تم الحصول عليها وبالتالي نتائجها من خلال ربطها بالأطر النظرية التي تم الاستعانة بها. وقد تم هذا التحليل من خلال: البحث في البعد المتخيل والرمزي للهوية، وفي مشاعر الهوية التي تتضمنها التعبيرات الثقافية لأبناء المخيم، ودراسة مستويات الهوية المتخيلة المختلفة، وتمازجها ومستوياتها والتعبير عنها لديهم، بدءاً من دوائر الانتماءات العائلية، وانتماءات أبناء المخيم الأصلية التي تعود جذورها لمرحلة ما قبل النكبة، عام 1948، وصولاً للدوائر الفلسطينية والعربية والإسلامية، وصولاً للبحث في أثر اللجوء على الهوية في المخيم (قضايا اللجوء وحق العودة والمخيم).

Abstract:

The camps environment constitutes an exceptional situation from the rest of the surrounding environments, due to elements that were created by the status of refuge itself which was resulted from the occupation, and the occurrence of an articular and important event such as “Al-Nakba” in the lives of the Palestinians, which in turn has affected various aspects of the Palestinian's life and identity. And with the Palestinians being within a cycle of continued conflict because of the occupation, this research comes as an attempt to understand the interaction between conflict and its implications, and refugees identity, by taking the residents of the Deheisheh camp in Bethlehem governorate as a case study, and through analyzing the cultural expressions they are presenting, thus, forming part of the process of understanding the impact of the conflict and its effects on peoples under occupation or displaced by the occupation, as well as on the role of identity in conflict processes and manifestations.

Thus, the need to study the issue of identity in the case of the conflict came through this research, given the specificity of the Palestinian case and the importance of the identity for the Palestinian in his search for himself and in his struggle with the other. Especially that the studies of identity and its manifestations in the case of conflict, especially as the Palestinian-Israeli conflict, is still not in-depth, thus, this study hopes to add a different and new things for the identity and conflict studies.

Al-Dheisheh camp, in Bethlehem, was chosen as a case study, through focusing on what kind of events the schools (elementary and preparatory) and cultural centers in the mentioned camp are presenting, where a sample of presented activities and cultural events were analyzed, through conducting interviews with the related individuals; school principals and some students, the officials of cultural activities in the schools and centers. These interviews were conducted as part of field visits to the camp. Other short interviews were conducted either face-

to-face or over-the-phone in spaced intervals to provide additional information for the purpose of the study.

This is in addition to the scientific observation tool through the direct presence and attendance of events in the centers and schools in the camp, such as morning speeches, concerts for different occasions and drawing classes, get reports and minutes of meetings for the schools and centers, and analyzing and extrapolating drawings and articles/ compositions and other related things that are prepared by the students in their schools, in order to get and achieve the needed results.

And so, within the research, the interviews that were conducted by the researcher were combined and connected with an in-depth analysis of the studies and theories related to identity and culture, in order to try to answer the questions and hypotheses of our study.

The study contains three chapters in addition to the introduction, which presented a review of the most important theories and approaches to study the conflict through cultural expressions. The first chapter discussed the relationship between culture, identity and conflict, by providing a theoretical and methodological framework for studying this relationship, and the "structural theory" has been used as a method of studying conflict through cultural expressions. Benedict Anderson’s theses were also used, which were mentioned in his book “Imagined Communities”, in order to study the part that is related to the study of Identity, especially the chapter in which he spoke about the symbolic and cultural dimension of identity, because he spoke about the peoples under occupation and their expressions, which applies to the situation of the Palestinians and therefore on the sample of the study.

In the second chapter, the Palestinian identity and its privacy, and the different trends about its origins were discussed, being the frame that helped to analyze the expressions of individuals and therefore understand and know what they contain and express, which enabled to answer the questions about: how individuals express themselves and the other through their expressions. The third and final chapter contained an analysis of the study materials which were collected, and

thus their results, by linking them to the theoretical frameworks that have been used.

This analysis was carried out through: Studying the imaginary and symbolic dimension of identity, the feelings of identity that the cultural expressions of the camp's people include, the different Imaginary identity levels, the overlap of the identity, its level and the way of expressing it, starting from the circles of family affiliations, and the original affiliation of members of the camp, -whose roots date back to the pre-Nakba period in 1948-, to the Palestinian, Arab and Islamic circles, and finally studying the impact of asylum on the identity in the camp (asylum, right of return and camp issues).

المقدمة:

يقول بندكت أندرسون أحد منظري الهوية في كتابه "الجماعات المتخيلة...تأملات في أصل القومية وانتشارها":

> من المفيد أن نذكّر أنفسنا بأن الأمم تُلهم الحب، الذي غالباً ما يكون عميقاً منطوياً على التضحية بالنفس. أما منتجات القومية الثقافية– من شعر، ونثر قصصي، وموسيقا، وفنون تشكيلية– فتُظهر هذا الحب بوضوح شديد في آلاف الأشكال والأساليب. ومن جهة أخرى، كم من النادر حقاً أن نجد منتجات قومية مماثلة تعبر عن الخوف والنفور. وحتى في حالة الشعوب المستَعمَرة، التي لديها مبرر فعلي لأن تشعر بالكراهية تجاه حكامها الإمبرياليين، من المدهش أن نرى مدى الضآلة التي يتسم بها عنصر الكراهية في هذه الضروب من التعبير عن الشعور القومي.[2]

يتحدث أندرسون، وهو من أوائل من تحدث عن فكرة ما يعرف "بمدرسة الجماعات المتخيلة" لفهم الهوية ومكوناتها وتعبيراتها، متطرقاً للحديث عنها في كتابه المذكور سابقاً، الذي أسس لمدرسة في التحليل، تبنتها دراسات عدة،[3]حول الموضوع. وقد تحدث بشكل محدد أيضاً عن الجانب المتعلق بتعبيرات الأمم الثقافية والفنية، في حالة الاستعمار وما تتضمنه هذه التعبيرات من مشاعر، بمختلف أدواتها الثقافية والمستخدمة، سواءً في الشعر أو الموسيقى أو الفنون الأخرى.

وإذا كان أندرسون يدرس أثر الصراع على التعبيرات الثقافية للأمم الواقعة تحت الاستعمار، فإنّ هناك من درس أثر الأفكار والهوية، في الصراع وعملياته. فترى النظرية البنائية في العلاقات الدولية مثلاً، والتي ظهرت وتطورت بدءاً من تسعينيات القرن الفائت، بأن "للأفكار القدرة على تحريك الصراع كما لها القدرة

---

[2] ثائر ديب، مترجم، بندكت أندرسون، *الجماعات المتخيلة... تأملات في أصل القومية وانتشارها* (بيروت: قدمس للنشر والتوزيع، 2009)، 143.

[3] مثل دراسة أباهر السقا *التجمعات الفلسطينية وتمثلاتها ومستقبل القضية الفلسطينية- المحور الأول: الفلسطينيون..الهوية وتمثلاتها ضمن سلسلة وقائع المؤتمر السنوي الثاني (1)-* بعنوان "الهوية الاجتماعية الفلسطينية: تمثلاتهاالمتشظية وتداخلاتها المتعددة" *ودراسة شريف كناعنة بعنوان "دراسات في الثقافة والتراث والهوية"*، *ودراسة* Manuel Castells *التي كانت ضمن سلسلة ثلاثيته المعروفة بـ* The Information Age*: Economy, Society and Culture* وحملت الدراسة عنوان "The Power of Identity"، *ودراسة لالا خليلي بعنوان Heroes & Martyrs of Palestine, The Politics of National Commemoration*

على تثبيطه، ذلك أن إدراكها لموضوع معين مرتبط بالجانب المعرفي أكثر من المادي".[4] كما تركز البنائية على "الأفكار والتصورات والافتراضات، التي يتم تقاسمها على نطاق واسع بين الأفراد."[5] ورغم أن التحليل البنائي لا يستبعد متغير مقدار امتلاك القوة، المادية، الذي تركز عليه النظريات التقليدية، مثل "الواقعية"، إلا أن البنائية ترتكز بالأساس"على كيفية نشوء الأفكار والهويات، والكيفية التي تتفاعل بها مع بعضها البعض، لتشكل الطريقة التي تنظر بها الفواعل لمختلف المواقف الصراعية وتستجيب لها تبعاً لذلك".[6]

بهذا هناك شقين لفهم علاقة الهوية بالصراع، وتحديداً صراع في سياق التحرر من الاستعمار، الأول، يتعلق بأثر الصراع والنضال التحرري على الهوية والأفكار والثقافة، كما جاء في كتابات أندرسون، ومدرسة "الجماعات المتخيلة". والثاني، أثر الأفكار في الصراع وعملياته، كما في النظرية البنائية في العلاقات الدولية.

يتسم الصراع الفلسطيني الإسرائيلي بشموليته؛ فيه صراع قائم على القوة المادية، العسكرية، كما أنّ فيه صراع الهوية والثقافة والرواية التاريخية؛ وتنافس على من يقدم براهين على علاقته وأحقيته بأرض فلسطين، ومن يغرس في أجياله المقبلة التزاماً وتمسكاً بأهدافه الجمعية. وبقدر ما يوجد صراع هويّات بين الطرفين، بقدر ما يوجد أيضاً تنوع، ربما داخل كل طرف، بشأن النظرة للهوية. إضافة إلى وجود تغيرات في تعريف الذات وتعريف الأهداف الجمعية، تعتمد وتتأثر الأفكار والتعريفات بالظروف التي عايشها ويعايشها كل طرف والتي تؤثر بدورها على هويته وتعريفه لها. ووصل الأمر ببعض المنظرين، لرؤية نشوء وتطور الهوية، مرتبطاً بشكل أساسي بالصراع، وهي وجهة نظر لا تحظى بإجماع تام.

---

[4] إكرام بركان، "تحليل النزاعات المعاصرة في ضوء مكونات البعد الثقافي في العلاقات الدولية،" *رسالة ماجستير* (الجزائر: جامعة الحاج لخضر باتنة، كلية الحقوق، قسم العلوم السياسية فرع الدبلوماسية والعلاقات الدولية، 2010)، 49.

[5] المرجع السابق، 53.

[6] Stephen M. Walt, "International Relations: One World, Many Theories", *Foreign Policy*, No. 110, SpecialEdition: Frontiers of Knowledge (Spring, 1998): 40, 41

يقول المفكر والناقد الفلسطيني فيصل دراج:

> إن الهوية الثقافية الفلسطينية بدأت بالتشكل مع دخول الفلسطينيين في صراع عملي مع المشروع الصهيوني، ذلك أنه لا وجود لهوية محددة إلا بمواجهة هوية مغايرة لها، تهددها وتمنع عنها الخيار الحر وتقرير المصير. وهذا يعني أن الهوية ليست معطى ثقافياً جاهزاً، بل محصلة لصراع مع هوية أخرى، يعيد بناء عناصرها "الخام" ويدخلها في عملية من التغير والتبدل. فقبل هذا الصراع يوجد "التراث"، الذي يتناقله الأحفاد من الأجداد، بشكل بسيط يأخذ شكل: العادة، كما لو كان الصراع مع "الآخر المهدد" ينقد العناصر الموروثة ويعيد ترتيبها ويغير من دلالاتها.[7]

تقوم هذه الدراسة على تتبع جزء من شق التعبير الثقافي اليومي لجزء من الشعب الفلسطيني، وتحليل الرسائل والمضامين التي تتضمنها هذه التعبيرات من حيث موضوعاتها، وأهدافها، ومن حيث الهوية التي تعبر عنها. حيث سيتم دراسة تعبيرات اللاجئ الفلسطيني "في المخيم"، عن هويته من خلال منتجاته الثقافية، وتحديداً في مخيم الدهيشة الذي يقع داخل الأراضي المحتلة.وهذا يساعد في دراسة عدد من الأسئلة الخلافية، من نوع، كيف تشكلت الهوية الفلسطينية؟ وأثر الصراع فيها؟ وأثرها في الصراع؟

ومن أجل الوصول للإجابات المطلوبة، سيتم بداية تقديم إطار نظري ومنهجي حول الثقافة والهوية في سياق الصراع وذلك من أجل تبيان العلاقة بين الثقافة والهوية والصراع، من خلال الحديث عن النظرية البنائية والبعد الثقافي، وعن الثقافة والمنتجات الثقافية في الصراع، وكذلك الحديث عن الهوية والصراع، وكيفية دراستها وستويات التعبير عنها، إضافة للحديث عن البعد المتخيل فيها والمشاعر المعبر عنها في حالة المقاومة.

كما سيتم اللجوء لأطروحات بندكت أندرسون حول الجماعات المتخيلة والمشاعر المعبر عنها في حالة الاستعمار (واللتان سيتم التطرق للحديث عنهما لاحقاً) وذلك من خلال تحليل مضامين التعبيرات على ضوئهما، وعلى ضوء محاور أخرى كتداخلات الهوية الفلسطينية ومستوياتها والتعبير عنها، حيث أن الفرد

---

[7] فيصل دراج، *الهوية، الثقافة، السياسة- قراءة في الحالة الفلسطينية* (عمان: دار أزمنة، 2010)، 52.

يعبر عن نفسه ضمن مستويات مختلفة ومتدرجة، كالمحلية والوطنية والقومية، فالهوية لديها مستويات عدة، والفرد يقوم بتفعيل المستوى المناسب من هويته (أي مستوى "النحن" المناسب) ضمن سياقات سياسية، واقتصادية، وأديولوجية مختلفة. كما سيتم البحث بأثر اللجوء على الأفراد في المخيم وذلك من خلال تتبع قضايا اللجوء وحق العودة والمخيم في تعبيرات الأفراد لمعرفة مدى وكيفية التعبير عنها لديهم.

تعددت الأبحاث التي قامت بدراسة قضية اللجوء واللاجئين الفلسطينيين بمختلف جوانبها، هذا إضافة للتطرق للحديث عن المخيم كمجتمع دراسة. ومن هذه الدراسات ما قامت بها الباحثة وأستاذة علم الإنسان روز ماري صايغ، والتي كانت إحداها دراسة بعنوان (تجسيدات الهوية لدى مخيمات اللاجئين الفلسطينيين– رؤية جديدة لل"محلي" والـ"وطني")، حيث اختارت مخيمي شاتيلا وجنين كمجتمعات دراسة، وبينت من خلال دراستها بأن "لاجئي المخيمات يشكلون محوراً بارزاً ضمن المقاومة الوطنية، ويشكلون في الوقت ذاته، تشكيلاً جمعياً يتقاطع مع الشريحة الأكبر من اللاجئين الفلسطينيين في الشتات، وينفصل عنها في آن".[8] وهي بذلك تحاول تقديم دلائل حول التعريف بالذات/ التجسيد الناتج عن المجموعات الطبقية، المحلية– الوطنية، استناداً لوضع الإقامة في المخيمات. كما تحاول التأكيد على أن ""للاجئي المخيمات "حقوق جماعة"، حتى وإن لم يكونوا مترابطين بعد بانتظام واتساق واضحين تماماً، الأمر الذي يخولهم لنيل حق التمثيل في المؤسسات الوطنية، وفي مفاوضات التسوية، وفي نظام الحكم الفلسطيني المستقبلي".[9] كما أوضحت الباحثة أن الفلسطينيين في الشتات الفلسطيني مترامي الأطراف "يميلون إلى النأي عن النزعة المحلية، مكتفين بصبغ أنفسهم بأشكال مختلفة من "الفلسطنة"، بينما يميل لاجئو المخيمات إلى تعريف/ تجسيد أنفسهم ببساطة كـ "فلسطينيين"".[10]

---

[8] روز ماري صايغ، *تجسيدات الهوية لدى مخيمات اللاجئين الفلسطينيين– رؤية جديدة لل "محلي" و"الوطني"* (بيت لحم: بديل– المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين، 2009)، 12.

[9] المرجع السابق، 13.

[10] المرجع السابق، 12.

وفي دراسة أخرى للباحث ساري حنفي والمتخصص في سوسيولوجيا الهجرة واللاجئين، بعنوان "إدارة مخيمات اللاجئين في لبنان، حالة الاستثناء والبيوسياسية"، تحدث من خلالها عن المخيمات وكيف نشأت وتأثرت بيئتها وتكوينها بفعل حدث النكبة وكيف غدت كبيئة استثنائية ومنعزلة في بعض المناطق. كما بين أن المخيمات هي أماكن تعتبر الوحدات الرئيسية في تشكيل هوية اللاجئين باعتبارهم فلسطينيين، وفي إعادة إنتاج الهوية في الدول العربية المضيفة. كما تحدث عن اقتصار الحديث عن اللاجئين في المناطق العربية على الذين يقطنون في المخيمات البائسة، دون الحديث عن الذين تم اقتلاعهم من موطنهم والذين يقيمون خارج بلدهم ومنطقتهم.[11]

أما في دراسة أخرى صادرة عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية بعنوان "أمكنة صغيرة وقضايا كبيرة– ثلاثة أحياء فلسطينية في زمن الاحتلال" وشارك في تأليفها مجموعة من الباحثين منهم رلى أبو دحو وليزا تراكي، وتضم دراسات معمقة لثلاثة أحياء سكنية متجاورة في منطقة رام الله وهي مخيم الأمعري، وأم الشرايط والمصيون. حاول الباحثون، ومن خلال مقابلاتهم مع الأهالي في المناطق المذكورة، البحث في مفاهيم القرابة والتضامن الاجتماعي الحديثة والتقليدية في مناطق متمايزة اجتماعياً، وفهم استراتيجيات البقاء والحراك الاجتماعي لدى العائلات والأفراد، وفي مناطق تقع تحت الاحتلال وفي خضم صراعات مختلفة مثل الانتفاضة الثانية (في العام 1999). وعلى سبيل المثال لا الحصر، وفي إحدى النقاط التي عالجتها رلى أبو دحو في دراستها لمخيم الأمعري بعنوان (مخيم الأمعري لا تنازع بين الرغبات المتناقصة: الاستقرار والعودة)، ترى الباحثة بأنه "على الرغم من الوجود في الوطن الكبير فلسطين، فإن ذلك لم يغير في هوية الفلسطينيين كلاجئين، والتي ترى في العودة إلى البلدة والقرية أملاً يجب تحقيقه، وهي عماد تشكل حياتهم وذاكرتهم، لا كأفراد فقط، بل أيضاً كذاكرة وهوية جماعية لهم".[12] كما بينت أن مخيم الأمعري وبعد اتفاقية

---

[11] ساري حنفي، "إدارة مخيمات اللاجئين في لبنان: حالة الاستثناء والبيوسياسية (bio– politics)،" في تجليات الهوية– الواقع المعاش للاجئين الفلسطينيين في لبنان (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية والمعهد الفرنسي للشرق الأدنى (IFPO)، 2010)

[12] رلى أبو دحو وآخرون، *أمكنة صغيرة وقضايا كبيرة– ثلاثة أحياء فلسطينية في زمن الاحتلال* (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، كانون الثاني/ يناير 2010)، 95.

أوسلو[13]، "شهد استنهاضاً قوياً وإصراراً على حفظ الذاكرة عبر سلسلة إجراءات متعددة شملت تشكيل جمعيات تحمل أسماء القرى والبلدات التي هجروا منها".[14]

وفي مؤلف جماعي أصدره معهد إبراهيم أبو لغد للدراسات الدولية، بمشاركة عدد من الأساتذة والباحثين وبعنوان "اللاجئون الفلسطينيون: حقوق، وروايات، وسياسات"، تم الحديث عن مخيمات الضفة الغربية وقطاع غزة، وعن قضايا تتعلق باللاجئين ومجتمع المخيم والعوامل التي أثرت في تشكل هويتهم، وعلى سبيل المثال لا الحصر، خلصت دراسة مجدي المالكي والتي كانت بعنوان (التحول في الهوية السياسية للاجئي المخيمات في الضفة الغربية وقطاع غزة) إلى أن "هوية لاجئي المخيمات قد تحولت ملامحها خلال العقود الماضية منذ عام 1967 تبعاً للظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وتحديداً فترة ما قبل أوسلو وما بعدها".[15]

تبين الدراسات السالفة، أن الدراسات عن اللاجئين الفلسطينيين ركزت في معظمها على مجتمعات اللجوء خاصة في الخارج وأهمها في لبنان (مثل أبحاث روز ماري الصايغ مثلاً) وهي مجتمعات تعيش في ظل الدولة المضيفة، هذا إضافة للدراسات التي تحدثت عن مخيمات اللجوء داخل فلسطين؛ تحت الاحتلال، سواء في الضفة الغربية أو في قطاع غزة، والتي تم التطرق من خلالها للحديث عن قضايا تتعلق باللاجئين ومجتمع المخيم والعوامل التي أثرت في تشكل هويتهم (مثل أبحاث رلى أبو دحو وليزا تراكي ومجدي المالكي وجميل هلال) وأما الدراسات الصادرة عن وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى الأونروا أو عن مركز بديل– المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين، فتناولت في معظمها الجوانب الديموغرافية والاجتماعية للمخيمات الفلسطينية في داخل فلسطين وخارجها. أما الدراسات المرتبطة بالهوية والانتماء فهي قليلة مقارنة بالدراسات الأخرى الخاصة باللاجئين، أو أن

---

[13] إتفاقية السلام بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية، وقعت في مدينة واشنطنالأمريكية في 13 سبتمبر1993، بحضور الرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون.

[14] أبو دحو وآخرون، *أمكنة صغيرة*، 95.

[15] مجدي المالكي، "التحول في الهوية السياسية للاجئي المخيمات في الضفة الغربية وقطاع غزة،" في *اللاجئون الفلسطينيون: حقوق، وروايات، وسياسات*(بيرزيت: معهد إبراهيم أبو لغد للدراسات الدولية، وحدة الهجرة القسرية واللاجئين، جامعة بيرزيت، 2011)، 188.

معظمها لم يتطرق للبحث بشكل معمق في الجانب الثقافي للمراكز الثقافية الموجودة في هذه المخيمات، وما تقدمه من فعاليات وأنشطة تقام بالمخيمات وفي مناسبات عدة، وبالتالي محاولة البحث في مضامينها والقيام بتحليلها رغم وجودها وأهميتها، ومن هنا، فدراسة مجتمع لجوء داخل الوطن وتحت الاحتلال، ومن الناحية الثقافية وخاصة بالتطرق للإنتاج الذاتي لا السياسي، هو الجديد الذي تحاول هذه الدراسة تفحصه وتبيانه.

تهدف هذه الدراسة إلى المساعدة في فهم وضع اللاجئين في المخيم، من حيث تعبيراتهم الثقافية، وتحديداًفهم التعبير الهوياتي الثقافي للاجئين الفلسطينيين في مخيمات اللاجئين، وذلك عبر بحث ميداني،بدراسة حالة "مخيم الدهيشة"، الواقع في مدينة بيت لحم، نموذجاً. وقد كانت الأنشطة والفعاليات الثقافية والإذاعة المدرسية في المخيم، مادة أساسية للدراسة، عبر المشاهدة والملاحظة من قبل الباحثة، وإجراء المقابلات مع القائمين على هذه النشاطات، والمشاركين فيها، بهدف فهم طبيعة التعبيرات الصادرة عن هؤلاء اللاجئين والرسائل التي تنطوي عليها وكيف يعبرون عن هويتهم وأنفسهم وعن علاقتهم بـ "الآخر"، وذلك للتوصل لفهم كيف يتجلى خطاب الفلسطيني القومي والهوياتي والثقافي تحت الاحتلال، سواء من حيث تعريف الذات، أو تعريف الآخر (الاحتلال)، وتعريف العلاقة وأدواتها معه.

إشكالية الدراسة:

تأتي مشكلة الدراسة استناداً وتوضيحاً لما تم طرحه، في كون النشاطات والفعاليات التي يقوم بها الأفراد داخل المخيم هي جزء من السياقات السياسية والاجتماعية لتعبئة الهوية، وبناء مجتمع يشعر بخصوصيته الوطنية والقومية، فتغدو مثل هذه النشاطات بذلك لغة يتم استخدامها للتعبير عن الهوية الوطنية. وبذا، تعتبر قلة الاهتمام والتركيز والبحث في مثل هذه الفعاليات –على أهميتها– جانباً يستدعي الاهتمام وبالتالي تقديم إضافات نوعية مهمة من شأنها أن تعمل على سد هذا النقص ولو قليلاً. وعليه، تغدو دراسة مثل هذه الفعاليات وتسليط الضوء عليها، مهمة لمحاولة فهمها وبالتالي فهم ما تعكسه وتعبر عنه، والذي بدوره يساعد على فهم ما الذي يحاول هؤلاء الأفراد من خلالها قوله وإيصاله وكيف يعبرون بالتالي عن هويتهم وأفكارهم وعلاقتهم بالآخر من خلالها. وكذلك، كيف يتم من خلال هذه التعبيرات، معرفة كيف يمكن لهؤلاء

الأفراد أن "يتخيلوا" رباطاً يجمعهم، ويعملون على تقوية هذا الرباط والانتماء فيما بينهم، كما يتم من خلالها أيضاً، تشكيل صورة الفلسطيني اللاجئ عن نفسه وعن الآخر وعن قضيته لما تحتويه هذه الفعاليات من تعبيرات تعتمد على صورة متخيلة (عقلية) لجوهر الصراع ولهوية الطرف الفلسطيني. كما يتم ترجمتها على شكل وسائل تعبير عن الدواخل تجاه الذات وتجاه الآخر. وبذا، يصبح ما تعكسه هذه النشاطات جزءاً من الهوية القومية، يتم استخدامها كذلك أداة للمقاومة في مواجهة محاولات الطمس والإقصاء والإزالة من قبل الآخر.

ولتحقيق ذلك، كان لا بد من الاستفادة من المنظرين والدراسات التي تطرقت للحديث عن الهوية والأمة وتعبيراتها وخاصة في حالة الشعوب الواقعة تحت الاحتلال، وهو ما ينطبق على مجتمع الدراسة التي بين أيدينا وهو مخيم الدهيشة في بيت لحم، وذلك من أجل فهم موضوع الهوية وأهميتها وكيفية التعبير عنها للخروج بإطار نظري ناظم يمكننا من الاستدلال والتحليل والوصول للنتائج المرجوة.

كما كان لا بد من اللجوء للميدان من أجل استكمال هذا الإطار بجميع جوانبه، فكان أن تم القيام بزيارات ميدانية متعددة وفي أوقات مختلفة للمخيم وتحديداً للمدارس والمراكز الثقافية فيه، بهدف حضور الفعاليات التي كانت تقام، إضافة إلى مقابلة مدراء ومسؤولي المدارس والمراكز الثقافية وبعض الطلبة، للاستفادة منهم وأخذ بعض المعلومات والأجوبة التي تتطلبها الدراسة للإجابة على أسئلتها والوصول إلى أهدافها.

أسئلة الدراسة:

تحاول هذه الدراسة الإجابة عن **السؤال الرئيسي** التالي:

ماهية مضمون الخطاب الفلسطيني الهوياتي الثقافي تحت الاحتلال؟

والإجابة على **الاسئلة الفرعية** التالية:

1- ما الذي تعبر عنه وتعكسه فعاليات الإذاعة المدرسية والنشاطات في المدارس والمؤسسات داخل المخيم، وبماذا ترتبط؟

2- كيف يعرف اللاجئ علاقته بالهوية الفلسطينية وهويات أخرى مثل العربية والإسلامية؟

3- كيف يتم استخدام الفعاليات والانتماء من أجل بناء الهوية الجامعة، وتعبئتها في سياق معركة ضد الاحتلال؟ واستخدامها كأداة مقاومة لمحاربة الآخر الذي يحاول إقصاءه؟

أهمية الدراسة:

على مر أعوام مضت، قام عدد من الباحثين بدراسة مجتمع المخيم، وكما تقول روز ماري الصايغ، فإن معظم الباحثين قاموا بدراسة المخيم "من خلال المؤسسات المُهيمِنة، كالأونروا والحكومة المضيفة، والحركة الوطنية الفلسطينية. ولقد أغفلت هذه البحوث نسبياً على الأقل، الاهتمام بالتنظيمات الذاتية المحلية، بمعنى دراسة تلك الحالات التي يبادر إليها سكان المخيم على طريقتهم بدون توجيهات خارجية".[16] كما وتؤكد الصايغ أيضاً، أن "إهمال المبادرات المحلية هو أيضاً نتاج للخطاب الوطني الفلسطيني، الذي طالما تعامل مع مخيمات اللاجئين كشواهد على النكبة، ومناطق "حاجة"، وأهداف للتجنيد أو للدراسة المكثفة".[17]

وبعد مراجعة أطروحات جامعية والأبحاث والدراسات التي تحدثت عن موضوع الهوية الفلسطينية للاجئين وفي المخيمات، وجد أن هناك قلة في البيانات والدراسات التي تتناول موضوع الهوية من الجانب الثقافي وتحليل ما تحتويه التعبيرات الثقافية للأفراد من مضامين. كذلك هناك قلة في الدراسات التي تطرقت للحديث عن مخيم الدهيشة بشكل خاص في جميع جوانبه، وبذا، جاءت الحاجة لدراسة موضوع الهوية من خلال هذا البحث.

أضف لذلك أنّ دراسة الهوية وتجلياتها في وضع الصراع، نادراً ما تأخذ بعين الاعتبار الإطار النظري المعمق، خصوصاً ذلك المستند لمنهجيات نظريات العلاقات الدولية، وتحديداً النظرية البنائية التي استخدمتها هذا الدراسة إضافة لمدارس نظرية أخرى، ربما تكون شائعة في دراسات الهوية، مثل أطروحات أندرسون، عن "المجتمعات المتخيلة".

---

[16] صايغ، *تجسيدات* الهوية، 21.

[17] المرجع السابق.

منهجية الدراسة:

تتناول هذه الدراسة التعبيرات الثقافية السياسية التي تقدمها المدارس (الابتدائية والاعدادية) والمؤسسات، والتي تعنى بالفئة الناشئة في الغالب، في مخيم الدهيشة، حيث تم تحليل عينة من النشاطات الاجتماعية والفعاليات الثقافية، التي تقوم بها الأندية والمراكز والمدارس، وجرى حصر لأهم القضايا التي تناقشها ومضامينها السياسية وأبعادها.

إضافة لأداة الملاحظة العلمية عبر التواجد المباشر في النشاطات المدرسية المختلفة، ونشاطات مؤسسات تعنى بالناشئة، اعتمدت الدراسة على مقابلات مع الأفراد ذوي العلاقة بالجانب الثقافي إضافة إلى مدراء المدارس وطلبة ومسؤولين عن الجانب الثقافي في المدارس والمؤسسات الثقافية.

أما اختيار مجتمع البحث "مخيم الدهيشة– بيت لحم" نموذجاً لعمل هذه الدراسة، فهو لكون مخيم الدهيشة يتميز بوجود العديد من المراكز الثقافية والمدارس في المخيم وهو ما تفتقر إليه مخيمات أخرى.مع التوضيح مرة أخرى بأن الدراسة هنا تتمحور حول سياق محدد ألا وهو المدارس والمؤسسات. وبذا، لا بد من التأكيد هنا على أمرين: أن اختيار مخيم الدهيشة لا يعني بالضرورة أن ما سينتج عن دراسة هذا المخيم من الممكن تطبيقه على باقي المخيمات، أو أن نتائجه هي بغرض التعميم، فما ينطبق وينتج عن ومن هذه العينة قد لا ينطبق على باقي المخيمات الأخرى وبمختلف أماكنها، كما أن تحديد سياق الدراسة يجعل من المهم القول بأن النتائج قد تختلف لو أجريت الدراسة في سياق آخر كالبيت أو الشارع أو حتى على عينة أخرى بفئة عمرية مختلفة، وعليه، يغدو موضوع التعميم مرفوضاً مع التأكيد على الحاجة لدراسات إضافية أخرى مختلفة أو متشابهة تساعد للوصول للتعميمات المطلوبة أو حتى نتائج أخرى مختلفة.

لقد تم استخدام أداة المقابلة مع أفراد الدراسة المستهدفين في مخيم الدهيشة ضمن زيارات ميدانية للمخيم، كما وتعتمد الدراسة على أداة الملاحظة العلمية المنضبطة خلال حضور الباحثة للفعاليات في المراكز والمدارس في المخيم، وعلى الحصول على تقارير ومحاضر اجتماعات لأندية ومدارس في المخيم، وتحليل

رسومات ومواضيع الإنشاء وما إلى ذلك من مواد ينتجها الطلبة في مدارسهم، والتحليل واستقراء الرسائل في كل ذلك للوصول إلى النتائج.

حدود الدراسة:

مجتمع الدراسة: تشتمل هذه الدراسة على المدارس والمؤسسات في مخيم الدهيشة؛ المدارس الموجودة داخل المخيم وما يشملها من مدراء وطلاب وهيئات اللجان الثقافية، إضافة إلى مراكز ثقافية تقوم بأنشطة ذات صلة بموضوع الدراسة. وجرى اختيار مجتمع الدراسة من خلال الزيارات الميدانية لبعض المدارس والمؤسسات الموجودة داخل المخيم، وهي: مدرسة ذكور الدهيشة (1) و(2) ومدرسة بنات الدهيشة (1) و(2) وكلتاهما تابعتان للأونروا، ومؤسسة إبداع، ومؤسسة ليلك ومؤسسة كرامة، ومقابلة المدراء ومسؤولي النشاطات الثقافية وبعض الطلبة في المدارس وفي المؤسسات المذكورة. ويجدر التأكيد على أنّ حدود الدراسة اشتملت على مدارس ومؤسسات فقط من أجل دراسة الوضع وتحليله فيها، دون التطرق إلى دراسة الحالة ذاتها في البيوت أو الشوارع في المخيم، وبالتالي لا بد من إعادة التأكيد هنا مرة أخرى، أنه لربما لو تم تطبيق الأمر على أماكن أخرى كالشوارع مثلاً، أو حتى لو تم الأمر على نشاطات وفعاليات أخرى، لاختلفت النتائج المذكورة،لأن ما ينطبق على حالة معينة أو مكان معين، قد لا ينطبق ذاته على أماكن أخرى، ومن هنا تأتي فكرة الرفض لتعميم نتائج هذه الدراسة، مع التأكيد مرة أخرى أنها تنطبق على الحدود التي تمت فيها الدراسة، وهي المؤسسات والمدارس في المخيم.

الحدود الزمانية: تم عقد المقابلات وحضور الفعاليات والكلمات الصباحية وحصص الرسم في فترات مختلفة؛ متقاربة ومتباعدة، فقد تم عقد معظم المقابلات في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) 2014، إضافة لحضور فعاليات تزامنت مع أحداث معينة كذكرى الاستقلال وذكرى رحيل الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات، والتي كانت تستمر لمدة ساعة أو أكثر في بعض الأحيان. وكذلك تم عقد مقابلات أخرى قصيرة إما وجهاً لوجه أو عبر الهاتف وفي فترات متباعدة وذلك لغرض التزود ببعض المعلومات الإضافية لغرض الدراسة. هذا إضافة لحضور كلمات الإذاعة الصباحية، ضمن أيام متباعدة، وفي أحداث ومناسبات مختلفة والتي

كانت تستمر لحوالي 10–15 دقيقة، وجرى حضور بعض حصص الرسم المقررة، وكذلك تم الحصول على ملفات اللجنة الثقافية الخاصة بمدرسة ذكور الدهيشة الإعدادية والتي تشمل الأعوام ما بين 1996–2001.

أدوات الدراسة:

تم استخدام أدوات الملاحظة والمقابلة وذلك بعد أخذ الموافقة من قبل المشاركين في البحث. وقد تم حضور الفعاليات والكلمات الصباحية إضافة إلى حصص الرسم، والتي كانت تقوم بها المدارس وكذلك المؤسسات بالتنسيق مع المدراء ومسؤولي اللجان الثقافية، على نحو سمح باستخدام أداة الملاحظة، من خلال رصد الأجواء العامة التي كانت تتم فيها الفعاليات؛ ملاحظة اللباس ومدى تطابقه مع الحدث في بعض الأحيان، وكيفية تهيئة المكان ليتواءم مع الحدث باستخدام الزينة والشعارات وما إلى ذلك، وطريقة التعبير والإلقاء بحسب الموضوع المطروح، طريقة التفاعل مع الحدث والكلمة. أما فيما يخص المقابلات، فقد عُقدتمقابلات شخصية مع المدراء ومسؤولي النشاطات الثقافية في المدارس وفي المؤسسات، إضافة لمقابلة بعض الطلبة في المدارس. وقد تم استخدام أسئلة المقابلة المفتوحة في الغالب مع بعض الأسئلة المغلقة وذلك بحسب السياق. وقد تراوحت مدتها ما بين 30– 60 دقيقة. وقد استُخدم التسجيل في بعض الأحيان أثناء المقابلات بموافقة المقابَلين، هذا إضافة لتدوين الملاحظات والمعلومات. كماوتم عقد مقابلات أخرى قصيرة إما وجهاً لوجه أو عبر الهاتف وذلك لغرض التزود ببعض المعلومات الإضافية.

أما عن المواد والتي تم الحصول عليها من خلال المقابلات أو خلال حضور الفعاليات، فتتمثل ببرامج الفعاليات والأنشطة، والكلمات الصباحية التي تم حضورها في مدرسة إناث الدهيشة الابتدائية ومدرسة ذكور الدهيشة الإعدادية، إضافة للوحات التي أعدها الطلبة خلال حصة الرسم في المدرسة، هذا إضافة إلى سجل اجتماعات اللجنة الثقافية والإذاعة المدرسية التي قامت مدرسة ذكور الدهيشة الإعدادية بتزويدنا بها، والتي تغطي فترات زمنية عدة منذ العام 1996 وحتى العام 2006.

فرضيات الدراسة:

تقوم الدراسة على فرضيتين أساسيتين تستندان إلى ما جاء به بندكت أندرسون، حول الأمم وما تقوم به من إيجاد رابط مشترك ومتخيل فيما بينها، وكذلك حول تعبيرات الأفراد الواقعين تحت الاحتلال وما تتضمنه من مشاعر، حيث تختبر الدراسة، أولاً، فكرة "المتخيل" و"مشاعر الهوية" التي تتضمنها التعبيرات الثقافية لدى الأمم الواقعة تحت الاحتلال، عبر فرضية مفادها بأن: حالة اللجوء والتشرد التي أوجدتها النكبة، دفعت اللاجئين إلى تعريف انتمائهم، ضمن أطر متدرجة لا تتوقف عند المخيم، بل تنطلق إلى الدوائر الفلسطينية والعربية والاسلامية.

الفرضية الثانية، هي أنه وعلى الرغم من وجود الفلسطينيين تحت الاحتلال الإسرائيلي، ورغم ما يمارسه ضدهم من سياسات قمع وظلم، والتي من شأنها أن تخلق حالة من الكراهية والغضب تجاه الآخر، إلا أن تعبيرات الهوية تتفق مع أطروحة أندرسون، بشأن المشاعر التي تصوغ الهوية، إذ يرى بأنه في حالة الشعوب المستعمرة، فإن تعبيراتها بمختلف أشكالها لا تتضمن مشاعر كراهية بقدر ما هي مشاعر تعلق بالطبيعة والصمود والتحدي والارتباط بالأرض.

تعريف بمخيم الدهيشة:

مخيم الدهيشة هو أحد مخيمات اللاجئين في الضفة الغربية، "ويقع إلى الجنوب الغربي من مدينة بيت لحم، وعلى بعد 2.2 كم هوائي منها (المسافة الأفقية بين مركز المخيم ومركز مدينة بيت لحم). يحد المخيم من الشرق والشمال مدينة بيت لحم، ومن الغرب مدينة الدوحة، ومن الجنوب قرية إرطاس".[18] وترعى شؤون المخيم الأونروا.

"تأسس مخيم الدهيشة عام 1949 فوق مساحة من الأرض تبلغ 0.31 كيلومتر مربع ضمن حدود بلدية بيت لحم. وتنحدر أصول سكان المخيم من 45 من القرى الواقعة غرب منطقة القدس وغرب منطقة الخليل. ومثله مثل باقي المخيمات في الضفة الغربية، فقد بني المخيم فوق قطعة من الأرض قامت الأونروا

[18] "دليل مخيم الدهيشة،" فلسطين- القدس: إعداد معهد الأبحاث التطبيقية- أريج (2010): 4.

باستئجارها من الحكومة الأردنية.[19] وبحسب إحصاء الأونروا، فإن هناك "حوالي 13,000 لاجئ مسجل لديها يقطنون المخيم، وأما توزيعهم الديمغرافي بحسب الأعمار فهو كما يبينه الشكل التالي:[20]

التوزيع الديمغرافي:

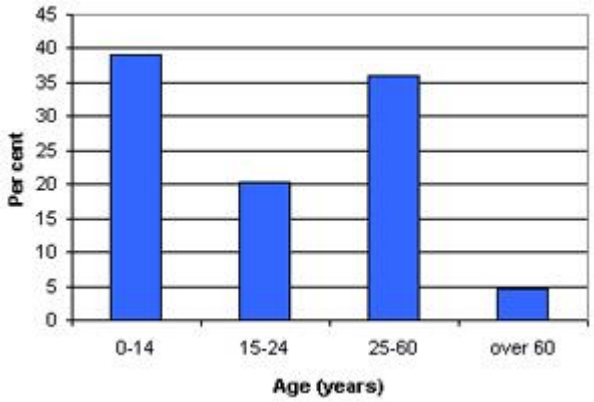

ويوجد في المخيم، "مدرستان، ومركز توزيع أغذية واحد، ومركز صحي واحد تابع للأونروا، وهناك مركز صحي آخر تم تمويله من الحكومة اليابانية، وهو الآن ذاتي التمويل ويعتمد على عائدات المرضى، ومركز تأهيل مجتمعي واحد تابع للجمعية العربية للتأهيل في بيت جالا، ومركز خاص واحد للطفولة، ومركز واحد لبرامج المرأة، يتم تمويله من قبل اللجنة الشعبية في المخيم ومن قبل مؤسسات غير حكومية"[21]. أما برامج الأونروا العاملة في المخيم فهي: التعليم، والإغاثة والخدمات الاجتماعية، وشبكة الأمان الاجتماعي، والتمويل الصغير، والصحة، وبرنامج المال مقابل العمل، وبرنامج الغذاء الطارئ والمساعدة النقدية".[22]

---

[19] الموقع الإلكتروني لوكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى، الرئيسية، أين نعمل، الضفة الغربية، ملف المخيمات، مخيم الدهيشةللاجئين
http://www.unrwa.org/ar/search/google/where%20we%20work%20%D8%A7%D9%84%D8%B6%D9%81%D8%A9%20%D8%A7%D9%84%D8%BA%D8%B1%D8%A8%D9%8A%D8%A9%20camp%20profiles#qt-view__camps__camp_profiles_block

[20] الموقع الإلكتروني لوكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى، http://www.unrwa.org/ar/where-we-work/%D8%A7%D9%84%D8%B6%D9%81%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%BA%D8%B1%D8%A8%D9%8A%D8%A9/camp-profiles?field=3275&qt-view__camps__camp_profiles_block=8#qt-view__camps__camp_profiles_block

[21] المرجع السابق.

[22] المرجع السابق.

قطاع المؤسسات والخدمات في المخيم:

يوجد في مخيم الدهيشة "عدد من المؤسسات المحلية والجمعيات التي تقدم خدماتها لمختلف فئات المجتمع، وفي عدة مجالات ثقافية ورياضية وغيرها، أهمها:

- **اللجنة الشعبية للخدمات:** تأسست عام 1997، من قبل منظمة التحرير الفلسطينية، بهدف الاهتمام بقضايا المخيم، وتقديم الخدمات إلى سكانه.
- **مؤسسة إبداع لتنمية قدرات الطفل والتبادل الثقافي الدولي:** وهي مؤسسة ثقافية، تأسست عام 1994، من قبل هيئة عامة، وهي مؤسسة خاصة بالتدريب المسرحي والفني والأنشطة الثقافية.
- **مركز الفينيق:** تأسس عام 1999، وهو مركز ثقافي وترفيهي".[23]
- **مؤسسة كرامة لتنمية الطفل والمرأة:** مؤسسة غير حكومية أنشئت في العام 2002.
- **مؤسسة ليلك:** مركز العمل الشبابي للتنمية المجتمعية، والتي تأسست في أيار من العام 2005.

مصطلحات ومفاهيم الدراسة:

يهدف تناول المفاهيم والمصطلحات إلى الوقوف على جميع عناصر وتفاصيل وحدود الدراسة، لذا، كان لا بد بداية من إيضاح مفهوم بعض المصطلحات الواردة في الدراسة، لمحاولة مقاربة الفهم وربطه بما ورد من تحليل، وذلك لإتمام الإطار العام لهذه الدراسة.

تعريف اللاجئ:

تُعَرف اتفاقية 1951 "اتفاقية الأمم المتحدة الخاصة بوضع اللاجئين" اللاجئ في المادة 1/ 2 بأنه:

كل شخص يوجد بنتيجة أحداث وقعت قبل 1 كانون الثاني/يناير 1951، وبسبب خوف له ما يبرره من التعرض للاضطهاد بسبب عرقه أو دينه أو جنسيته أو انتمائه إلى فئة اجتماعية معينة أو آرائه السياسية، خارج بلد جنسيته، ولا يستطيع، أو لا يريد بسبب ذلك الخوف، أن يستظل

[23] "دليل مخيم الدهيشة،" فلسطين- القدس: إعداد معهد الأبحاث التطبيقية- أريج (2010): 11.

بحماية ذلك البلد، أو كل شخص لا يملك جنسية ويوجد خارج بلد إقامته المعتادة السابق بنتيجة مثل تلك الأحداث ولا يستطيع، أو لا يريد بسبب ذلك الخوف، أن يعود إلى ذلك البلد.[24]

تعريف اللاجئ الفلسطيني:

تعتبر مسألة تعريف اللاجئ، جوهرية وحاسمة في معالجة قضية اللاجئين، إذ أن تحديد مفهوم وتعريف اللاجئ كما يجب، يترتب عليه تحديد الحماية القانونية التي تتوفر لكل شخص يندرج تحت هذا التعريف وينطبق عليه، وتحدد بشكل واضح من هم اللاجئون وأشخاص حق العودة وأماكن ممارستها تباعاً، إلا أن التعريفات الدولية بما فيها القانون الدولي والأونروا لم يعطوا تعريفاً واحداً ومحدداً لمن هو اللاجئ الفلسطيني.

يطلق الكثير من مفسري القانون الدولي وفقهائه على اللاجئين الفلسطينيين "اسم "المهجرين القسريين" أو "المهجرين الفلسطينيين"، وتعود هذه التسمية بالدرجة الأولى إلى تهجير الفلسطينيين قسراً من جانب الكيان الصهيوني، وإلى تعريف "اللاجئ" الوارد في الاتفاقية الدولية المتعلقة بحالة اللاجئين سنة 1951"[25] السابق ذكرها. وفي سنة 1967، صدر البروتوكول المعدل لاتفاقية سنة 1951، والذي تم بموجبه "إلغاء التاريخ المحدد وأصبح يتساوى بالوضع "جميع اللاجئين" الذين ينطبق عليهم التعريف الوارد في الاتفاقية، بصرف النظر عن التاريخ المحدد بالأول من كانون الثاني/ يناير لسنة 1951".[26]

ولقد عرفت الأونروا، والتي أنشئت بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة سنة 1949، اللاجئ الفلسطيني بشكل أكثر تحديداً. ووفقاً لهذا التعريف فإن اللاجئين الفلسطينيين "هم أولئك الأشخاص الذين كانوا يقيمون في فلسطين خلال الفترة ما بين حزيران/ يونيو 1946 وحتى أيار/ مايو 1948، والذين فقدوا

---

[24] الموقع الالكتروني لجامعة منيسوتا- مكتبة حقوق الإنسان، الاتفاقية الخاصة بوضع اللاجئين، مجموعة صكوك دولية، المجلد الأول، الأمم المتحدة، نيويورك، 1993، 892 http://www1.umn.edu/humanrts/arab/b082.html

[25] مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، حالة اللاجئين في العالم، خمسون عاماً من العمل الإنساني،اتفاقية الأمم المتحدة للاجئين لسنة 1951، (القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، 2000)، الطبعة الأولى ، 23

[26] المرجع السابق ، 23.

بيوتهم وموارد رزقهم نتيجة الحرب العربية- الإسرائيلية سنة 1948. ويملك الذكور من ذرية اللاجئين الفلسطينيين الأهلية للتسجيل كلاجئين فلسطينيين".[27] كما ينسحب هذا التعريف وأهلية تقديم المساعدة من قبل الأونروا في مناطق عملها الخمس؛ سوريا ولبنان والأردن وقطاع غزة والضفة الغربية على الأولاد والأحفاد. وإذا كان هذا التعريف "اقتصر على فئة محددة من الفلسطينيين في الشتات، فإنه يوجد مصطلح آخر هو مصطلح "النازح"؛ وهو يستخدم للإشارة إلى الفلسطينيين الذين تركوا ديارهم نتيجة حرب حزيران/ يونيو سنة 1967 ونزحوا إلى مناطق أخرى، وعلى ذلك فإن الإشارة إلى اللاجئين سنة 1948 يستثني آلاف اللاجئين الآخرين ويضعهم خارج السياق القانوني".[28] وهم بمعنى آخر، "أفراد النازحين الذين يقعون خارج مسؤولية الأونروا وتعريفها والذين يشملون:

1- لاجئون فلسطينيون نتيجة حرب 1948، أصبحوا في أماكن لا تقع ضمن دائرة عمليات الأونروا، كما في مصر وشمال أفريقيا والعراق ومنطقة الخليج.
2- النازحون الفلسطينيون داخلياً، الذين بقوا في المساحة التي أصبحت إسرائيل وكانوا أساساً تحت مسؤولية الأونروا لكنهم استثنوا لاحقاً على افتراض أن إسرائيل تعالج وضعهم.
3- سكان من غزة والضفة الغربية (بما في ذلك القدس الشرقية)، والمتحدرون منهم، الذين نزحوا أول مرة في حرب 1967.
4- أفراد رحلتهم سلطات الاحتلال من الضفة الغربية وقطاع غزة سنة 1967.
5- من أطلق عليهم (القادمون المتأخرون، أي أولئك الذين غادروا الأراضي المحتلة بغرض الدراسة أو العمل أو الزيارة...الخ وانتهت تصاريح الزيارة التي رخصت لهم ومنعتهم إسرائيل من العودة.

---

[27] وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى، عن الأونروا (صادرة عن دائرة العلاقات الخارجية والاتصال- الأونروا- القدس، 2012)، 4

[28] محسن محمد صالح وآخرون، *أوضاع اللاجئين الفلسطينيين في لبنان* (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2008)، 58.

6- فلسطينيون كانوا خارج فلسطين الواقعة آنذاك تحت الانتداب البريطاني حين اندلعت حرب 1948 أو كانوا خارج المناطق مع نشوب حرب 1967 ومنعتهم إسرائيل من العودة".[29]

7- "فلسطينيون ميسورون لجؤوا سنة 1948 لكن كبرياءهم حالت دون تسجيل أنفسهم لدى الأونروا".[30]

أما التعريف الفلسطيني للاجئ، الذي أعده الوفد الفلسطيني في الاجتماع الأول لمجموعة العمل الخاصة باللاجئين في أوتاوا (كندا) يوم 13/ أيار 1992، فقد عرف اللاجئ بأنه: "جميع الفلسطينيين وأنسالهم الذين طردوا وأجبروا على مغادرة منازلهم خلال الفترة الواقعة بين تشرين ثاني/ نوفمبر 1947، وبين التوقيع على اتفاق الهدنة في رودس سنة 1949، في الأراضي التي كانت تحت سيطرة الإسرائيليين في التاريخ الأخير".[31]

ويتطابق هذا التعريف مع التعريف الإسرائيلي للغائبين، وهو تعريف سنّ بالدرجة الأولى لإنكار حق الفلسطينيين بالمطالبة بملكياتهم وعقاراتهم، وبموجب هذا التعريف الصادر في القانون الإسرائيلي في العام 1950 والخاص بأملاك الغائبين، فإن الغائب الفلسطيني هو: "ذلك الشخص الذي كان في الفترة ما بين 29 تشرين ثاني 1947 و19 أيار 1948، مالكاً قانونياً في أرض إسرائيل وكان خلال الفترة المذكورة":[32]

1- مواطناً أو أحد رعايا لبنان، مصر، سوريا، السعودية، شرق الأردن، العراق أو اليمن.

2- تواجد في أحد الدول المذكورة أو في قسم آخر من (أرض إسرائيل) خارج حدود دولة إسرائيل.

3- كان مواطناً إسرائيلياً وخرج من مكان سكناه العادي في (أرض إسرائيل):

أ) إلى خارج أرض إسرائيل قبل يوم 1 أيلول 1948.

---

[29] محمد عبد الحميد سيف، *حق اللاجئين الفلسطينيين في العودة والتعويض في ضوء أحكام القانون الدولي العام* (بيروت: الدار العربية للعلوم- ناشرون، 2002)، 47- 48.

[30] إيليا زريق، *اللاجئون الفلسطينيون والعملية السلمية* (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1997)، 14.

[31] فاطمة خير، "البعد الدولي لقضية اللاجئين،" *مجلة صامد الاقتصادي*، الأردن: دار الكرمل للنشر والتوزيع، العدد 105 (1996): 142.

[32] سيف، *حق اللاجئين الفلسطينيين*، 48، 49.

ب) "إلى مكان ما في أرض إسرائيل الذي سيطرت عليه في تلك الفترة قوات جيوش حاولت منع إقامة دولة إسرائيل أو حاربتها بعد إقامتها. وبموجب هذا القانون فإن عودة الغائب إلى دولة إسرائيل وتواجده في الدولة بشكل قانوني لا يتعارض مع اعتباره غائباً لفرض الملكية".[33]

إن هذا التعريف "لا ينطبق على سكان المخيمات فقط، ولا ينطبق بالتأكيد على أولئك المعترف بأنهم لاجئون ومسجلون لدى الأونروا مع العلم بأن الأونروا لم تمارس قط سلطتها على أكثر من شريحة من إجمالي عدد اللاجئين، ولا يشمل المهاجرين الذين غادروا فلسطين قبل سنة 1947، وإنما يشمل أولئك الذين نزحوا حتى داخل الأراضي التي أصبحت دولة إسرائيل خلال الفترة من 1948– 1949".[34]

كما يشمل هذا التعريف أيضاً "سكان القرى الحدودية في الضفة الغربية الذين فقدوا أراضيهم الزراعية في حرب 1948، وفقدوا بالتالي مصدر رزقهم، لكنهم بقوا في قراهم، ويشمل أيضاً سكان مخيمات اللاجئين في قطاع غزة، الذين إما نقلوا إلى الجانب المصري من رفح، وإما وجدوا أنفسهم منفصلين عن عائلاتهم وذويهم نتيجة رسم الحدود عقب توقيع اتفاقية كامب ديفيد في 17 أيلول 1978 بين إسرائيل ومصر، كذلك يشمل اللاجئين البدو الذين اقتلعوا قسراً من مناطق رعيهم داخل دولة إسرائيل".[35]

المخيم:

لا يمكن فهم المخيم "بمعزل عن المفهوم المكاني لما يحمله من دلالات اجتماعية وسياسية. فهو مساحة من الأرض منحت من قبل الحكومات إلى هيئات دولية (الصليب الأحمر الدولي سابقاً ومن ثم الأونروا) لكي يقيم عليها الفلسطينيون الذين طردوا من مدنهم وبلداتهم وقراهم في فلسطين، وليتم تقديم الخدمات الإنسانية الأساسية لهم".[36]

---

[33] محمود سعيد، *لاجئو الداخل* (رام الله: مركز اللاجئين والشتات الفلسطيني (شمل)، سلسلة دراسات 13، 1999)، 10.

[34] زريق، *اللاجئون الفلسطينيون*، 16.

[35] المرجع السابق.

[36] أحمد عوض، "ثقافة المخيم الفلسطيني في الأردن،" ورقة عمل مقدمة لمؤتمر الهوية والثقافة الوطنية ودورها في الإصلاح والتحديث، عن الموقع الرسمي لمركز الثريا للدراسات والاستشارات والتدريب (الأردن): 4. http://www.thoriacenter.org/project_details.asp?id=99&cat=10

وبحسب تعريف الأونروا فالمخيم هو "عبارة عن قطعة من الأرض تم وضعها تحت تصرف الوكالة من قبل الحكومة المضيفة بهدف إسكان اللاجئين الفلسطينيين وبناء المنشآت للاعتناء بحاجاتهم. أما المناطق التي لم يتم تخصيصها لتلك الغاية فلا تعتبر مخيمات. ومع ذلك، فإن للأونروا مدارس وعيادات صحية ومراكز توزيع خارج المخيمات حيث يوجد تواجد كبير للاجئين الفلسطينيين، كمنطقة اليرموك بالقرب من دمشق في سورية".[37]

كما أن "قطع الأراضي التي أنشئت المخيمات فوقها هي أراض حكومية أو أنها، في معظم الحالات، أراض استأجرتها الحكومة المضيفة من أصحابها الأصليين. وهذا يعني أن اللاجئين في المخيمات لا "يملكون" الأرض التي بني عليها مسكنهم، إلا أن لديهم حق "الانتفاع" بالأرض للغايات السكنية".[38]

لكن المخيمات تجاوزت عمرها الافتراضي، إذ مضى على بعضها ستون عاماً أو أقل. وبحكم التطور الطبيعي "بدأت تختفي ملامح المخيمات بالصورة التي كانت عليها، فقد اختفت الخيام التي اشتق منها اسم المخيم مثلاً. كما أصبحت المخيمات عبارة عن فضاءات ذات ملامح اجتماعية واقتصادية وسياسية خاصة، وانتقل مفهوم "المخيم" إلى دلالات أعمق يعكس الهوية السياسية التي يحملها قاطنوه. ومن هنا برزت رمزية المخيم بما تعنيه من قضية شعب طرد وهجر من وطنه".[39]

النكبة:

لقد كان المؤرخ قسطنطين زريق هو أول من استعمل مصطلح "النكبة" لوصف أحداث 1948 وذلك في كتابه" معنى النكبة" الصادر في آب 1948، لكونها أكثر المصطلحات قدرة على اختزال ووصف ما حل بالفلسطينيين من مأساة في سنة 1948 وهو عام النكبة الفلسطينية، والتي أدت إلى طردهم من أرضهم وتشريدهم خارج بلادهم، وذلك من أجل إقامة دولة إسرائيل على الأراضي الفلسطينية. ويقول زريق في

---

[37] الموقع الإلكتروني لوكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى، الرئيسية، من نحن، اللاجئين الفلسطينيين- http://www.unrwa.org/ar/%D8%A7%D9%84%D9%84%D8%A7%D8%AC%D8%A6%D9%8A%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%84%D8%B3%D8%B7%D9%8A%D9%86%D9%8A%D9%8A%D9%86

[38] المرجع السابق

[39] عوض، "ثقافة المخيم الفلسطيني في الأردن،" 4.

كتابه: "إنّ مئات الآلاف من أهل هذا البلد المنكوب لم يشرَّدوا من بيوتهم ويهيموا على وجوههم فحسب، بل إنّ أفكارهم وآراءهم وأفكار أبناء وطنهم في شتّى منازلهم قد شُرّدت أيضًا وهامت".[40] وقد اشتملت أحداث النكبة على احتلال أراضي الفلسطينيين، وطردهم وتحويلهم إلى لاجئين في أماكن مختلفة حول العالم، كما تعرض الفلسطينيون خلالها للكثير من المجازر وأعمال النهب وهدم لبيوتهم وقراهم، وتدمير للمدن الفلسطينية، إضافة لطرد معظم القبائل البدوية التي كانت تعيش في النقب، "وقد استولت الحركة الصهيونيّة على معظم مساحة فلسطين. حيث أقيمت إسرائيل على 78% من أراضي فلسطين التاريخيّة".[41] ولا زالت آثار النكبة حاضرة في حياة الفلسطينيين، إذ لم يتمكن اللاجئون من العودة إلى ديارهم الأصلية، إضافة إلى استمرار السياسة الاسرائيلية في إنكار حق الفلسطينيين في الأرض وفي العودة والتعويض.

الثقافة الوطنية:

يعرف فيصل دراج الثقافة الوطنية بأنها "جملة الوقائع الثقافية المكتوبة وغير المكتوبة التي تميز الشخصية الثقافية لشعب محدد، فهي تشير إلى تاريخه وتستنهض ذاكرته وتشد أزره في أزمة الحصار، وهي التي تشير إلى مستقبل ينشده وإلى أحلام يتطلع إلى تحقيقها".[42] كما يعرِّف من خلالها "شعب معين ذاته في مواجهة قوة خارجية لا تريد أن تعترف به. ففي شروط حياة عادية ولا حصار عليها لا يكون للثقافة الوطنية مكان، ذلك أنها لا توجد إلا بوجود قوة خارجية تفرض عليها التحدي والمواجهة".[43]

كما يذهب عبد الرحمن منيف إلى القول بأن الثقافة الوطنية هي "محصلة لمجموعة من الروافد والتعبيرات المتضافرة والمتفاعلة والتي تؤدي في النتيجة إلى خلق ملامح وأشكال هي وحدها التي تعبر عن هموم

---

[40] قسطنطين زريق، "معنى النكبة 1948،" في *الأعمال الفكرية العامة للدكتور قسطنطين زريق* (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، المجلد الأول، 1994)، 17.

[41] نور الدين مصالحة، "الذاكرة الجماعيّة: المقاومة المحلّيّة والنضال من أجل العودة، *"مجلة جدل*، حيفا: مدى الكرمل– المركز العربيّ للدراسات الاجتماعيّة التطبيقيّة، العدد 3 (أيار 2009).

[42] دراج، *الهوية، الثقافة، السياسة*، 46.

[43] فيصل دراج، *ذاكرة المغلوبين الهزيمة والصهيونية في الخطاب الثقافي الفلسطيني* (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2002)، 108، 109.

وطموحات شعب معين في مرحلة تاريخية معينة، وهي وحدها التي تعكس المزاج النفسي والاتجاهات الحقيقية".[44]

ويتشابه تعريف منيف للثقافة الوطنية مع ما ذكره سعد الله ونوس حيث يعرفها على أنها "ما يتولد نتيجة الوعي التاريخي المركب على مستويين: مستوى التاريخ المحلي، ومستوى التاريخ الكوني حيث التفاعل مع ما في العالم من اتجاهات وغايات".[45]

وبذا، واستناداً لهذه التعريفات، نجد أن الثقافة الوطنية تعكس تعبيراً جماعياً لأي شعب من الشعوب. كما تعبر عن ما هو موجود في المجتمع من تعبيرات ومعتقدات وعواطف.

الثقافة السياسية:

يعتبر جابريل الموند وسدني فيربا هم من أوائل من وضع تعريف للثقافة السياسية في كتاب "The Civic Culture" حيث قاما بفحص مفهوم الثقافة السياسية بشكل تجريبي وعرفاه على أنه" مجموع التوجهات والمواقف والتصورات السياسية للأفراد في سياق علاقتهم بنظمهم السياسية".[46]

الآخر:

لقد ظهر هذا المفهوم مع الفيلسوف الألماني جورج هيجل، والذي تحدث عن تصورات الآخر. كما كان المنظر الأدبي الفلسطيني إدوارد سعيد، من أكثر الذين تطرقوا للحديث عن الآخر من خلال كتابه الاستشراق المنشور في العام 1978، والذي وضح من خلاله كيف قامت المجتمعات الغربية خاصة فرنسا وإنجلترا بممارسة هذا المفهوم، وذلك بهدف السيطرة على "الآخرين" في الشرق.

---

[44] عبد الرحمن منيف، "الثقافة الوطنية واقع وتحديات،" في *قضايا وشهادات (كتاب دوري)*(دمشق: مؤسسة عيبال للدراسات والنشر، ع 6، شتاء 1992)، 17.

[45] سعد الله ونوس، "الثقافة الوطنية والوعي التاريخي،" في *قضايا وشهادات (كتاب دوري)*(دمشق: مؤسسة عيبال للدراسات والنشر،ع 4، خريف 1991)، 5.

[46] Gabriel A. Almond and Sidney Verba, *The Civic Culture: Political Attitudes and Democracy in Five Nations*(California- Newbury Park: Sage publication, Inc., 1989), 13

وكما يقول دراج، فإن هذا المصطلح يستقي معناه "من علاقة أخرى هي: الأنا. فلا وجود لآخر إلا بوجود أنا تشير إليه وتحدده وتقومه وتأخذ منه موقفاً. ومع أن الحديث عن الأنا والآخر يستلزم، نظرياً، اعترافاً بينهما، فإن هذا الاعتراف، على المستوى العملي، لا ينفصل عن ميزان القوى بينهما، سواء كانت العلاقة بينهما قائمة على القبول أو على الرفض والنزاع".[47]

يتحدث هيجل عن العلاقة بين الأنا والآخر فيقول:

> بأن الرؤية العدوانية تستند إلى اعتبار الغير أو الآخر مخالفاً أو مقابلاً للأنا أو الذات. وبالتالي، فالغير يحاول تغريب الذات وإقصاءها وتهميشها، مع ممارسة العدوان والنبذ والحقد ضدها. فيصبح الغير هنا جحيماً لا يطاق. لذا، تنتقل العلاقة بينهما من مرحلة التعايش والسلام إلى مرحلة العدوان والصراع الجدلي. وهذه النظرة العدائية السلبية غالباً ما تفرز في حالة انتصار أحد منهما إلى ظهور ما يسمى بجدلية السيد والعبد.[48]

ويقودنا الحديث عن العلاقة بين الأنا والآخر، للحديث عن مفهوم الهوية – والتي سيتم التطرق للحديث عنها بشكل مفصل لاحقاً– من خلال إجمالها في جملة بسيطة، مفادها: "إن "الأنا" في ماهيتها علاقة، والعلاقة هذه دائماً مع "آخر" ما".[49] إذ أن هناك "ضرورة لحضور الآخر في الهوية التي تقتضي الآخر منطقياً حتى يتم تمييز الذات عنه"،[50] إذ أن الكائن "لا يتلمس هويته إلا إذا واجه كائناً آخر له هوية مختلفة"،[51] "فلا وجود لهوية إلا بمواجهة هوية مغايرة مهددة، ولا أفق لهوية إلا بمقدرتها على تعديل موازين القوى بينها وبين الهوية الأخرى".[52]

---

[47] دراج، *الهوية، الثقافة، السياسة*، 98.

[48] ناجي العونلي، مترجم، هيجل، *فينومولوجيا الروح* (بيروت: المنظمة العربية للنشر، 2006)

[49] عبد الرحيم الشيخ، "الهوية الثقافية الفلسطينية.."المثال" و"التمثيل" و"التماثل"،" *في سلسلة وقائع المؤتمر السنوي الثاني (1)- التجمعات الفلسطينية وتمثلاتها ومستقبل القضية الفلسطينية- المحور الأول: الفلسطينيون..الهوية وتمثلاتها- الجلسة الثالثة- الهوية الثقافية* (عن المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الإستراتيجية – مسارات، رام الله: مؤسسة الناشر للدعاية والإعلان، أيار/ مايو 2013)، 72.

[50] المرجع السابق.

[51] المرجع السابق. نقلاً عن فيصل دراج، "في الهوية الثقافية الفلسطينية،" *الكرمل*، العدد 50 (1997): 23.

[52] دراج، *الهوية، الثقافة*، السياسة، 8.

كما أن الشعور بالهوية "ليس معطى أولياً في الوعي الفردي، بل حصيلة آلية اجتماعية متداخلة ومتواصلة، وهي عملية بناء اجتماعي بامتياز. وكل هوية تبنى وتحدد بالنسبة إلى هويات أخرى".[53] كما أن هذه المجموعات الاجتماعية تقيم علاقات مع مجموعات أخرى فهي ليست منعزلة. وكما يرى ليفي شتراوس في الهوية باعتبارها "مقراً افتراضياً لا يوجد بصفته هدفاً محققاً، لكننا نؤمن به ونحتاج إلى التعبير عنه بوصفنا فاعلين يتعلمون لنعيش وننشط مع الآخرين".[54]

هذا وسيتم من خلال الدراسة التي بين أيدينا عن مخيم الدهيشة، ومن خلال تحليل الفعاليات التي يقدمها الأفراد داخل المخيم، اختبار هذه الظاهرة، وتحليل للعلاقة بين الطرفين، لبيان كيف يتجلى خطاب "الأنا" و"الآخر" عند الفلسطيني.

الصراع:

يُعَرف معهد هايدلبرغ لبحوث الصراع الدولي (HIIK) الصراعات باعتبارها: تصادم المصالح (اختلاف في المواقف) على القيم الوطنية بين طرفين على الأقل (الجماعات المنظمة، والدول ومجموعاتمن الدول، والمنظمات) والتي تكون عازمة على السعي نحو تحقيق مصالحها وكسب قضاياها".[55]

كما يعرف الباحث الاجتماعي "Lewis A Coser" الصراع بأنه "تنافس على القيم وعلى القوة والموارد، يكون الهدف فيه بين المتنافسين هو تحييد أو تصفية أو إيذاء خصومهم".[56]

---

[53] أباهر السقا، "دراسة سوسيولوجية عن الهوية الاجتماعية للشباب الفلسطيني في مخيمين فلسطينيين،" في *اللاجئون الفلسطينيون: حقوق، وروايات، وسياسات* (فلسطين- بيرزيت: معهد إبراهيم أبو لغد للدراسات الدولية، وحدة الهجرة القسرية واللاجئين، جامعة بيرزيت، 2011)، 202.

[54] المرجع السابق، 202. نقلاً عن Claude Lévi- Strauss, *L'identité: séminaire de college de France* (Paris: PUF Quadriage, 1977).

[55] Heniz Jürgen Axt and Antonio Milososki and Oliver Schwarz, *Conflict– a literature review* (University of Duisburg-Essen: Department of Social Sciences Institute for Political Science: Published by Ganip Gunawan, 23rd February 2006), 3.

[56] بركان، "تحليل النزاعات المعاصرة،" 11.

أقسام الدراسة:

تنقسم الدراسة إلى أربعة أقسام؛ فإضافة للمقدمة وما احتوته من عرض لأهم النظريات والمناهج لدراسة الصراع من خلال التعبيرات الثقافية، سيتم تقديم إطار نظري منهجي في **الفصل الأول** للحديث عن "العلاقة بين الثقافة والهوية في سياق المقاومة" وتأثير الصراع عليهما، كما سيتم الحديث عن "الثقافة والمنتجات الثقافية في سياق المقاومة"، وكيفية دراسة الثقافة كمنهج لفهم الصراع، إضافة للحديث عن "الهوية والصراع"، لبيان دور الصراع في تشكيل وتوجيه الهوية. أما **الفصل الثاني** فسيتم من خلاله الحديث عن الهوية الفلسطينية وخصوصيتها والاتجاهات المختلفة حول نشأتها، كذلك الحديث عن هوية اللاجئين وأثر اللجوءعلى هويتهم، مع الحديث عن خصوصية المخيم كمكان إنتاج هوياتي، ثم **الفصل الثالث** والذي يخص (الهوية ومخيم الدهيشة)، والذي سيتضمن نتائج الدراسة الميدانية الخاصة بالفعاليات والأنشطة التي يقوم بها الأفراد في المخيم، مع إسقاط للاستخلاصات النظرية الواردة في الإطار النظري واختبارها.

1. إطار نظري ومنهجي: العلاقة بين الثقافة والهوية والصراع

سيتم في هذا الفصل تقديم إطار نظري ومنهجي لدراسة العلاقة بين الثقافة والهوية والصراع؛ وذلك من خلال مراجعة مناهج خاصة بدراسة الصراعات (خصوصاً الدولية والإثنية) ذات صلة بالتعبيرات الثقافية، إضافة إلى الجانب الخاص بالهوية وفهمها ومناهج دراستها، خاصة لدى الشعوب الواقعة تحت الاحتلال، وبالتالي إمكانية فهم دلالات ووظيفة التعبيرات التي يقدمها الأفراد داخل المخيم، وفي مقدمة الأطر النظرية في دراسات الهوية، التي تقدم تفسيرات مقترحة لمثل هذه التعبيرات، أطروحات بندكت أندرسون في كتابه سالف الذكر، "الجماعات المتخيلة...تأملات في أصل القومية وانتشارها"، خصوصاً الشق الذي تحدث فيه عن البعد الرمزي والثقافي للهوية.

وللبدء لا بد من القول بأنه قد تعددت المدارس والمنظرون والذين تحدثوا عن الأمم في حالات الاستعمار أو حتى ما بعده فيما سمي بدراسات ما بعد الاستعمار تحديداً؛ فهناك من تحدث عن الهوية وواقعها في ظل الاستعمار، أو عن الثقافة ودور المثقف، وآخرون تحدثوا عن المقاومة وأشكالها، إضافة لمن تطرق للحديث عن المشاعر المعبر عنها في حالة الشعوب الواقعة تحت الاستعمار.

لقد تطرقت دراسات ما بعد الاستعمار للحديث عن سياسات الهوية وصناعة الأمة، كما طرحت مجموعة من القضايا المهمة التي تتحدث عن علاقة الأنا بالآخر، أو علاقة الشرق بالغرب، أو علاقة المستعمِر بالشعوب المستعمَرة. وعند الحديث عن نظرية ما بعد الاستعمار، فلا بد من القول والتأكيد على أن المبشر الأول لهذه النظرية هو (فرانز فانون) بأعماله التأسيسية التي عززها إدوارد سعيد في كتابه المعروف (الاستشراق)، أما الأعمال التعقيبية فتمثلت بأبرز المنظرين مثل هومي بابا وبندكت أندرسون.

هذا وقد وجد خطاب ما بعد الاستعمار مكانه لدى مدارس الفكر التي تعنى بتحليل علاقات القوة، مثل نظريتا أنطونيو غرامشي وميشيل فوكو. وقد أجمعت هذه المدارس على تحليل علاقات القوة غير العادلة التي يمكن تتبعها في المنتجات الثقافية (كالسينما والأدب والفنون). أما غرامشي فيعد المؤسس لمفهوم الهيمنة على الثقافة وذلك كوسيلة للإبقاء على الحكم في مجتمع رأسمالي. أما فوكو فقد ركز في أعماله على

التأسيس المنهجي لمعظم تيارات الخطاب ما بعد الاستعماري، والذي تأثر به سعيد كثيراً، موافقاً له ولأفكاره أحياناً ومختلفاً معه في أحيان أخرى.

هذا ولم يكتف مثقفو نظرية ما بعد الاستعمار بقراءة الخطاب الاستشراقي الغربي، بل حاولوا أيضاً مقاومة المستعمر بكل الوسائل المتاحة رغم اختلافهم باختيار الطريقة الواجب اتباعها وتبنيها، وذلك إما عن طريق المقاومة السلمية أو المسلحة، وهذا ما يظهر جلياً حين الاطلاع على أحد أهم الكتابات في حقل الكتابة الاستعمارية مثلاً وهو كتاب معذبو الأرض/ The wretched of the earth لفانون، والذي يتحدث من خلاله عن العنف الضروري الواجب اتباعه كوسيلة لعملية تفكيك الاستعمار ومقاومته، إذ يؤمن بأن المقاومة المسلحة هي الطريقة الأنجع للتخلص من الاستعمار واضطهاده. أما سعيد مثلاً والذي يقيم روابط بين المعرفة والسلطة، في نقد مؤسسة الاستشراق، مع التأكيد على العلاقة الوثيقة بين الثقافة، وكلّ من المشروع الاستعماري والإمبريالية، فيرى بأن للمقاومة أشكال مختلفة أخرى كالمقاومة الثقافية والتي يراها من أنجع الطرق لمقاومة الآخر مستشهداً بالحالة الفلسطينية للحديث والتأكيد على ذلك.

أما من حيث الهوية، وهي موضوع الدراسة، ودراستها ونشأتها، فيرى البعض أن هناك ثمة أمم "لديها هويات متجذرة وأخرى أقل تجذراً وخاصة دول ما بعد الاستقلال في مراحل التحرر من الاستعمار –إنتاجاً هوياتياً مستلهماً تجارب الدولة الأمة التي صنعها تعميم نموذج الدولة– الأمة والذي أصبح عالمياً. في حين أن الدراسات الحديثة ترى أن كل الأمم قامت بصناعة هويات تتملك التاريخ والهويات القديمة، مثل كتابات نوريل وأندرسون وآخرون عن الحالات الفرنسية والألمانية".[57]

أفكار أندرسون التي طرحها في كتابه المذكور سالفاً والذي تحدّث فيه عن القوميّة وبزوغها في العالم الحديث، وكيف أن الأمّة تتشكّل عبر عمليّات من التخيّللاقت قبولاً من الكثيرين، ورفضاً في الوقت عينه، فقد اتفق العديد من المنظرين مع ما جاء به في أطروحته والتي سيتم الاستفاصة بالحديث عنها في الفصول

---

[57] أباهر السقا، "الهوية الاجتماعية الفلسطينية: تمثلاتها المتشظية وتداخلاتها المتعددة،" *سلسلة وقائع المؤتمر السنوي الثاني (1)– التجمعات الفلسطينية وتمثلاتها ومستقبل القضية الفلسطينية– المحور الأول: الفلسطينيون..الهوية وتمثلاتها– الجلسة الثانية– الهوية الاجتماعية* (عن المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الإستراتيجية – مسارات، رام الله، مؤسسة الناشر للدعاية والإعلان، أيار/ مايو 2013)، 44.

اللاحقة، وخاصة فيما يتعلق بفكرة المجتمع المتخيل، كما ارتكزت العديد من الدراسات على أفكاره. فأباهر السقا وفي دراسة ميدانية قام بها حول مسألة الهوية الاجتماعية لدى الشباب في مخيمي عسكر في نابلس والجلزون في رام الله، يؤكد استناداً لأندرسون مثلاً وفي حديثه عن المخيم كمكان وعن الحدود المتخيلة بين اللاجئين، بأن كل سكان فضاء اجتماعي، "يتخيل أن ثمة هوية خاصة بهم، حيث ينتج المكان هوية جماعية متخيلة للأفراد المشكلين لمجتمع معين، والمخيم كمكان متخيل، باعتباره هو مجتمع متخيل، فالمخيمبالنسبة للكثيرين مكان غير معروف فيزيائياً".[58]

ولعل أحد إسهامات أندرسون التي جعلت من كتابه جزء أساسي من الإطار النظري لهذا البحث، أنّه يتناول "أنماط التخيل"، عند الأمم. وهذا ما توقفت عنده لالي خليلي في دراستها عن "سياسات التذكر القومي"عند الفلسطينيين، وتحديداً اللاجئين منهم، فتقول: في عمله التأسيس حول القومية، فإن بندكت أندرسون يكتب أنّ المجتمعات المتخيلة "لا تتميز بمدى زيفها/ أصالتها، بل بالنمط الذي يجري تخيلها فيه". وتتابع خليلي في توضيح منهجية بحثها قائلة "تبعاً لذلك فإني في هذه الدراسة، أدرس الرواية القومية أو "قصص الشعب"...".[59]

وبذا، وبعد عرض المدارس المذكورة آنفاً وتبيان الأفكار والرؤى التي تقدمها، تبين أن هناك تباين في الآراء، تتشابه أحياناً وتختلف وقد تتعارض في أحيان أخرى بين هذه المدارس، سواء فيما يتعلق بالهوية بشكل عام، أو أشكال المقاومة مثلاً. وإذا ما تم النظر والتعمق بأطروحة أندرسون وما جاء به من أفكار حول المجتمعات الواقعة تحت الاحتلال وما يتعلق بمشاعرها التي تعبر عنها في مثل هذه الحالة أو من خلال فكرة المجتمع المتخيل، تجعل من الممكن الأخذ بأطروحته التي يمكن تطبيقها على عينة الدراسة التي بين أيدينا، وبالتالي القيام باختبار الفعاليات في المخيم وما تعبر عنه على ضوء ذلك، مع الادعاء بأن ما يتم الاحتفال به وتقديمه وعرضه بين الأفراد في المخيم، إنما يبين كيف يعبرون عن أنفسهم وعن الآخر،

---

[58] السقا، "دراسة سوسيولوجية،" 207.

[59] Laleh Khalili, *Heroes & Martyrs of Palestine, The Politics of National Commemoration* (Cambridge-New York: Cambridge University Press, 2007), 3.

وبالتالي يظهرون كيف يتشكل الخطاب القومي لديهم. مع الإشارة بأن استخدام المدارس الأخرى سيأتي لطرح الأفكار والجوانب الأخرى حول الموضوع، لضمان الإلمام بالجوانب جميعها، فمثلاً، للحديث عن نشأة الهوية الفلسطينية –والتي سيتم الحديث عنها لاحقاً–، كان لا بد من ذكر الرؤى جميعها والتي تباينت آراءها حول نشأة وتاريخ الهوية الفلسطينية.

سينقسم هذا الفصل إلى عدة أقسام، تبدأ بالنظرية البنائية، ثم التطرق لموضوع الثقافة والمنتجات الثقافية في الصراع، ثم الحديث عن الفن واستخدامه كأداة مقاومة في وجه الأخر. ومن ثم الانتقال للحديث عن الهوية والصراع مع الخوض في تفاصيل الهوية وما يتعلق بها من حيث تعريفها وكيفية دراستها وتحولاتها ومستويات التعبير عنها، إضافة للحديث عن البعد المتخيل للهوية والمشاعر المعبر عنها في حالة المقاومة.

1-1 النظرية البنائية والبعد الثقافي في الصراع

من المفيد في مثل هذا السياق "الصراعي" استخدام النظرية البنائية في العلاقات الدولية، والتي كانت قد ظهرت في نهاية الثمانينات كانتقاد للاتجاهات التي كانت سائدة في العلاقات الدولية، وقد برزت كتابات عديدة لمنظرين مهمين في هذا المجال والتي ساعدت إلى حد كبير في وضع الأسس لهذه النظرية. وقد كان Nicholas Onuf هو أول من استعمل المصطلح في كتابه (World of Our Making) عام 1989".[60] هذا إضافة إلى ما قدمه وطرحه Alexander Wendt والذي يعتبر أحد أهم منظري البنائية، والذي ارتبط التصور البنائي كثيراً في إسهاماته حيث مثلت كتاباته مرجعية أساسية في دراسة السياسة الدولية، وخصوصاً مقالته الصادرة عام 1992 بعنوان (Anarchy Is What States Make of It: The Social Construction of Power Politics)"[61] وكذلك كتابه الصادر عام 1999 والمعنون بـ(Social

[60] Nicholas Onuf, *Rule and Rules in International Relations* (Erik Castrén Institute of International Law and Human Rights: University of Helsinki, 24 April 2014), 1

[61] Alexander Wendt, "Anarchy is what States Make of it: The Social Construction of Power Politics," *International Organization,* Vol. 46, No. 2. (Spring, 1992): 393

Theory of International Politics)، والذي يعد من أهم الكتب الذي يرى فيه العديد من الأكاديميين مرجعاً للنظرية البنائية، "فقد طرح بشكل واضح الافتراضات الأساسية للبنائية، وعملية تكوين الهوية من خلال العلاقة والتفاعل بين الفاعل والبناء".[62] وقد تزامن ظهور هذه النظرية مع نهاية الحرب الباردة، والتي لعبت دوراً هاماً في بروز النظرية البنائية بسبب "فشل النظرية الواقعية والليبرالية في التنبؤ بنهاية هذه الحرب بطريقة سلمية، كما أخفقتا في استباق هذا الحدث ووجدتا صعوبة كبيرة في تفسيره، مما ساهم في تقوية الاهتمام بالنظريات البنائية باعتبارها تمتلك تفسيراً له، خاصة فيما يتعلق بالثورة التي أحدثها ميخائيل غورباتشيف في السياسة الخارجية السوفيتية باعتناقه أفكاراً جديدة "كالأمن المشترك"".[63]

لقد حاولت البنائية إضافة إلى عنصر القوة، استخدام مفاهيم كالهوية والثقافة والاقتصاد وذلك من أجل تفسير الصراعات الدولية، وهذا ماجعلها إطاراً تفسيرياً أكثر اتساعاً وشمولاً.

تركز المدرسة البنائية في دراسة السياسة الدولية على "الأسس والبنى غير المادية والتي تحكم العلاقات بين الوحدات والأطراف الدوليين. بحيث تقوم على دراسة وتحليل دور الثقافة والأفكار والقيم في العلاقات الدولية، وتتناول بالتحليل دور وأثر المتغيرات النفسية والثقافية والفهم الجماعي المشترك في تشكيل مصالح وأفضليات الدول، جنباً إلى جنب مع الاعتبارات والمتغيرات المادية".[64]

ووفقاً لوندت فإن المدرسة البنائية تقوم على أساسين: "الأول يقول بأن بنية المجتمعات الإنسانية تتشكل وتتحدد بالأساس وفقاً للأفكار المشتركة أكثر منها على القوة المادية. والثاني يقول بأن الهويات ومصالح الأطراف والفاعلين الموجودين في النظام الدولي يتم تشكيلها بناء على هذه الأفكار، وبالتالي فهي ليست حتمية أو هبة من الطبيعة".[65]

---

[62] خالد المصري، "النظرية البنائية في العلاقات الدولية،" *مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية*، دمشق: جامعة دمشق، العدد 2، المجلد 30 (2014): 317.

[63] Walt, "International Relations", 41

[64] Alexander Wendt, *The Social Theory of International Politics* (Cambridge- London: Cambridge University Press, 1999).

[65] ibid*, 1.*

أما من ناحية الثقافة، فتنظر إليها البنائية باعتبارها "نظام متطور من المعاني المشتركة التي تحكم التصورات، والاتصالات والأفعال، والثقافة توفر عناصر من القواعد التي تحدد الحالة والتي تكشف عن الدوافع والتي تحدد استراتيجية النجاح. كما تعتبر أن التحليل الثقافي يعتبر عنصراً رئيسياً في جهودها الرامية إلى تفسير أحداث العالم".[66]

هذا ويؤكد أصحاب هذا التوجه على أهمية الأفكار إلى جانب القوة المادية في تشكيل البنيات، من خلال اعتقادهم "بأن الواقع هو ذو طبيعة تذاتانية وموجود نتيجة الاتصال الاجتماعي الذي يسمح بتقاسم بعض المعتقدات والقيم. أي أن الواقع المادي أو الاجتماعي موجود كنتيجة للمعنى والوظائف التي يعطيها له الفاعلون. فالإدراك أو الفهم الجماعي والمعايير تمنح الأشياء المادية معناً يساعد على تكوين الواقع".[67]

كما أن البنائية ترى "بأن للأفكار القدرة على تحريك الصراع كما لها القدرة على تثبيطه، ذلك أن إدراكها لموضوع معين مرتبط بالجانب المعرفي أكثر من المادي".[68]

أما فيما يخص القوة واستخدامها، فيؤكد البنائيون على أن "إسقاطات القوة ليست مفيدة دائماً، فنمط القوالب الثقافية القائمة قد تؤثر بدرجة أكبر نظراً للتهديدات أو الالتزامات الموجودة، كما أن هناك قضايا ومشاكل لا يمكن حلها بالرجوع إلى القوة، فالقضايا الثقافية وأنواع أخرى من المشاكل المحتملة هي أكثر تعقيداً للتعامل معها بمنطق القوة، كما أن القيم الثقافية هي جزء من الهوية الوطنية والتي هي ليست قائمة على حسابات مادية وإنما قائمة على حسابات عاطفية".[69]

---

[66] بركان، "تحليل النزاعات المعاصرة،" 84، 81.

[67] عزيز نوري، "الواقع الأمني في منطقة المتوسط- دراسة الرؤى المتضاربة بين ضفتي المتوسط من منظور بنائي،" *رسالة ماجستير* (الجزائر: جامعة الحاج لخضر- باتنة، 2012)، 33.

[68] بركان، "تحليل النزاعات المعاصرة،" 49.

[69] المرجع السابق، 84.

ولذلك، ورغم أن التحليل البنائي لا يستبعد متغير القوة (المادية من عسكرية واقتصادية وسوى ذلك)، إلا أن البنائية ترتكز بالأساس "على كيفية نشوء الأفكار والهويات، والكيفية التي تتفاعل بها مع بعضها البعض، لتشكل الطريقة التي تنظر بها الفواعل لمختلف المواقف الصراعية وتستجيب لها تبعاً لذلك".[70]

لقد حاولت البنائية تقديم تفسيرات وتحليلات يتضح من خلالها دور الأفكار وأهميتها في تحديد طبيعة الواقع والتأثير على ممارسات الفاعلين فيه، لذا يرى البنائيون أن الحرب الباردة "هي تذاتانية أكثر منها مادية، مثلاً: القدرة النووية لكل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي تطرح بشكل مختلف بالنسبة لأوروبا الغربية (حسب إدراكها و أفكارها)، هذا إضافة إلى التحول السلمي للاتحاد السوفييتي وذلك بسبب اعتناق الأفكار الجديدة حيث أدت الأفكار والقيم التي تبنتها النخبة الحاكمة آنذاك مع غورباتشوف، إلى تحول الغرب من عدو يجب القضاء عليه إلى طرف قابل للتعايش، هذا إضافة إلى سياسته الانفتاحية على الغرب والنموذج الرأسمالي الذي تبلورت معالمه في البيروسترويكا الجديدة وإعادة صياغة السياسات العامة داخل الاتحاد السوفييتي".[71]

وبذا، يلعب العامل الثقافي دوراً كبيراً "في صياغة السياسات وتشكيل تصورات الفاعلين الدوليين، وسلوكاتهم إزاء مختلف القضايا، وفي توزيع المصالح والأبنية والمؤسسات الدولية والنسق الدولي المرغوب أو المرفوض، ويعكس النسق الدولي إلى جانب توزع القدرات المادية والمصالح توزع الأفكار والثقافات المعبرة عن تعدد التنشئات الثقافية والاجتماعية والسياسية، ويتجلى أثر ذلك في أنماط التفاعلات التي تطبع السياسة الدولية".[72]

---

[70] Walt, "International Relations", 40, 41.

[71] Michel Barnett, "Social constructivism," in *Jhon Bayliss and Steve Smith "The globalization of world politics* (Oxford- Oxford university Press), 3rd ed.: 259.

[72] محمد شلبي، "دور الثقافة في هندسة العلاقات الدولية"، *الموقع الإلكتروني للمركز المغربي متعدد التخصصات للدراسات الاستراتيجية والدولية CMIESI*، مقالات وتحاليل، فاس، http://www.cmiesi.ma/acmiesi/ar/notes_hal.php?id=21344

وبذا، فإن النظرية البنائية تطرح ثلاثة اقتراحات أساسية وهي كالتالي: "أهمية الأفكار إلى جانب القوة المادية في تشكيل البنيات، ودور الهويات وتأثيرها على سلوكات الوحدات ومصالحها، والتداخل بين البنية structure والفاعل "العامل" Agent".[73]

من ناحية أخرى، فإن البنائية لا تعتبر الدولة هي الفاعل الوحيد في السياسة الدولية، وإنما هي مجرد "طرف/ فاعل رئيس بين عدة فاعلين/ أطراف، وهو ما يعني إنه لفهم السلوك الخارجي (أو الداخلي) للدول القومية فيجب الأخذ في الاعتبار المتغيرات والاعتبارات الأخرى مثل سلوك الأفراد المنفردين، والمنظمات المحلية، والإقليمية، والدولية، ومنظمات المجتمع المدني...وغيرها، وطبيعة التفاعل بين هؤلاء الفاعلين، وكيف ينظر كلاهما للآخر، وكيف تساهم هذه الأطراف في صياغة سلوكيات وأفعال الأطراف الأخرى، بالإضافة إلى رصد ما التأثيرات (النوعية والكمية) للسياسات التي تتخذها الدولة، وتداعياتها على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية على الأفراد والمجتمع ومؤسساته، وكيف تؤثر هذه السياسات على عملية تشكيل الأفكار المشتركة للأفراد، وبالتالي على عملية تشكيل هويات مصالح الأطراف/ الفاعلين الموجودين داخل النظام الدولي تجاه هذه الدولة، أو من جانب هذه الدولة تجاه النظام الدولي الخارجي".[74]

عودة إلى إسهام الكساندر وندت في البنائية، فقد اهتم وندت "بالعلاقة بين الأفكار والعوامل المادية في العلاقات الاجتماعية والتفاعل الاجتماعي. واهتمامه هذا جاء لأنه كان يسعى لفهم كيف تتفاعل العوامل المادية والأفكار مع بعضها بعضاً في الطبيعة بشكل عام والعلاقات الإنسانية بشكل خاص".[75]

---

[73] عزيز نوري، "الواقع الأمني في منطقة المتوسط، 26، نقلاً عن
Toru Oga, "From Constructivism to Deconstructivism: Theorising the Construction and Culmination of identities"

[74] أحمد محمد أبو زيد، "الثورة والسياسة الخارجية المصرية الاستمرارية والتغير،" *كراسات استراتيجية* – صادرة عن مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، العدد 229 (2012): 16.

[75] خالد المصري، "النظرية البنائية في العلاقات الدولية،" *مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية*، دمشق: جامعة دمشق، العدد 2، المجلد 30 (2014): 321.

كما يرى وندت "بأن البناء أو الإطار Structure الذي ينتج عن العلاقات الإنسانية يحدد تحديداً كبيراً بالأفكار أكثر مما يحدد بالأمور المادية".[76]

كما أنه يقول بأن "المصلحة والهوية Identity or Interest للفاعل Agent سواء فرد، أو مجموعة أو دولة، تبنى أو تتشكل عن طريق هذه الأفكار المشتركة والتفاعلات المتبادلة أكثر مما تتشكل عن طريق الأمور المادية أو الطبيعة".[77] وبذا، فإن "وندت" ينظر إلى طبيعة العلاقات الدولية من منطلق كونها اجتماعية ناتجة عن القيم والأفكار والقواعد والممارسات والتي بدورها تحكم العلاقات بين الوحدات والبناء، وهي بذلك أهم من البناء المادي أو العوامل المادية. بمعنى؛ أن الدول أو الأفراد كفاعلين باسم الدول، يصنعون العلاقات الدولية بشكلها الذي هي عليه.

أما نيكولاس اونوف Nicholas Onuf فيقدم رؤيته لدراسة العلاقات الدولية وتفسير الأنساق الدولية، من خلال تركيزه على البعد الاجتماعي لدراسة السياسة الدولية، "وينطلق من الاعتقاد القائل: إن الكائنات البشرية هي اجتماعية بطبعها. والعلاقات الاجتماعية هي التي تجعلنا بشراً وتشكلنا في الصورة التي نكون عليها. وفي الوقت نفسه، وخلال الأفعال والكلام، نستطيع استخدام المواد الأولية الطبيعية لجعل العالم ما هو عليه. وهذا يعني أن البنيوية تؤسس على مفهوم أن المجتمع والناس يصنع بعضهم البعض في عملية ذات مسلكين؛ أحدهما يأخذ والآخر يرجع، أي عملية تفاعلية".[78]

ولهذا تؤكد البنائية على أن الأفراد "هم من ينتجون العالم الاجتماعي من خلال تفاعلهم وهو ذو معنى في عقول الأفراد، وبعبارة أخرى، في صلب عمل البنائيين، فهم يؤمنون بأن البيئة الاجتماعية هي التي تحدد من نحن وتحدد هوياتنا ككائنات اجتماعية. كما تركز البنائية على البنية المثالية والفكرية، ذلك أنها تحدد

---

[76] المرجع السابق، نقلاً عن Paul Viotti and Mark Kuppi, *International Relations Theory* (London: Pearson Eduction, Inc., 2011, 5th ed), 389.

[77] المرجع السابق، 322.

[78] شلبي، "دور الثقافة،" 337

معنى وهوية الأفراد".[79] وبالتالي توفر البنائية إطاراً للبحث لا يتوقف عند اعتبار الدولة، أو حتى المنظمات الدولية، والعابرة للدول، وحدات التحليل الوحيدة، بل يهتم أيضاً بالأفراد وأفكارهم.

وبذا، فإن البنائيين يؤمنون "أن مصالح الدولة في جزء مهم قد تم بناؤها من قبل هياكل نظامية ومن مجموعة العلاقات الإجتماعية والتي تقوم على ثلاثة عناصر: تقاسم المعرفة والموارد المادية والممارسة، هذا إضافة إلى تفاعل المصلحة والهوية، داخل العمليات الاجتماعية".[80]

وعليه، ودون إغفال لدور القوة، تؤكد البنائية من خلال أفكارها على أهمية ودور العوامل الثقافية والأفكار في تشكيل هوية الدول والجماعات والمبادئ التي تنظم العلاقات الدولية، أي لا تتطرق إلى الجانب المادي فقط، لأنها تؤمن أن البيئة الثقافية تؤثر في طبيعة الدولة نفسها أو هوية الدولة، كما أنها تهتم بالعوامل الاجتماعية وأهمها مسألة الهوية في سلوك الفاعلين. بمعنى؛ أن ما يهم البنائيون ويركزون عليه هو مسألة التغيير ولاسيما من خلال إيمانهم بدور الأفكار في تشكيل الوعي الإنساني لما يدور حوله.

وعليه، فإن الجديد الذي جاءت به البنائية هو الجمع بين الجانب الصلب (القوة المادية) والجانب اللين من الظاهرة (أي الثقافة، والهوية والمصلحة والأفكار)، وهذا ما قد يبدو ما يميز البنائية ويجعلها إحدى النظريات المهمة التي من شأنها أن تساعد على فهم ظواهر قد تستعصي على مدارس العلاقات الدولية الأخرى.

1-2 الثقافة والمنتجات الثقافية في الصراع:

تعتبر الهويات والمعايير والثقافة من العناصر المهمة والتي تلعب دوراً مهماً في السياسة العالمية، وقد تزايد الاهتمام بالثقافة، وذلك تزامناً مع بروز الاتجاه البنائي والذي يركز كما أسلفنا على أهمية الضوابط والأفكار، فـ "إليزابيث كير" وهي أستاذ مشارك في قسم العلوم السياسية في جامعة واشنطن، والمتخصصة في العلاقات الدولية، "اهتمت بالجانب الثقافي، وعملت على تقديم تفسيرات ثقافية للعقائد العسكرية التي

[79]Nilüfer Karacasulu and Elif Uzgören, "Explaining social constructivism contributions to security studies", Perceptions, *Journal of International Affairs*, (Summer, Autumn, 2007): 32.

[80]Alexander Wendt, "Constructing International Politics,"*International Security,* Vol. 20, No. 1. (Summer, 1995): 72, 73.

سادت بريطانيا وفرنسا".[81] وذلك من خلال كتابها "Imagining War: French and British Military Doctrine between the Wars"، والذي استخدمت من خلاله المنهج الثقافي لبيان أن المنظمات العسكرية تميل بطبيعتها لتبني سياسات وعقائد هجومية، كما وضحت أن ثقافة الجيش تؤثر على خياراته ما بين اختيار مذاهب عسكرية هجومية أو دفاعية. كما أظهرت قدرة وقوة المنهج الثقافي في كونه يقدم بديلاً للتفسيرات العقلانية السائدة في السياسات الدولية.[82]

وفي هذا الصدد، يتحدث الكاتب Marc Howard Ross في دراسته "الثقافة في تحليل السياسات المقارنة"، عن أهمية الثقافة لدراسة السياسة لعدة أسباب أهمها، لربط الهويات بالأفعال السياسية. ويقول أن الثقافة هي نظام من المعاني والذي يستخدمه الناس لإدارة عوالمهم اليومية، كذلك، فإن الثقافة هي أساس الهوية الاجتماعية والسياسية التي تؤثر على كيفية سير الناس وكيف يتصرفون في مجموعة واسعة من المسائل. كما رَكّزَ على فكرة كيفية فهم الناس للأحداث السياسية وكيفية التعبير عنها، وعن عملية استخدام الرموز للتعبير، وكيف يتم استخدام الثقافة في التحليل السياسي لمواجهة الآخر. كما يؤكد بأن التعبيرات الثقافية تعمل على ربط الجماعات وخلق رابطة فيما بينهم. وبأن الثقافة من الممكن أن تكون كجزء من تحليل الظواهر السياسية كتحليل النزاعات والصراعات.[83]

ولا بد بداية من المرور على تعريفات الثقافة، التي طرحها العديد من الباحثين وهي مختلفة ومتنوعة، لمعرفة أهميتها وعلاقتها بالهوية والصراع، ومعرفة المدى الذي أثرت فيه على هوية اللجوء والهوية الفلسطينية، إذ

---

[81] Walt, "International Relations", 42.

[82] Elizabeth Kier, *Imagining War: French and British Military Doctrine between the Wars* (New Jersey: Princeton University Press, 1997).

[83] Howard Ross, Marc. Ed. Mark Irving Lichbach&Alan S. Zuckerman, *Comparative Politics- Rationality, Culture, and Structure/ Culture in Comparative Political Analysis* (Cambridge- New York: Cambridge University Press, 2nd Edition, 2009), 136, 137, 142, 142, 148.

أن الثقافة تعتبر مفهوماً مركباً، شاملاً ومعقداً. وتركز بعض التعريفات على الثقافة "كسلوك، بينما يركز بعضها الآخر على الثقافة كمُثل وقيم مجردة".[84]

يقول شريف كناعنة "أن للناس ثقافة، أي أن لهم أنماطاً من السلوك والتفاعل في حياتهم اليومية".[85] علماً أن "ثقافة الإنسان كلها متعلمة، يتعلمها كل جيل من الجيل السابق، ولا يرثها بالجينات، أو كما يقال بالعامية "بالدم"، وهذا ما يعرف اصطلاحاً بـ"الوراثة الاجتماعية"".[86]

من أبسط تعريفات الثقافة وأكثرها وضوحاً وهو الذي تتبناه هذه الدراسة، تعريف عالم الاجتماع روبرت بيرستد الذي ظهر في أوائل الستينيات حيث يعرفها بقوله "إن الثقافة هي ذلك الكل المركب الذي يتألف من كل ما نفكر فيه أو نقوم بعمله أو نتملكه كأعضاء في مجتمع".[87]

ومن تعريفات مفهوم الثقافة أيضاً ما قدمه عالم الأنثروبولوجي الإنجليزي إدوارد تايلور في كتابه "الثقافة البدائية" الذي نشره في عام (1871م) بأنها "ذلك الكل المعقد الذي يتضمن المعرفة والاعتقاد والفن والحقوق والأخلاق والعادات وكل قدرات وأعراف أخرى اكتسبها الإنسان كفرد في مجتمع".[88]

كما يوجد أيضاً تعريف اليونسكو لمفهوم الثقافة، وينص هذا التعريف وفق إعلان مكسيكو بشأن الثقافة (تموز – آب 1982 المنعقد في إطار جهود منظمة (اليونسكو)، على أنّ الثقافة هي:

> جميع السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية التي تميز مجتمعاً بعينه، أو فئة إجتماعية بعينها، وهي تشمل الفنون والآداب وطرائق الحياة، كما تشمل الحقوق الأساسية للإنسان ونظم القيم والتقاليد والمعتقدات. والثقافة هي التي تمنح الإنسان قدرته على التفكير في ذاته، وهي التي

---

[84] محمدأحمد العجاتي، "أزمة الهوية في الفكر السياسي العربي: دراسة مقارنة في رؤى حسن حنفي ومحمد عابد الجابري،" *رسالة ماجستير* (القاهرة: جامعة القاهرة، 2001)، 14.

[85] شريف كناعنة، "المفاهيم الأساسية للثقافة،" في *الثقافة، الهوية والرؤيا*، إياد البرغوثي، محرر، *وقائع مؤتمر الثقافة الفلسطينية في الداخل: ستون عاماً على النكبة : التحدي و الإنتماء .. الواقع والرؤيا* (عكا: الأسوار للتنمية الثقافية والاجتماعية، 2007)، 20.

[86] شريف كناعنة، *دراسات في الثقافة والتراث والهوية*، عن مواطن، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية (رام الله: مؤسسة ناديا للطباعة والنشر والإعلان والتوزيع، 2011)، 46.

[87] علي الصاوي، مترجم، مايكل ثامبسون وآخرون، *نظرية الثقافة* (الكويت: كتاب عالم المعرفة، 1997)، 9.

[88] العجاتي، "أزمةالهوية،" 14.

تجعل منه كائناً يتميز بالإنسانية المتمثلة في العقلانية والقدرة على النقد والالتزام الأخلاقي، وعن طريقها (الثقافة) نهتدي الى القيم ونمارس الاختيار، وهي وسيلة الإنسان للتعبير عن نفسه، والتعرف على ذاته كمشروع غير مكتمل، وإعادة النظر في إنجازاته، والبحث دون توان عن مدلولات جديدة وإبداع وأعمال يتفوق فيها على نفسه.[89]

ويوضح كناعنة على أن "الثقافة نوعان؛ الرسمية وهي التي تنتقل من جيل إلى آخر من خلال المؤسسات والأجهزة الرسمية.... والثقافة الشعبية فهي النتاج العفوي الجماعي المعبر عن شعور وعواطف وحاجات وضمير أبناء الشعب بشكل عام، وليس النخبة أو المجموعة الخاصة، وتنتقل من جيل إلى جيل، كما تنتشر بين الناس من جماعة إلى أخرى ومن فئة إلى أخرى، بشكل عفوي، مشافهة، أو عن طريق التقليد والمحاكاة والملاحظة".[90] كما يؤكد بأن الثقافة الشعبية "هي من صنع عامة الشعب، نابعة من روح الشعب ومن شعوره وضميره، لها انتشار واسع بين عامة الناس، وهي أسهل على الاستعمال والفهم والحفظ، تعبّر عن العواطف والشعور الشعبي، وهي لذلك قادرة على إلهاب عواطف عامة الشعب واستثارة هممهم".[91] كما أن "كثير من رموزها مادية ظاهرة ملموسة تسهل التعبيرعن هوية صاحبها ببساطة ووضوح، مثل الملابس الشعبية أو الأكلات الشعبية وما إلى ذلك من نواحي الحياة الشعبية".[92]

لكن من المهم القول بأن الثقافة هي أيضاً "سيرورة، لما يحويه هذا المفهوم من جدلية بين الثابت والمتغير، عدا عن أن ثقافة مجتمع ما تتأثر بتغيرات داخلية وخارجية يواجهها هذا المجتمع".[93] تماماً كما أن "محور

---

[89] محمد محفوظ، *الحضور والمثاقفة – المثقف العربي وتحديات العولمة* (بيروت: المركز الثقافي العربي، 2000)، 19.

[90] المرجع السابق، 47.

[91] المرجع السابق.

[92] المرجع السابق، 48.

[93] مسلماني، *النكبة في الخطاب الثقافي الفلسطيني- الفن التشكيلي نموذجاً* (بيت لحم: بديل-المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين، 2007)، 11.

الهوية متغير؛ بمعنى أن الماضي أو الأجزاء التي يتم استحضارها منه، متغيرة من حين لآخر، وربما من مكان لآخر".[94]

1-2-1 الفن كأداة مقاومة:

إن الفن لغة إنسانية مشتركة، تصل للآخرين بدون حدود أو حواجز. وهو جسر يصل الشعوب والأمم بعضها ببعض، دون حاجة إلى تفسير أو تعقيد، "وهو وسيلة للتغيير عندما يكون في الطريق الصحيح، وهو أيضا فعل مقاوم يصبح أكثر تأثيراً بجوار غيره من وسائل المقاومة".[95]

كما أن طموح الإنسان بأن يكون أقرب إلى الاكتمال دفعه إلى اتخاذ الفن "أداة ربط بين ذاته الضيقة والكيان المشترك لأفراد المجتمع، وبذلك وصل إلى فردية اجتماعية وقدرة غير محدودة للالتقاء بالآخرين".[96]

ورغم وجود خصائص لكل شعب تتجسد حتماً في ثقافته، "فالظروف التاريخية تضع بصماتها على الحالة النفسية للشعب في مرحلة تاريخية معينة، وعندما تواجه الشعوب مرحلة تهديد خارجي يصبح مرجحاً أن تتطبع حالتها النفسية العامة بحوافز البقاء والدفاع عن النفس".[97] ما ينتج ما يمكن تسميته ثقافة المقاومة، وتتضمن "أشكالاً تعبيرية مختلفة في كل الأجناس الأدبية وفي الفنون التشكيلية وفي الصورة والفيلم والمسلسل والأغنية والموسيقى والمسرح والتمثيل وكل الفنون التعبيرية الإيمائية الأخرى".[98]

عند الحديث عن المقاومة، فنحن نتحدث عن استعمار، وبالتالي وجود أنا وآخر، مستعْمِر ومستعمَر، وبالتالي عن طبيعة العلاقة التي تنشأ بين المستعِمر والمستعمَر، إضافة إلى التأثيرات التي يتركها كل طرف في الآخر، كما ولا يمكن لنا الحديث عن المقاومة دون التطرق إلى فرانز فانون وكتابه "معذبو

---

[94] أحمد جميل عزم، محرر، "كيف ندرس الهوية،" في *نجمة كنعان- المقاومة المدنية والثقافية الفلسطينية- معركة الهوية* (عمان: دار فضاءات للنشر والتوزيع، 2011)، 20.

[95] مهند العزة، "فن المقاومة،" *جريدة حق العودة- صادرة عن* بديل- المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين، بيت لحم، العدد 37 (شباط 2010): 10.

[96] معتصم خضر عديلة، "تجليات الحب والكراهية في الأغنية الفلسطينية،" مؤتمر فيلادلفيا الدولي الثالث عشر (ثقافة الحب والكراهية) (جامعةالقدس- فلسطين، كلية الآدابوالفنون/ جامعة فيلادلفيا، 27- 29 تشرين أول 2008): 2.

[97] عديلة، "تجليات الحب والكراهية،" 20.

[98] فادية المليح حلواني، "تجليات ثقافة المقاومة في الشعر العربي المعاصر،" *مجلة العلوم الإنسانية*، جامعة محمد خيضر بسكرة، دمشق، جامعة دمشق- كلية الآداب والعلوم الإنسانية (2005): 2.

الأرض" والذي يتحدث من خلاله عن علاقة التماهي بين الطرفين بأشكالها المتعددة، سواءً الاقتصادية أو السياسية أو الاجتماعية، وسعي كل طرف لإقصاء الآخر ضمن منظومة "استعمارية" مشتركة تنشأ بينهما، كما يبين بأن الاستعمارهو حالة عنف وأن مقاومتها يجب أن تكون حالة عنف أيضاً، وبالتالي، فإن العلاج الوحيد للتخلص من الاستعمار الذي يشوه النفس البشرية بسبب ما يفعله من اضطهاد وظلم، هو بالمقاومة، والمقاومة المسلحة تحديداً، وذلك باعتبارها بحسب وصفه "تطهر النفسية التي شوهها الاستعمار."[99]

كما يقوم فانون في كتابه بتحليل مفهوم الهوية والاعتراف بها، إضافة لحديثه عن العنف، إذ أنه لا يرى في العنف الثوري مجرد عنف مضاد للعنف الاستعماري، بل أن له وظيفة تحررية تقوم على الاعتراف بالهوية وبالثقافات، والتي سعى المستعمِر إلى القضاء عليها. فوفقاً لفانون فإن العنف له وظيفة اجتماعية وكذلك نفسية تتعلق بعودة الوعي واكتشاف الهويّة لدرجة يصعب تصور التحرر من دونها.[100]

إذن، فانون وأفكاره المطروحة في كتابه المذكور آنفاً، تتمحور حول شكل من أشكال المقاومة وهي المقاومة المسلحة، والتي لها وظائف ثقافية، ولكن ذلك دون التطرق للأنواع الأخرى من المقاومة، والتي أكد عليها العديد من الباحثين والمنظرين ومن بينهم إدوارد سعيد، وهي المقاومة الثقافية، والتي يرى فيها سعيد أداة ناجعة في وجه الآخر أكثر من أي أدة أخرى، رغم أن سعيد كان من بين المتأثرين بكتابات فانون وتجربته الثورية خلال ثورة الجزائر، والتي نراها تنعكس في كتابه "الثقافة والإمبريالية"، والذي تحدث من خلاله عن القهر والتمييز العنصري الذي تتعرض له الشعوب، من قبل الأنظمة الامبريالية الغربية، هذا ولم يقتصر تحليله على منطقة الشرق العربي الإسلامي وإنما امتد إلى الشرق الآسيوي في القارة الهندية الباكستانية وإلى القارة الإفريقية ومنطقة الكراييب في أمريكا الجنوبية.

---

[99] سامي الدروبي وجمال الأتاسي، مترجم، فرانز فانون، *معذبو الأرض* (بيروت: دار القلم، 1985).

[100] المرجع السابق.

أما لالا خليلي، والتي تعترف بإعجابها الدائم بفانون وأفكاره، فهي أيضاً تؤكد بأن ما جاء به فانون من أفكار جاء في الوقت الذي كان يجري فيه التصدي لأعمال العنف المتعددة الناتجة من الاستعمار والتي كانت بهدف إنهائه. إلا أنها تؤكد أيضاً أن هذه الآلية تعتمد على الوضع القائم والذي تحتاجه اللحظة، فهي تذكر الحروب القائمة حالياً وما خلفته من دمار وأضرار على جميع المستويات، إلا أنها في الوقت نفسه تؤكد بأنه ينبغي أيضاً القيام بتحليل الوضع وتحديد نوع وشكل النضال والمقاومة الأكثر فعالية الواجب اتباعها بما يتلاءم مع الحدث ومكافحته، فشكل المقاومة يختلف من حالة لأخرى، دون التركيز على نوع دون الآخر، فهناك حالات تتطلب مقاومة مسلحة وأخرى تحتاج إلى مقاومة من مثل التي طرحها وأكد عليها إدوارد سعيد.[101]

وبذا، فللمقاومة أشكال متعددة لا تنحصر في جانب دون الآخر، فهناك المقاومة المسلحةأو السلمية والتي تتضمن طرقاً ووسائل متعددة يتبعها المستعمَر كإحدى الوسائل في مقاومتهللمستعمِر لإيمانه بأنها قادرة على التغيير وعلى تمكينه من الوقوف في وجه الآخر، كما هو الوضع في الحالة الفلسطينية.

يقول سماح إدريس في افتتاحيته في مجلة الآداب البيروتية "لعل المؤطر الأساسي لمشروع المقاومة الشاملة هو مؤطر ثقافي بالدرجة الأولى. ذلك لأن نجاحه مرهون بقدرته على إقناع أكبر قدر من الناس بإمكانية تحقيق المقاومة للأهداف الوطنية والقومية. وهو مؤطر ثقافي أيضاً لأنه يستند إلى تخليق جديد لمفهوم العروبة".[102]

وبذلك، فإن المقاومة بإطارها الثقافي، تستطيع أن تخلق حالة جديدة وأداة مختلفة قادرة على التغيير والتأثير، خاصة إن كان ما تعبر عنه هو حالة معاشة وأقرب للحقيقة منها للخيال، وقادرة على إسقاط مشاعرها وتجاربها بطريقة صحيحة وهادفة.

---

[101] An Interview with Laleh Khalili by Forum staff on November 20, 2014, From the website of "The Fletcher Forum Of World Affairs", The Fletcher School, TUFTS University http://www.fletcherforum.org/2014/11/20/khalili/

[102] حلواني، "تجليات ثقافة المقاومة،" 2. نقلاً عن سماح إدريس، *مجلة الآداب*، العدد 5، 6، (أيار، حزيران 2004).

ففي الشعر العربي الحديث مثلاً، تميز شعر المقاومة "بالإيمان بالشعب والثقة بقدرته على اجتثاث الظلم واليقين المطلق بانتصاره الآتي، وبتلوينه بين التمرد وطلب الحرية للوطن وللفرد، بحيث يختلط العام بالذاتي والخاص، كما تميز بتكريم الشهادة وإبراز أهمية التضحيات التي قدمهاالشهداء ليكونوا منارة تشعل الطريق ويقتدي بها جيل كبير هو جيل المقاومة".[103] وعليه، "فمن أجل ممارسة بناء أمة في العالم الثالث كان ينبغي بناء ثقافة مقاومة".[104]

وبما أن الثقافة "لا تخضع لمجموعة من القوانين والقواعد، والمقصود لا يمكن أن يتم ضبطها بقاعدة وخطوط حمراء. وإنما هي تعبير حر عن أحاسيس ومشاعر وحالات إنسانية ووجدانية وإبداعية".[105] فهذا من شأنه أن يساعد على تطويع الثقافة لأهداف المقاومة، ومحاولة استخدامها بشكل صحيح كأدة قادرة على التغيير أكثر من أية أداة أخرى.

ولذلك، فإن وجود الثقافة يشكل عنصراً أساسياً ومهماً في المجتمع وللأفراد، وفي هذا الصدد يقول كروبير Kroeber "لا مجتمع إنساني دون ثقافة ولا ثقافة دون مجتمع إنساني فهما ظاهرتين متماسكتين أشد التماسك... ويشبههما بأنهما كسطحي الورقة في تلاصقهما... فإذا محونا من أي مجتمع إنساني ثقافته فإننا بذلك نكون قد سلخنا عنه بشريته".[106] "

وبذا، فإن تجليات الثقافة وأدواتها من مثل "الشعر، النثر، الأغاني، والمسرح، الفنانين الراديكاليين المدافعين عن الحقيقة، تستطيع رفع مستوى وعي الناس الذين قد يكونون في الواقع لم يسبق لهم أن فكروا في هذا

---

[103] المرجع السابق، 3.

[104] فيجاي براشاد، "الأهمية المركزية للعمل الثقافي: تهيئة المناخ للكفاح المتواصل ضد الاضطهاد،" *جريدة حق العودة- صادرة عن* بديل- المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين، بيت لحم، العدد 37 (شباط 2010): 9.

[105] رانيا الياس، "دور الثقافة في حماية الهوية وتعزيز المقاومة والصمود،" *جريدة حق العودة- صادرة عن* بديل- المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين، بيت لحم، العدد 37 (شباط 2010): 10.

[106] عديلة، "تجليات الحب والكراهية،" 7. نقلاً عن فؤاد البهى السيد، *علم النفس الاجتماعي* (القاهرة، دار الفكر العربي، 1958)، 39.

الجانب أو ذاك من علاقاتهم مع الناس الآخرين. وبالطبع، ليس بالفن بحد ذاته يتغير العالم، ولكن له دور مركزي باعتباره منارة للتغيير".[107]

وعليه، فما يمكن قوله هنا هو أن الفن إبداع، وكونه كذلك، فمن شأنه أن يسد النقص الذي يعتري الواقع، وعليه، فهو ثوري بطبعه، إذ أنه يستطيع أن يغير وأن يضيف شيئاً حقيقياً مختلفاً. وهنا تأتي العلاقة بين الفن والمقاومة، فالفن هو وسيلة من وسائل المقاومة، وإذا كانت المقاومة متنوعة الوسائل والأدوات بحسب موضوعها وهدفه، وما يحتاجه كل موضوع من سلاح مناسب وطريقة وأداة مناسبة، فإن للفن القدرة على استيعاب وبلورة مختلف الوسائل والأساليب والأدوات بما يتلائم مع كل الموضوعات. وبذا، فليس من الغريب أبداً أن تندرج كل موضوعات المقاومة في الفن على اختلاف موضوعاتها؛ السياسية والاجتماعية...بل حتى أن المقاومة تكون أحياناً غير قادرة على الجمع بين جميع الأدوات والمواضيع معاً في ميادين المقاومة وساحاتها، وهو ما يقدر عليه الفن، إذ أنه يستطيع الجمع بين بعض موضوعات المقاومة إن لم يكن جميعها في عمل فني أو أدبي مثلاً واحد.

ولذا، فإذا العلاقة بين الفن والمقاومة لم تعد مجرد توظيف أو تصوير لمشهد نضالي أو مقاوم أو حدث معين، بل انتقلت إلى المقاومة بالفن بحد ذاته، ليغدو بذلك الفن كوسيلة كفاحية وكحالة نضالية تقاوم الاحتلال أوالظلم أو الاضطهاد...سعياً للتغيير وتأكيداُ على الحق وتعزيزاً للصمود.

---

[107] براشاد،"الأهمية المركزية للعمل،" 9.

3-1 الهوية والصراع:

1-3-1. الهوية:

قبل البدء بتعريفات الهوية والتي نوردها كونها تعريف ومحور أساسي في الدراسة، ليساعد على الوصول لفهم أكبر وأعمق لمضمون الدراسة وهدفها، فلا بد من تقديم تمهيد يساعد على توضيح ما سيتم عرضه لاحقاً من أقسام تتعلق بالهوية، لنفهم بذلك تباعاً العلاقة بين الهوية والصراع.

ونبدأ بالقول بأن مفهوم الهوية كان قد ذاع عالمياً وعربياً "منذ ستينيات القرن المنصرم، ومع الصعود القومي والثوري، نتيجة حمأة الصراع الدولي أو الثقافي منذ هذا التاريخ، واهتمام العديد من المجالات العلمية بدراسته".[108] وفي هذا الصدد يقول المؤرخ ألفرد كروزر:

> القليل من المفاهيم هي التي حظيت بالتضخم والاهتمام الذي عرفه مفهوم الهوية، حيث أصبحت الهوية شعاراً طوطمياً، وأصبح بديهياً أن يحل كل الإشكاليات المطروحة. فصرنا نسمع عن خطاب الهوية، أي تلك الخطابات التي تقوم في أسسها الفكرية على تصور خاص للهوية، يمكن التمثيل لها بالتيارات القطرية والقومية والوحدوية والإسلامية، كما نسمع عن سياسات الهوية أي السياسات التي تمثل الهوية مصدراً لشرعيتها وسنداً لها كحقوق الأقليات في تقرير مصيرها أو الصراعات الأهلية وسلطات الحكم الذاتي... إلخ.[109]

بشكل عام، يحافظ الإنسان، مثل كل كائن، على بقائه كفرد ومن ثم كنوع وذلك "عن طريق الحصول على متطلبات البقاء من البيئة. ولكن الإنسان يمتاز عن باقي الكائنات بأن لديه ثقافة. والثقافة هي المجموع المنمط والمنظم لتجارب بني الإنسان وفهمهم للبيئة وللعالم والكون. والثقافة تنقل للفرد من خلال الرموز اللغوية وغير اللغوية من قِبَل الأطر والمجموعات الإنسانية التي يتفاعل معها"[110]، وهذا يعني بالضرورة أن الإنسان لا يستطيع الوصول إلى فهم ذاته وإدراكها ولكل ما يحيط به من خلال تجاربه الشخصية المباشرة فقط، ولكن

---

[108] القلقيلي وأبو غوش، *الهوية الوطنية*، 11.

[109] المرجع السابق، 11.

[110] كناعنة، *دراسات في الثقافة*، 416، 417.

من خلال الأطر والمجموعات الإنسانية التي يتفاعل ويتماهى معها بشكل أساسي. وبما أن سلوك الإنسان "ينطلق من فهمه لنفسه وللعالم المحيط به، فإن سلوكه يأخذ شكله ونمطه من الأطر الإنسانية التي يتفاعل معها. هذه الأطر الإنسانية تبدأ بالعائلة ثم تتسع حتى تصل مستوى الإنسانية. والنمط الناتج عن مجموع علاقات الإنسان بهذه الأطر هي هويته. وبهذا تكون الهوية (في أحد معانيها أو دلالاتها) هي الخارطة الداخلية أو المعادلة الداخلية التي تتحكم بكيفية إدراك الإنسان لكل ما في الكون وكيفية التصرف نحو ما يدرك".[111]

كما أنّ مفهوم الثقافة يشهد منذ مدة انتشاراً خارج دائرة العلوم الاجتماعية، نجد شيئاً شبيهاً بالنسبة لمفهوم الهوية (وهو غالباً ما يرتبط بالأول)، "لدرجة جعلت بعض المحللين يرونه أثراً من أثار ازدهار الثقافة".[112] كما أن "الثقافة، في جانب مهم من مكوناتها ودلالاتها، هي حقول من الخبرات والتجارب والمنجزات المؤطرة لغوياً ومعرفياً والتي يمكن من خلالها تمييز الهويات".[113]

يرى البعض "أن الثقافة هي الإطار الأوسع الذي يستمد منه البشر شعورهم بماهيتهم، ومن ثم فإن الهوية هي الوحدة السلوكية من وحدات الثقافة، أو هي وحدة الفعل وبذلك تصير الهوية جزء من الثقافة... إلا أن البعض يميز بينهما على أساس أن الثقافة لازمة لتوضيح حدود الهوية، إذ تقدم الثقافة الرموز اللازمة لترسيم حدود جماعة ذات الهوية الواحدة، إلا أنه ليس بالضرورة أن للجماعة ذات الهوية الواحدة ثقافة منفصلة تميزها عن غيرها".[114] مع أنّ الثقافة تلعب دوراً "في تحديد هوية الفرد والجماعة، وتمييز الجماعة عن غيرها من الجماعات على أساس القرابة، العرق، الدين، اللغة أو الأرض أو غيرها، فالثقافة تحدد من "نحن" ومن "هم"".[115] بكلمات أخرى قد يكون هناك أكثر من هوية داخل أبناء ثقافة واحدة.

---

[111] المرجع السابق.

[112] بركان، "تحليل النزاعات المعاصرة،" 71.

[113] أحمد بن نعمان، *الهوية الوطنية الحقائق والمغالطات* (الجزائر: شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والإشهار، 1995)، 21.

[114] بركان، "تحليل النزاعات المعاصرة،" 72.

[115] المرجع السابق، 78.

من ناحية أخرى، فإن من المقاربات الأساسية للهويّة مقاربتان ترتبطان بالذاكرة، والصور العقلية، تقوم الأولى على "الذّاكرة الجماعيّة باعتبارها صانعة للهويّة مع المحدّدات الأخرى، أي القواسم المشتركة (اللغة والعادات والتّقاليد وحدة المصير في "القضية الوطنية" إلخ...).

أما المقاربة الثانية، فترى أن الهويّة ككل، تقوم على الاختلاف بين جماعات اجتماعيّة، وعلى قاعدة إعلان ذاتي للأفراد المكوّنين لهذه الهويّة وانتمائهم".[116]

وهنا يتم استعارة تصوّر ماكس فيبر (1864– 1920)، الذي يرى "أنّ الهويّة هي إحساس وشعور معلن للانتماء لجماعة اجتماعيّة مقارنة بجماعة اجتماعية أخرى، مختلفة أو متمايزة داخل نفس الجسم الاجتماعي، التي تتطلب من أفرادها الإعلان عن هويّات اجتماعيّة مغايرة".[117]

من أهم الأطر على المستويات العليا الشاملة، والتي تعتبر المسؤولة "على تنظيم هويات بني الإنسان والتحكم بإدراكهم وسلوكهم في العالم الحديث، أي منذ بداية عصر النهضة في أوروبا، هو إطار القومية، وهو لمركزيته وأهميته آخر وأصعب إطار يمكن أن يتنازل عنه الإنسان".[118] كما أنه من غير الممكن تقريباً لأي مجموعة من الناس في العالم "أن تعيش وتتفاعل مع باقي العالم المبني حالياً على أساس الهويات القومية، دون أن يكون لها هويتها القومية".[119]

وفي تعريف القومية، نقف عند بعض التعريفات التي طرحها البعض. فالفيلسوف البريطاني التشيكي إيرنست غيلنر يعرف القومية بصفة عامة على أنها "مبدأ سياسي يعتقد بأن الوحدة السياسية والقومية ينبغي أن تكون منسجمة".[120] أي أنّ الدولة أو الكيان يجب أن تنسجم إلى حد كبير مع شعور أفراد هذا الكيان بهويتهم. وبالتالي هذا المدخل يربط بين الكيان/ الدولة والهوية.

---

[116] السقا، "الهوية الاجتماعية الفلسطينية،" 41، 42، 43.

[117] المرجع السابق. نقلاً عن Max Weber, *Economie et Société* (Paris: Plon social, Paris, press universitaires de France, 1971).

[118] كناعنة، *دراسات في الثقافة*، 417.

[119] المرجع السابق، 417.

[120] مجيد الراضي، مترجم، إيرنست غيلنر، *الأمم والقومية* (دمشق: دار المدى للثقافة والنشر، 1999)، 15.

أما الإيطالي مانشيني Mancini فيعرفها بأنها "مجتمع طبيعي من البشر يرتبط بعضها ببعض بوحدة الأرض والأصل، والعادات واللغة.. من جراء الاشتراك في الحياة وفي الشعور الاجتماعي، ويعتبر تعريف مانشيني من أهم وأشهر التعريفات التي قدمت للقومية باعتباره حدد السمات والعناصر الأساسية للقومية.[121] أما بنديكت أندرسون فيعرف القومية من منطلق إنثربولوجي بأنها "جماعة سياسية متخيلة، حيث يشمل التخيل أنها محددة وسيدة أصلاً".[122] كما يرى أندرسون "أن القومية والهوية القومية (بمعنى الانتماء إلى الأمة) هي نتاج تقاطع معقد بين قوى تاريخية متعددة في نهاية القرن الثامن عشر".[123]

وعليه، ومن هذا الشعور القومي، يستمد الفرد إحساسه بالهوية والانتماء. لأنه يحسّ بأنه ليس مجرد فرد غير فعال ومنعزل، بل إنه يشارك ويتشارك مع الآخرين ضمن المجموعة في عدد من الأفكار والأهداف، كما أنه ينتمي إلى ثقافة تتكون من مجموعة من الرموز والصور، وهذا يتوافق مع ما ذكره عالم الاجتماع نوربير إلياس بأنه "لا توجد هوية للأنا بدون هوية للنخبة".[124]

1-3-2 تغير الهوية:

يعتبر البحث عن الهوية من الرحلات "الأكثر تعقيداً في النفس البشرية، خصوصاً وأن البشر عوالم مختلفة وبالتالي هويات مختلفة، فتجد من يملك هوية ما وينتمي لغيرها، ومن هو مجهول الهوية، وآخر لا يعرف إلى أي هوية ينتمي لتعددها لديه، وهنالك من يناضل لاستعادة هويته، وآخر يحاول أن يلغي هوية الآخر المتناقضة مع هويته".[125]

تتحقق الهوية في "مجال الاتصال بالآخرين، حتى يصح القول إن هوية الفرد الواحد تتبدل حسب اتصالاته ومواقفه ومواقعه المختلفة؛ فالهوية معطى من الآخرين وانعكاس ظاهر وكامن لمواقفنا منهم وردود فعلنا

---

121 ساطع الحصري، "ما هي القومية- أبحاث ودراسات على ضوء الأحداث والنظريات،" *سلسلة التراث القومي: الأعمال القومية لساطع الحصري* (مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد 13، 1985)، 53.

122 ديب، *الجماعات المتخيلة*، 26.

123 المرجع السابق، 31.

124 السقا، "دراسة سوسيولوجية،" 212. نقلاً عن Norbert Elias, *La Société des individus* (Paris: Fayard, 1991).

125 الزين، *هوية اللاجئين*، 7.

عليهم".[126] وهنا لا بد من التأكيد على أن كون الهوية "معطى من الآخرين" "لا ينفي أساس تشكلها ذاتياً وسيرورة تطورها المرتبطة بتطور الجماعة الإثنو– اجتماعية البنيوي، فهذا التطور هو شرط البناء الذاتي لكل العناصر المكونة للهوية والقابلة لخلق ذات وهويتها في مواجهة الآخرين".[127]

كما أن الهوية ليست إطاراً ثابتاً وجامداً، إنما هي "في حالة صيرورة مستمرة ومتغيرة. وتمثل التصور الذي يكونه شعب ما عن ذاته، وهي انعكاس لما يحيط بها وما تعيشه من مؤثرات خارجية، وأهميتها ليس في ذاتها، إنما في قدرتها على بناء الشخصية الفردية والجماعية وتطورها وتعبيرها عن مصالحهم العامة. وليس هناك اليوم هوية خالصة تخص إثنية محددة، إنما هناك هوية عامة تشتمل في داخلها على هويات مختلفة".[128]

وبذا، فيمكن القول بأن الهوية "حركة وحركية، والإنسان يبدع هويته فيما يبدع فكره وعمله. أي أن الهوية، ليست كينونة مكتملة وإنما هي حركة دائمة من التكوين".[129]

مثل هذا التغير والتداخل في الهوية، سيكون جزءاً من من الأسئلة التي تحاول هذه الدراسة إجابتها في تتبع النشاطات الثقافية في مخيم الدهيشة، في الفصل الثالث.

وقبل البدء بالحديث عن الهوية والمداخل لدراستها، والبعد المتخيل فيها، والمشاعر المعبر عنها في حالة المقاومة ودور الصراع في تشكيل وتوجيه الهوية، فلا بد من الوقوف على تعريف للهوية من أجل الإلمام بكافة الأطر اللازمة للحديث عن القضايا المذكورة والتي سيتم مناقشتها خلال هذا الفصل.

1-3-3 تعريف الهوية:

يشتق المعنى اللغوي لمصطلح الهوية من الضمير (هو). أما "مصطلح الهوية المركب من تكرار (هو) فقد تمّ وضعه كإسم معرّف بـ"أل"، ومعناه "الاتحاد بالذات". ويشير مفهوم الهوية إلى ما يكون به الشيء هو هو؛ أي

---

[126] القلقيلي وأبو غوش، *الهوية الوطنية*، 11.

[127] المرجع السابق.

[128] أشرف صقر أبو ندا، "الهوية الفلسطينية المتخيلة بين التطور والتأزم،" *مجلة المستقبل العربي*– صادرة عن مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد 423 (أيار/ مايو 2014): 83، 84.

[129] نورما مصرية، "ذاكرة الزمان والمكان: اللاجئ الفلسطيني ما بين الهوية المتخيلة و الهوية الحقيقية،" *بحوث المؤتمر الذي عقده مركز دراسات التراث والمجتمع الفلسطيني في جمعية إنعاش الأسرة بعنوان الهوية الفلسطينية إلى أين؟* (فلسطين– البيرة، 2008): 67. نقلاً عن أدونيس وآخرون، *الإسلام والحداثة: ندوة ومواقف* (لندن: دار الساقي، 1990)

من حيث تشخصه وتحققه في ذاته وتمييزه عن غيره؛ فمفهوم الهوية يشكل وعاء الضمير الجمعي لأي تكتل بشري، ومحتوى هذا الضمير في ذات الآن، بما يشمله من قيم وعادات ومقومات تكيّف وعي الجماعة وإرادتها في الوجود والحياة داخل نطاق الحفاظ على كيانها".[130]

كما تُعرَّف الهوية لغة بأنها "كلمة مركبة من ضمير الغائب "هو" مضافاً إليه ياء النسبة، التي تشير إلى ماهية الشخص أو الشيء من حيث خصائصه ومميزاته التي يعرف بها. أي أن مصطلح "الهوية"، ويعني الشيء نفسه من حيث هو ذاته، أو هو الذي هو عليه من المواصفات والسمات التي جعلته معروفاً ومتعيّناً على تلك الشاكلة".[131]

وبشكل عام، تُعَرّف الهوية على أنها "وعي للذات والمصير التاريخي الواحد، من موقع الحيز المادي والروحي الذي نشغله في البنية الاجتماعية، وبفعل السمات والمصالح المشتركة التي تحدد توجهات الناس وأهدافهم لأنفسهم ولغيرهم، وتدفعهم للعمل معاً على تثبيت وجودهم والمحافظة على منجزاتهم وتحسين وضعهم وموقعهم في التاريخ".[132]

كما أن الهوية، "هي وعي الإنسان وإحساسه بانتمائه إلى مجتمع أو أمة أو جماعة أو طبقة في إطار الانتماء الإنساني العام. إنها معرفتنا بما، وأين، نحن، ومن أين أتينا، وإلى أين نمضي، وبما نريد لأنفسنا وللآخرين، وبموقعنا في خريطة العلاقات والتناقضات والصراعات القائمة".[133]

ويشير إبراهيم أبراش في تعريفه للهوية حسب علم الاجتماع السياسي بأنها:

> مجموعة من الخصائص التي يمكن للفرد عن طريقها أن يعرّف نفسه في علاقته بالجماعة الاجتماعية التي ينتمي لها والتي تميزه عن الأفراد المنتمين للجماعات الأخرى. هذه الخصائص أو الميزات الجمعية التي لا تكون صدفة أو بقرار في لحظة تاريخية، بل تتجمع عناصرها وتطبع

---

[130] القلقيلي وأبو غوش، *الهوية الوطنية*، 9. نقلاً عن عباس الجراري،"مكونات الهوية الثقافية المغربية،" مقال نشر ضمن كتاب *الهوية الثقافية للمغرب*، *كتاب العلم* (السلسلة الجديدة، 1988)، 22.

[131] الشيخ، "الهوية الثقافية الفلسطينية،" 71.

[132] حليم بركات، *المجتمع العربي في القرن العشرين- بحث في تغير الأحوال والعلاقات* (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، تموز/ يوليو 2000)، 62.

[133] المرجع السابق.

الجماعة بطابعها على مدار تاريخ الجماعة من خلال تراثها الإبداعي (الثقافة) وطابع حياتها (الواقع الاجتماعي) وتعبيرات خارجية شائعة مثل: الرموز والعادات والتقاليد واللهجة واللغة.[134]

وتعبّر الهوية "عن حقيقة الشيء المطلقة المشتملة على صفاته الجوهرية، التي تميّزه عن غيره، كما تعبّر عن خاصية المطابقة؛ أي مطابقة الشيء لنفسه أو لمثيله".[135]

وبذا، فيمكن القول بأن الهوية ليست شيئاً واضحاً وملموساً يمكننا فهمه وتعريفه بصفات واضحة ومحددة، لأن هناك العديد من التعريفات المختلفة بحسب النظريات ووجهات النظر المتعددة.

وبشكل عام يمكننا القول بأن الهوية هي كيف يعرف الفرد ذاته. ولكن لا يمكن تعريف الذات في فراغ، "بل يجب أن ينسب الإنسان نفسه لما يحيط به، أي بالنسبة إلى باقي العالم، وبشكل خاص إلى باقي بني الإنسان".[136]

1-3-4 كيفية دراسة الهوية:

هناك مداخل لدراسة الهوية، من أبرزها مدخل الحداثة، وأبرز منظريها "إيرنست غيلنر"، إضافة إلى ما يعرف بمدرسة الجماعات المتخيلة وأبرز منظريها "بندكت أندرسون" في كتابه "الجماعات المتخيلة...تأملات في أصل القومية وانتشارها"، وكلاهما، رغم تعبير كل منهما عن مدخل مختلف لدراسة الهوية، إلا أنهما اهتما وركزا على أهمية الثقافة والحداثة، في ذات الوقت. وتعتبر هاتان المدرستان ومنظراهما ومؤلفاهما؛ إيرنست غيلنر وكتابه (Nations and Nationalism -1983) الأمم والقومية، وأندرسون وكتابه المذكور آنفاً، من المدارس التي ظهرت مع النظريات القومية المعاصرة، والتي يصنفها الباحثون إلى نظريات ما قبل الحداثية والنظريات الحداثية حول القومية، والتي عرض من خلالها المنظرين والأكاديميين آراءهم وتصوراتهم الخاصة حول طبيعة القومية وتفسير نشأتها ووظيفتها.

---

[134] الزين، *هوية اللاجئين*، 13. نقلاً عن إبراهيم أبراش، "الهوية في مشروع الدستور الفلسطيني،" *رؤية*، عدد 25 (تشرين ثاني 2003)

[135] القلقيلي وأبو غوش، *الهوية الوطنية*، 9.

[136] كناعنة، *دراسات في الثقافة*، 386.

يركز غيلنر على القضايا المتعلقة بالتحديث والتصنيع، أي التحول من المجتمعات الزراعية، أو نشوء الأمة والقومية في سياق المجتمعات الصناعية، لأنه يرى بأن التصنيع والتطور من شأنهما أن يؤديا إلى ما يعرف بالحداثة، والتي تعد العامل الأول والأهم في إيجاد القومية.

كما أن غيلنر لا ينكر البعد العاطفي والثقافي، فكما تم الذكر سابقاً، فهو يرى القومية كمبدأ سياسي، وأن الوحدة السياسية والقومية ينبغي أن تكون منسجمة. كما أنه يؤكد على أهمية الشعور القومي، فهو يقول: "النزعة القومية كعاطفة، أو كحركة، يمكن تعريفها على أفضل وجه بلغة هذا المبدأ. والعاطفة القومية هي الشعور بالغضب الذي يستثيره انتهاك المبدأ (وجود تناغم بين الحدود السياسية والهوية القومية)، أو الشعور بالرضا الذي يبعثه تحقيقه. والحركة القومية هي التي تفعِّلها عاطفة من هذا النوع".[137]

أما أندرسون، فقد تحدث في كتابه عن نشأة القومية وركز من خلاله على البعد الرمزي والثقافي للهوية، كما اهتم بمفهوم الحداثة إذ يرى أن الأمم والقومية هي نتاج الحداثة والتي تم إنشاؤها كوسيلة لتحقيق غايات سياسية واقتصادية، كما اهتم بها بصفتها "مدخلاً لدراسة الهوية، وذلك لأنه يعتبر بأن الهوية هي جزء من السياقات السياسية والاجتماعية في العالم الحديث، كما يرى بأنها مرتبطة بالحداثة والرأسمالية، مما أدى إلى اتساع نشر الكتب خاصة الروايات والصحف، وذلك من خلال ما يعرف باسم الطباعة الرأسمالية، وهو ما ساعد في خلق مفاهيم جديدة للمكان والزمان، وعمل على توليد عقل جمعي وثقافة قومية جامعة في الدول الأوروبية، وقد ساهمت صناعة الطباعة على هذا النحو في أوروبا بتطوير لهجاتها واستخدامها في الحديث والكتابة، بدلاً من اللاتينية التي كانت سائدة وتجمع الأوروبيين فيما يكتبون، وأصبحت الكلمة المطبوعة هي السمة المميزة للمجتمعات الحديثة".[138] وفي الوقت الذي يؤكد فيه أندرسون على مركزية العملية المتواصلة في بناء الهوية "تخيل المجتمع"، "فهذا لا يعني أن الهوية والقومية زائفة أو وهمية، بل على العكس من ذلك، فهي ظاهرة حقيقية متأصلة في العمليات التاريخية، لكن، وعلى عكس المجتمعات التقليدية الصغيرة، فإن

---

[137] الراضي، *الأمم والقومية*، 15.

[138] Meir Litvak, Introduction: Collective Memory and the Palestinian Experience, in Meir Litvak (ed.), Palestinian Collective Memory and National Identity, (New York: Palgrave Macmillan, 2009), p7.

أفراد الدول الحديثة، لن يستطيعوا معرفة جميع أفراد الأمة التي يعيشون فيها معاً شخصياً، وعليه، سيقومون بالتواصل وتعزيز الانتماء بالأمة والأفراد من خلال الصورة المتخيلة التي سيكونونها".[139]

وفي هذا الصدد، يؤكد عبد الرحيم الشيخ بأن:

> التشكيل التاريخي للهوية في حقبة الحداثة، بوصفه مرجعية تحدد الأمة، هو أمر تتم صناعته وتشكيله سياسياً، وفلسطين، بطبيعة الحال، ليست استثناءً من هذا "القانون" التاريخي. وقد كان من أهم الاستنتاجات النظرية في هذا السياق، أن الهوية القومية تتم هندستها من قبل حركات قومية، أي هي "مصنوعة" وليست "مخلوقة"؛ وهي ظاهرة حديثة منذ القرن التاسع عشر، وتقوم على صناعتها الحركات القومية؛ كما أنها بحاجة إلى تحويل القصة الشفاهية لجماعة معينة إلى حكاية تاريخية مكتوبة ورأسمال طباعي؛ والهوية القومية، إذن، هي واحدة من "نسخ الهوية" التي يمكن إنتاجها وليست النسخة الوحيدة".[140]

هذا وقد قام أندرسون بدراسة المتحف والتعداد والخرائط وفهم وتحليل ما تعكسه ليفهم التعبيرات اللغوية لدى الشعوب عبر الزمن، حيث بين أن الخارطة مثلا والتي جاء بها المستعمرون الأوروبيون كانت قد بدأت عبر الصناعة بتشكيل خيال البشر في جنوب شرق آسيا، وأنه لم يكن ثمة حدود واضحة في أنواع الخرائط التي تم رسمها في ذلك الحين. وكيف أن الخرائط التاريخية عبر الزمن "قدمت خطاب خرائط جديد، وكيف كان لسلاسل مرتبة زمنياً من هذه الخرائط أن تبرز إلى الوجود نوعاً من الرواية السيرية السياسية عن المملكة التي كانت تتصف في بعض الأحيان بعمق تاريخي هائل".[141]

كما تحدث عن التعداد وكيف أن هناك دول تخيلت سلسلة من الأمم قبل أن توجد مثل الدولة الكولونيالية والتي تخيلت سلسلة صينية قبل أي صيني، وسلسة قومية قبل ظهور أي قوميين وكيفية تخيل التاريخ

---

[139] Litvak, Introduction: Collective Memory, 7, 8.

[140] الشيخ، "الهوية الثقافية الفلسطينية،" 73.

[141] ديب، *الجماعات المتخيلة*، 167.

والسلطة أيضاً. موضحاً أن هذا النمط من التخيل جميعه "لم يأت من فراغ، فهو نتاج تكنولوجيات الإبحار والفلك وقياس الزمن والمراقبة والتصوير والطباعة".[142]

وتحدث عن الرسوم التي تصور أحداثاً في التاريخ القومي ويتم توزيعها على المدارس الابتدائية في أندونيسيا مثلاً، ليتمكن الطلبة الصغار من أن يعلقوا على جدران صفوفهم وفي كل مكان تمثيلات بصرية لماضي بلادهم الذي لم يعاصروه يوماً، ولكن مثل هذه الصور قادرة على خلق صور من الخيال لذلك التاريخ.

وعليه، وعلى ضوء ما قام به أندرسون من دراسة للتعبيرات اللغوية ومواد أخرى كالخرائط والتعداد والمتحف فستقوم الباحثة بدراسة منتجات الطلبة، في مخيم الدهيشة، التي يقدمونها في المدارس من مثل الكلمات الصباحية وحصص الرسم والاحتفالات لفهم الرسائل التي يقدمونها من خلالها جميعاً للتعبير عن هويتهم وأنفسهم وبالتالي تمكن من فهم ودراسة الهوية الخاصة بهم.

وبذا، يمكننا القول بأنه ومن خلال ما تم طرحه من أفكار أندرسون وغيلنر حول الحداثة والمجتمعات المتخيلة، يمكن فهم كيف يرى الإنسان نفسه من خلال انتماءاته القومية وكذلك من خلال علاقته بالآخر، وكيف أن فهم الأبعاد الرمزية والمتخيلة التي تحتويها وتقدمها هوية الأفراد، تساعد على فهم ذواتهم ودواخلهم من خلال ما يقدمونه من تعبيرات تعكس خطابهم الداخلي، مع التأكيد على نوع الخطاب الثقافي المستخدم من قبل الشعوب الواقعة تحت الاحتلال تحديداً، وخاصة فيما يتعلق بالمشاعر التي يتضمنها هذا الخطاب والتي تعبر عن الحب وكذلك الانتماء، والذي تبين أنه، وفي الحالة الفلسطينية –وكما تم التوضيح لاحقاً–، يعبر عن أطر متنوعة لا تتوقف عند المخيم فقط، بل تنطلق إلى الدوائر الفلسطينية والعربية والإسلامية لتعبر عنها ككل واحد أينما كانوا. كما أن الهوية كما يؤكد أندرسون، هي جزء من السياقات السياسية والاجتماعية وهو ما يفعله الأفراد في مخيم الدهيشة، فهويتهم تعبر عنهم وعن واقعهم، وغدت كجزء من السياقات الاجتماعية والسياسية في حياتهم. كما يتبين كيف تمكنوا من خلق مفاهيم جديدة للمكان والزمان وذلك من خلال محاولاتهم الساعية لخلق رباط "متخيل"، وقيامهم بالتواصل وتعزيز الانتماء لأفراد الأمة من

---

[142] المرجع السابق، 173.

خلال الصورة المتخيلة التي يكونونها بينهم، مما يساعد في توليد عقل جمعي وثقافة قومية جامعة بينهم أينما كانوا.

1-3-5 مستويات الهوية والتعبير عنها:

إن الإنسان وكونه يعيش ويتفاعل مع الآخرين المحيطين به، يكوّن هويّته بشكل أساسي من خلال "الانتماء إلى أطر اجتماعية، ولذلك يكون لهوية الفرد عدة مستويات هي نفس مستويات تنظيم المجتمع والبناء الاجتماعي، بيد أن الإنتماء لا يكون دائماً على أساس علاقة الدم، أي أن الفرد يتفاعل مع فرد آخر ليس كفرد وإنما على مستوى "النحن" لكل منهما، أي كل منهما كممثل لفريق، حسب ظروف التفاعل ومع ممثل أي فريق يتفاعل".[143]

وكما يؤكد الباحث والمؤرخ شريف كناعنة بأن هناك مستويات متعددة للهوية كما البناء الاجتماعي، حيث أن كل مستوى "يضم عدداً من الوحدات على المستوى الذي دونه ويكون واحداً من عدة وحدات من المستوى الذي فوقه. وهكذا فإن الفرد يُفَعِّل المستوى المناسب من هويته (أي مستوى "النحن" المناسب) حسب الأشخاص الذين يتفاعل معهم والإطار الاجتماعي الذي يتفاعلون ضمنه. والحقيقة أن لكل مجموعة من الأفراد صفة واحدة مشتركة على الأقل، ويكون أعضاء المجموعة واعين لوجود تلك الصفة، ويعي الآخرون وجودها، وهي التي تكوّن لهم هويّة يمكن تفعيلها عند الحاجة".[144]

كما أنه وبشكل عام، فإن جميع مستويات هوية الفرد "تكون متماسكة ومتناسقة أو متناغمة، أي أنها لا تتضارب فيما تمليه عليه من إدراك وسلوك. وإذا حدث مثل هذا التضارب في هوية الإنسان تكوّن لديه ضيق وخوف نفسي، وإذا لم يكن من الممكن إزالة التضارب فقد يؤدي إلى الانهيار العصبي، أي تفكك وانهيار الهوية والشخصية".[145]

---

[143] كناعنة، *دراسات في الثقافة*، 386.

[144] المرجع السابق.

[145] المرجع السابق، 416، 417.

من ناحية أخرى تعبر الهويات عن نفسها من خلال ثلاثة مستويات: "الدولة والأمة والجماعة، أما في واقعنا العربي الخاص فهنالك مستوى رابع وهو القومية؛ لأن الأمة العربية مقسمة إلى دول قطرية. إن قضية الهوية القطرية تمثل أكثر القضايا حساسية لارتباطها بنشأة المجتمعات واستمرارها. ولعلّ هذا ما يضع قضية الهوية في عمق كثير من النزاعات المسلحة أو حتى السلمية".[146]

وتتمثل فكرة مستويات الهوية وتراتبها بأن الشخص الواحد قد يكون لديه عدة هويات في آن معاً؛ فردية، عائلية جماعية، وطنية، أممية وهكذا، لكن حضور وظهور هذه الهويات لدى هذا الفرد قد يختلف ويتباين، أي أن هناك تراتبية في مستوى هذه الهويات وحضور أحدها، أو حتى غيابها، أكثر من الأخرى لدى الشخص، فمثلاً قد تكون هناك هويات تطغى على أخرى، وذلك بحسب ظروف وعوامل عدة يعيشها أو يمر بها الأفراد وهويتهم في بيئتهم المحيطة، سواء على المستوى الضيق (داخل البلدة والدولة مثلاً) أو على المستوى الأوسع (خارج نطاق الدولة). كما أن مثل هذه الهويات لا تكون بالضرورة متماثلة أو مكملة لبعضها البعض بل من الممكن أن تكون متصاربة.

ومثل هذه المستويات هي التي تشكل الهوية، "فالهوية لا تتجزأ أبداً، ولا تتوزع أنصافاً أو ثلاثاً أو مناطق منفصلة. فنحن لا نمتلك هويات عدة، بل هوية واحدة مكونة من كل العناصر التي شكلتها وفق "معايرة" خاصة".[147]

إلا أنه وكما أوردنا، بأن الظروف التي يواجهها الفرد يكون لها دور في إظهار مستوى للهوية دون الآخر. يقول أمين معلوف في هذا الصدد في كتابه "هويات قاتلة":

> يوجد في كل العصور أناس يعتبرون أن هناك انتماءً واحداً مسيطراً، يفوق كل الانتماءات الأخرى وفي كل الظروف، إلى درجة أنه يحق لنا أن ندعوه "هوية". هذا الانتماء هو الوطن بالنسبة لبعضهم والدين بالنسبة لبعضهم الآخر. ولكن يكفي أن نجول بنظرنا على مختلف الصراعات التي

---

[146] القلقيلي وأبو غوش، *الهوية الوطنية*، 11، 12.

[147] نبيل محسن، مترجم، أمين معلوف، *الهويات القاتلة "قراءات في الانتماء والعولمة"* (دمشق: دار الحصاد للطباعةوالنشر والتوزيع، 1999)، 7، 8.

تدور حول العالم لننتبه إلى أن أي انتماء لا يسود بشكل مطلق. فحيث يشعر الناس أنهم مهددون في عقيدتهم يبدو أن الانتماء الديني هو الذي يختزل هويتهم كلها. ولكن لو كانت لغتهم الأم ومجموعتهم الإثنية هي المهددة لقاتلوا بعنف ضد إخوتهم في الدين.[148]

وهذا ما يؤكد أن للهوية وللعناصر التي تشكل هوية كل فرد مستويات وتراتبية تتأثر بالظروف وبكل ما يحيط بها وبأصحابها، وخاصة في حالة الصراع وبحسب السبب القائم عليه، والذي قد يكون على أساس الدين والعقيدة أو العرق أو اللغة...إلخ، وبناءً على السبب، يطغى مستوى على آخر، ويصبح التمسك به والدفاع عنه والسعي لإظهاره أحياناً حاجة ملحة وكجزء من الدفاع عنه أو محاولة القضاء عليه. وبذا فهذه المستويات ليست ثابتة، بل تتغير مع الزمن، وتختلف وتتنوع بحسب الظروف التي يواجهها، فبمرحلة ما قد يكون وطنياً ومن ثم قومياً وهكذا....كما أن الانتماءات المهمة في حياة كل فرد هي ليست دائماً وبالضرورة تلك التي تتعلق فقط باللغة و البشرة والجنسية والدين والتي من الممكن أن يكون لها السيطرة في الغالب.

1-3-6 البعد المتخيل في الهوية:

تشترك كل أمة أو جماعة بمجموعة من الخصائص الاجتماعية والنفسية والتاريخية، والتي تعبر عن وحدة وكيان يتوحد فيه أفراد متشابهون بسبب تأثير هذه الخصائص التي تجمعهم معاً.

كما أن عملية توكيد الهوية ليس فقط لإظهار وبيان التجانس الاجتماعي لمجموعة معينة، بل أيضاً هي عملية يحاول الأفراد داخل المجموعة من خلالها بناء وحدتهم وانتمائهم، ومن ثم بناء حدود اجتماعية بينها وبين مجموعات أخرى. "وكلمة "حدود" هنا تعني أن لكل مجموعة بشرية حدوداً تصنعها لنفسها، وليست بالضرورة حدوداً جغرافية، لكنها بالأساس حدود رمزية، وعندما نقول رمزية فهذا يعني حدوداً في التاريخ وفي العلاقة بالذاكرة، وباللغة، وبالكلمات، وبالتصورات الذهنية المتبادلة. هذه الحدود ليست ثابتة، فهي تضيق وتتسع وتتغير وتتبدل حسب السياق".[149]

---

[148] المرجع السابق، 16.

[149] السقا، "دراسة سوسيولوجية،" 202، 203.

إن هوية المجموعة "هي رمز وتجسيد اجتماعي مبني، ومتعلق بالمتخيل أكثر منه طابع لواقع موضوعي. إنه تجسيد وإبراز، تصوِّر من خلاله مجموعة ما وحدتها بالتمايز عن الآخرين، وتشكل فئة متماثلة محققة ذاتها، وتصنيفها وتمايزها، وحيث يتم ذلك بوجودها ذاته".[150]

وتُعرَّف الهوية الجماعية سوسيولوجياً مثلاً "بأنها الانتماء إلى كائن اجتماعي، سواء كان جماعة عضوية كالعائلة أو إلى جماعة متخيَّلة كالأمة، يعرف فيه الأفراد أنفسهم في مقابل الآخرين ويعترف الآخرون لهم بتميزهم".[151]

لكن ما يهمنا بالدرجة الأولى هنا هو الجماعة المتخيَّلة والتي ينتمي إليها الفرد مع ملايين الناس دون أن يكون مرتبطاً بهم برابطة طبيعية ومباشرة، ولكنهم يرتبطون ببعضهم البعض وذلك من خلال التاريخ الاجتماعي والثقافي المشترك والمصالح المشتركة والآمال المستقبلية.

تحدث أندرسون في كتابه عن نشأة القومية مع تركيزه على البعد الرمزي والثقافي للهوية، وعن القومية وكونها جماعة سياسية متخيلة. كما يرى "بأن القومية والهوية القومية (بمعنى الانتماء إلى الأمة) هي نتاج تقاطع معقد بين قوى تاريخية متعددة في نهاية القرن الثامن عشر".[152]

كما يؤكد بأن القومية "ليست جماعة صغيرة يعرف الفرد أفرادها شخصياً، أو يعتقد أنه يعرفهم كامتداد لشيء يعرفه بموجب قرابة الدم مثلاً كما يفترض بالجماعة العائلة الممتدة والقبيلة أو الحارة. القومية هي إذاً جماعة متخيلة، يتصورها المرء فينتمي إلى الآلاف والملايين من الناس المنتمين إليها أيضاً من دون أن يعرفهم أو يرتبط بهم برابطة طبيعية، ولكنه قادر على تخيل رباط كهذا".[153]

---

[150] المرجع السابق، 202.

[151] أبو ندا، "الهوية الفلسطينية المتخيلة،" 81، 82.

[152] ديب، *الجماعات المتخيلة*، 31.

[153] المرجع السابق، 28.

كما يؤكد بأن كونها متخيلة فإن ذلك لا يقلل من انتمائه لها، بل بالعكس "ربما يضطره التخيل، أو تضطره ضرورة التخيل إلى تقوية وشحذ هذا الانتماء بخيال أرفع وبوسائل أرقى".[154]

يوضح كذلك الكاتب بأن الجماعة المتخيلة "ليست جماعة خيالية، بل حقيقية وواقعية، وليس فقط لأن فعلها وتأثيرها كذلك، بل لأن تخيلها يجري بأدوات واقعية، قائمة. فالناس في هذه الحالة لا يتخيلون شيئاً من العدم وبواسطته، فتخيلها يحتاج إلى أدوات ناشئة تاريخياً، كما تتشكل المتخيَّل بهذه الأدوات من عناصر قائمة".[155]

كذلك فإن أندرسون يعتبر بأن الأمة كيان حديث نشأ مع نشأة الطباعة وظهور الجرائد والصحف كوسائل للتواصل، إذ يؤكد بأن "ما يجعل هذا التحول بالغ الأهمية بالنسبة لولادة جماعة الأمة المتخيلة، فيمكن أن نراه على أفضل وجه إذ ننظر في البنية الأساس لاثنين من أشكال التخيل لم يزدهرا في أوروبا إلا في القرن الثامن عشر؛ الرواية والصحيفة. حيث وفر هذان الشكلان الوسائل التقنية اللازمة لـ"إعادة– تقديم" ذلك النوع من الجماعة المتخيلة الذي هو الأمة".[156] وهذا بدوره ساهم بإنشاء مجتمع متخيل بين جمهور القراء وإحساس بالـ"نحن" الجامعة لأناس لا تعرف بعضها البعض.

وعليه، يمكن القول بأنه واستناداً لما جاء به منظرو الهوية، تم تقسيم الانتماءات إلى نوعين: "الانتماء المسمى "الإنسان المباشر" الذي "يولد إليه"، فأنت تولد إلى هذه الانتماءات، Face To Face Communities، بمعنى الانتماء المباشر "وجهاً لوجه"، وأما النوع الآخر من الانتماءات، فهو "الجماعات المتخيلة" Imagined Communities وهي جماعات لا تنتمي إليها مباشرة، لكنك تتخيلها كجماعة، أو تولّدها لنفسك، وهي ما ترد القومية ضمنها، حيث يكون "رأس المال الطباعي" العنصر الأساسي في تشكيل القوميات الحديثة كاختراع أيديولوجي سياسي، لا كوجود تاريخي جاهز منذ الأبد".[157]

---

[154] المرجع السابق.

[155] المرجع السابق، 28.

[156] المرجع السابق، 64، 65.

[157] المرجع السابق

1-3-7 الهوية والمشاعر المعبر عنها في حالة المقاومة:

من جانب آخر، تحدث أندرسون عن المشاعر التي تصوغ الهوية، مؤكداً "على الطابع شبه المرضي الذي تتسم به القومية، وعلى جذورها الضاربة في تربة الخوف من الآخر وكراهيته، وضروب ألفتها مع العنصرية".[158] ويوضح أندرسون في كتابه:

> أنه من المفيد أن نذكّر أنفسنا بأن الأمم تُلهم الحب، الذي غالباً ما يكون عميقاً منطوياً على التضحية بالنفس. أما منتجات القومية الثقافية- من شعر، ونثر قصصي، وموسيقا، وفنون تشكيلية- فتُظهر هذا الحب بوضوح شديد في آلاف الأشكال والأساليب. ومن جهة أخرى، كم من النادر حقاً أن نجد منتجات قومية مماثلة تعبر عن الخوف والنفور. وحتى في حالة الشعوب المستَعمَرة، التي لديها مبرر فعلي لأن تشعر بالكراهية تجاه حكامها الإمبرياليين، من المدهش أن نرى مدى الضآلة التي يتسم بها عنصر الكراهية في هذه الضروب من التعبير عن الشعور القومي.[159]

ومن خلال قراءته لبعض التجارب والمنتجات الشعرية في التحرر من الاستعمار، بيّن أندرسون أن التعبيرات كانت تشتمل على تعبيرات وطنية وغير مرتبطة بالمحتل، كما تم استخدام مفردات القرابة (الأم والوطن)، أو المفردات التي تتعلق بالوطن (الماء والأرض للتعبير عن البيت الأصلي). وكما يوضح، فإن هذان النوعان من المفردات يشيران كلاهما "إلى شيء يرتبط به المرء ذلك الارتباط الطبيعي. أي أن ثمة شيء لم يجر اختياره في كل ما هو "طبيعي"، وعلى هذا النحو، يكون الانتماء إلى أمة شيئاً ينطوي عليه لون الجلد، ونوع الجنس، والنسب، وتاريخ الميلاد؛ أي كل تلك الأشياء التي لا نملك شيئاً إزاءها. ويحس المرء في هذه "الروابط الطبيعية" ما يمكن أن يدعوه "جمال الجماعة". وبعبارة أخرى، فإن ثمة هالة من النزاهة تحيط بهذه الروابط، لأنها على وجه التحديد روابط غير مختارة".[160]

---

[158] المرجع السابق، 143.

[159] المرجع السابق.

[160] المرجع السابق، 144، 145.

أما فيما يخص الرموز، فيؤكد أندرسون بأنه "ليس ثمة رموز للثقافة القومية الحديثة تفوق أضرحة الجنود المجهولين في لفتها الأنظار واسترعائها الانتباه. وما تناله هذه النصب من إجلال طقسي عام لا سابق في الأزمنة القديمة، وهو يعود على وجه الدقة إلى كونها فارغة عن قصد أو إلى أن أحداً لا يعلم من الذي يرقد في داخلها".[161]

وبذلك، فإن أندرسون يؤكد بأن القوميات بشكل عام بما في ذلك المستَعمَرة، بل وتحديداً تلك، فإن تعبيراتها عن الهوية لا تتضمن مشاعر كراهية تجاه المستعمر، بقدر ما هي مشاعر تحتوي مفردات تعلق بالوطن ومشاعر تعبر عن رفض للعدوان والتحدي.

وفي السياق ذاته، يتحدث شريف كناعنة عن الشعوب الواقعة تحت الاحتلال وتعبيراتها، وكيفية لجوئها لأدوات مغايرة ورموز عدة لاستخدامها في معركتها ضد الآخر، إضافة إلى ما تتضمنه تعبيراتها من مشاعر تحد لمواجهة الآخر، إذ يرى كناعنة، بأن "الجماعات والشعوب المحتلة والمستعمرة والمستضعفة والتي فرضت عليها ثقافات وهويات غير ثقافتها وهويتها، هي التي تحتاج إلى استعمال الفلكلور والرموز الشعبية لتثبيت وتعزيز هويتها والدفاع عن ذاتها وجوهرها الثقافي والمعنوي".[162]

كما ويؤكد كناعنة بأن "الشعوب والجماعات القوية المتسلطة الواثقة من ذاتها ومن هويتها لا حاجة لها لاستعمال هذه الرموز، إذ لا حاجة لها للدفاع عن هويتها، ولديها عادة ما يكفيها من الرموز الرسمية كالعَلَم والنشيد الوطني والجيش ورموز السلطة الأخرى مما يغنيها عن اللجوء إلى الرموز الشعبية".[163]

كما يبين بأن الشعوب المستعمرة والتي كانت هويتها مهددة، لجأت إلى جمع أو خلق رموز تراثية كي تساعدها في تعزيز هويتها وفي حشد طاقاتها الإنسانية والمعنوية من أجل الانطلاق نحو تحررها واسترداد

---

[161] المرجع السابق، 55.

[162] كناعنة، *دراسات في الثقافة*، 449.

[163] المرجع السابق ، 449، 450.

كيانها".[164] ويستشهد لبيان ذلك بتجربة فنلندا[165] والتي اعتبر بأنها "المثال الكلاسيكي" الذي يعبر عن الارتباط الوثيق بين النضال من أجل التحرر والفكاك من المحتل من ناحية، والاهتمام بتراثها الشعبي والقومي من ناحية أخرى، وذلك من أجل بناء كيان قومي وهوية حرة ومستقلة.

وبذا، فهو يرى أن الرموز مهمة في تكوين أمة من الأمم، والتي تستقي مضمونها من الثقافة الشعبية، والتي تعتبر العنصر الأهم في تكوين الهوية الجماعية للأمة، كما أنها تعتبر الجزء الأهم في الحفاظ على هذه الهوية وضمان استمراريتها وتثبيتها.

كما ويوضح كناعنة بأن دراسة مادة الفلكلور لم تكن من أجل ذاتها بل كانت من أجل دعم أهداف سياسية وقومية لدى بعض الشعوب التي كانت تسعى للتحرر، كما أنها كانت تقوم بخلق التراث والرموز المهمة، فخلقت قصصاً وأغاني شعبية تتحدث عن الماضي والبطولات، وهي بذلك عملت على خلق شخصية وطنية جماعية خاصة بها، "ذات صفات تميزها عن الشعوب الأخرى المجاورة لها، خصوصاً عن صفات الشعوب التي كانت تستعمرها أو تحتلها. وكانت الرموز التراثية التي خلقها أبناء مثل هذه الشعوب عبارة عن جسور تصل بين ماضٍ خياليٍ مجيد ومستقبل مشرق يتصف بما يتمنونه وما يطمحون إليه من التحرر والاستقلال".[166]

تتشابه فكرة الرموز وأهمية الماضي، مع ما ذكرته لاله خليلي حول أهمية الماضي في تشكيل الهوية الفلسطينية، حيث تؤكد "أن جميع الذكريات القومية مرتبطة بصور رمزية أو أشياء أو أشخاص، وأن هذه الرموز هي جزء من رواية أكبر حول الأمة، حيث أن الأمة بحد ذاتها وفي كثير من الأحيان صورت على أنها هوية، و"شخصية قومية"، وسيرة ذاتية".[167]

---

[164] المرجع السابق، 450.

[165] تعرضت فنلندا للاحتلال السويدي في أواخر القرن السابع عشر، وحاول السويديون فرض لغتهم على الفنلنديين وطمس كل معالم ثقافتهم، وما كاد الاحتلال السويدي يزول حتى جاء الاحتلال الروسي فلجأ الفنلنديون إلى العمل على إحياء تراثهم الشعبي وعاداتهم وتقاليدهم وتاريخهم وأمجادهم من أجل المحافظة على شخصيتهم، ومن أجل حشد طاقات أبناء شعبهم للتخلص من الاحتلال الأجنبي. كناعنة، *دراسات في الثقافة*، 450.

[166] كناعنة، *دراسات في الثقافة*، 450.

[167] Laleh Khalili, *Heroes & Martyrs of Palestine*,), 1, 2.

وقد تحدثت عن أهمية الرموز الوطنية في تشكيل الهوية فتقول (مثلاً وليس حصراً): "إن للقومية الفرنسية La Marseillaise (النشيد الوطني الفرنسي)، والباستيل، وديغول. والقومية الأمريكية لديها العَلَم، ويوم الرابع من تموز (يوم الاستقلال)، والحرب الأهلية، وGround Zero (منطقة تدمير برجي التجارة العالمية في نيويورك يوم 11 أيلول 2001). أما رموز القومية الصهيونية فتتمثل بـ المسادا (مسعدة) والصابرا (اليهود الذين ولدوا أثناء وبعد عملية تأسيس الدولة في 1948)، وديفيد بن غوريون، و"إذا نسيتك يا قدس". أما القومية الفلسطينية فلديها النكبة، والانتفاضة، وقبة الصخرة، ومجازر صبرا وشاتيلا، والكوفية المرقطة، وصور الشهداء".[168] وتوضح الخليلي "بأن أيٍّ من هذه الرموز، هي ليست ساكنة، وهي متغيرة عبر التاريخ، أو لا يمكن أن يبرز ما ينافسها. فهذه الروايات القومية والأيقونات ذات البعد الهام، كثيراً ما تلقى منافسة، سواءً بين بعضها البعض أو بواسطة أيقونات أخرى".[169]

كما تبين "بأن قصة الأمة يتم الاحتفال بها وإحيائها بطرق وأماكن مختلفة، كما أنها تنتقل من جيل لآخر، ليتم تكوين وتشكيل الجوهر الأساسي للأمة وشخصيتها".[170]

وبذا، وبناءً على ما سبق، ونظراً لارتباط الهوية والثقافة بالصراع، سيتم اللجوء للنظرية البنائية كمنهج لدراسة الصراع من خلال التعبيرات الثقافية، المتمثلة بالفعاليات الثقافية في المراكز والمدارس في المخيم إضافة إلى الإذاعة المدرسية، وكذلك محاضر اجتماعات لأندية ومدارس في المخيم. كما سيتم التركيز على أهم الرموز والصور والمضامين التي تحملها هذه المنتجات وتعبر عنها ومحاولة قراءتها وتحليلها من خلال تتبع عنصر "الخيال"، ومحاولة الوصول من خلال التحليل لكيفية تخيل الأفراد لرابط يجمعهم، إضافة لتحليل المشاعر والموضوعات التي تعبر عنها هذه الفعاليات وتتضمنها، وذلك كنوع من الاختبار لما جاء به

---

[168] Khalili, *Heroes & Martyrs of Palestine,* 2.

[169] Ibid

[170] Ibid, 1, 2.

بندكت أندرسون عن المشاعر التي تصوغ الهوية والمعبر عنها في الجانب الثقافي لدى الأمم الواقعة تحت الاحتلال.

وعليه، يتبين أن دراسة الهوية وفهمها يتم من خلال عدة مداخل، تتمثل بفهم وتحديد مستويات الهوية وكيفية التعبير عنها، ومن خلال فهم الأبعاد الرمزية والمتخيلة التي تعبر عنها هوية الأفراد والمشاعر التي تتضمنها تعبيراتهم لأنها تعكس دواخلهم، ومعرفة كيف يرى الإنسان نفسه ويعبر عنها، بناء على انتمائه أو من خلال علاقته بالآخر. مع التأكيد على نوعية الخطاب المستخدم من قبل الأفراد الذين هم جزء من شعب يمتلك خصوصية تواجده تحت تأثير الاحتلال، وهو ما ينطبق على تجربة الواقع الفلسطيني. ومن هنا جاء الاهتمام بالخطاب الثقافي لهؤلاء الأفراد، ومحاولة فهم المستويات التي يعبرون عنها في هويتهم وما الذي تعكسه تعبيراتهم من مشاعر ومفاهيم. وعليه، وللوقوف على هذه القضايا وغيرها، سيناقش الفصل اللاحق خصوصية الحالة الفلسطينية على ضوء هذه القضايا، مع التركيز على محاولة فهم الخصوصية التي تتميز بها الحالة الفلسطينية، ومحاولة معرفة التداخلات وفهم التمازج الذي حدث لها، وكيف أثر حدث مهم ومفصلي كالنكبة، على هوية اللاجئين المقيمين في المخيم والذي غدا كمكان إنتاج للهوية وللمحافظة عليها. وبذا، وعلى ضوء هذه القضايا جميعاً، سنتبين كيفية دراسة وفهم هوية الفلسطيني اللاجئ المقيم في المخيم والقابع تحت الاحتلال، من خلال تعبيراته وفهم أبعادها المتخيلة والرمزية والمشاعر التي تعبر عنها والمستويات والتداخلات التي تحتويها وتعكسها مثل هذه التعبيرات ومن خلال هؤلاء الأفراد.

2.الهوية الفلسطينية

بعد الحديث عن الهوية بشكل عام، سيتم في هذا الفصل التطرق للحديث عن الهوية الفلسطينية بشكل خاص، والتي ينتمي إليها أفراد مخيم الدهيشة، عينة الدراسة، كونها المؤطر الخاص والأضيق والأشمل والذي يمكننا، إضافة لإطار الهوية العام، من تحليل تعبيرات الأفراد وبالتالي فهمها ومعرفة ما تحتويه وتعبر عنه، مما يمكننا من الإجابة عن الأسئلة بخصوص كيفية تعبير الأفراد عن أنفسهم وعن الآخر من خلال تعبيراتهم. وسيتم ذلك من خلال الحديث أولاً عن خصوصية الهوية الفلسطينية التي ترزح في حالة صراع مع آخر يحاول القضاء عليها، والعوامل التي أثرت عليها وعلى تكونها، ومن ثم استعراض للمدارس (الرؤى) المختلفة والتي تحدثت عن نشأة الهوية الفلسطينية ومعرفة الجدل القائم حول هذه المسألة الجوهرية من خلال استعراض الآراء المتعددة والتي تشابهت أحياناً، واختلفت حد التعارض في أحيان كثيرة. كما سيتم الحديث عن هوية اللاجئين وكيف أثرت حالة اللجوء على هويتهم.

كما سلف في الفصل الفائت تتضمن تعابير الهوية مكونات مختلفة، مثل اللغة والثقافة والدين والوعي الجماعي ومعايير الحياة الاجتماعية المتوارثة. و"الهوية الفلسطينية تتضمن هذه العناصر، دون أن تختصر إليها على الإطلاق، فالعنصر الحاسم فيها هو: التجربة الفلسطينية التي تعيد تعريف هذه العناصر جميعاً، من حيث هي تجربة خاصة بالفلسطينيين دون غيرهم".[171]

كما أنه ونتيجة لتعدد المراحل التي مرت بها الحالة الفلسطينية والعوامل التي أثرت على هويتها، وبالتالي تداخل عوامل عدة في تكونها، فإنه "قد جرى تمازج في الهويّة وتراتبها"،[172] بمعنى أنه قد "تداخلت الهويّات من خلال عملية تاريخية مزجت بين المحليّة والوطنيّة"[173] "القوميّة (العربيّة) والدينيّة (الإسلاميّة والمسيحيّة)

---

[171] دراج، *الهوية، الثقافة، السياسة*، 25.

[172] السقا، "الهوية الاجتماعية الفلسطينية،" 42. نقلاً عن Ernest Gellner, *Nations and Nationalism* (Oxford, Blackwell, 1983)

[173] المرجع السابق. نقلاً عن Rashid Khalidi, *Palestinian Identity: The Construction of Modern NationalConsciousness* (New York: Columbia University Press, 1997)

والعالميّة (الكونيّة). وعليه، فإن الهويّة تعني مجموعة من التّراتبات المتغيّرة حسب السياق، وهي لا تعني التّماثل، وإن خصوصيّة الهويّات الاجتماعيّة لا تلغي المشترك".[174]

وفي الحالة الفلسطينية، فإن "المحلية (الانتماء للحارة وللقرية وللناحية وللجهة) تداخلت مع الوطنية (فلسطين) "الانتدابية/ التاريخية" والقومية (العربية) التي تتعايش مع بعضها البعض مع الانتماءات العائلية والعشائرية والطائفية/ المذهبية الدينية، وتحديداً فيما يخص إدارة الاجتماعي، والتأثير على سياسات الهوية، وعلى تمثلات الأفراد وهوياتهم".[175]

ولكنها قد تؤثر "على الشعور بالمواطنة التي تسمو عن الانتماءات الخاصة لصالح الانتماءات العامة التي تعود للظهور والتوكيد عليها أثناء أزمة دولة أو أزمة مشروع اجتماعي، أو أزمة نظم اجتماعية تمارس التميز الاجتماعي لصالح شرائح أو فئات اجتماعية محددة بعينها على حساب شرائح أخرى".[176]

إضافة لذلك، فإن عوامل داخلية وخارجية عدة تؤثر في تكوين ومحتوى الهوية لأي شعب أو أمة. ولعل من أبرز هذه العوامل: "نمط الثقافة الوطنية ومحتواها المتضمن في الأدوات الثقافية المستخدمة، والبناء السياسي الأساسي للدولة، وأيدلوجيا وتوجهات السلطة الحاكمة".[177]

بحسب بعض المدارس، كما في ورد في الفصل السابق، رابط أساسي بين مؤسسة الدولة والهوية، وفي السياق الفلسطيني يمكن القول أنه "بحكم غياب البناء السياسي للدولة وبحكم مرحلة التحرر الوطني التي يعيشها شعبنا، فإن أبرز العوامل المؤثرة في تكوين ومحتوى الهوية الفلسطينية (وليس كلها) هي نمط ومضمون التعبئة الوطنية– الثقافية، والتحولات السياسية في توجهات القيادة، ومنعطف أوسلو وما نتج عنه

---

[174] المرجع السابق، 42.

[175] المرجع السابق، 43. نقلاً عن Edgar Morin, *Sociologie* (Paris, Fayard, 1984)

[176] المرجع السابق، 43.

[177] القلقيلي وأبو غوش، *الهوية الوطنية*، 39.

من واقع".[178] هذا إضافة إلى العوامل الاجتماعية والسياسية الأخرى؛ "مثل قيام سلطة وطنية فلسطينية في الضفة والقطاع، ممارسات الاحتلال القمعية، فشل عملية السلام، وتدهور الوضع الاقتصادي ...إلخ".[179] إن الحيز الزمني لهذه الدراسة، هي بالدرجة الأولى، في مرحلة ما بعد اتفاقيات أوسلو، عام 1993، أي تدرس تعبيرات، جرت في إطار سياسي واجتماعي جرى في نطاق هذه الاتفاقيات، ولذلك ربما يجدر التوقف عند هذه الاتفاقيات، ومجموعة من الفرضيات المرتبطة بها، قبل تحليل المنتجات الثقافية في الفصل التالي. بالحديث عن أوسلو والذي يعتبر من أهم المحطات التي مرت بها القضية الفلسطينية وأثرت عليها، فقد كانت أبرز التغييرات التي دخلت الحقل السياسي الفلسطيني بعد هذا الاتفاق، هو تراجع دور منظمة التحرير الفلسطينية والتي هيمنت على ذلك الحقل، وتولي السلطة الفلسطينية زمام الأمور وقيامها بدور محوري في ترتيب الأوضاع الداخلية للحقل. كما أنه لا بد من القول والتأكيد بأن هذا الاتفاق، قد كان له عظيم الأثر على الفلسطينيين، حيث أدى إلى تغيير نظامهم السياسي، والتأثير في طابع قضيتهم وتحويلها عن مسارها، وانتقال الحركة الوطنية الفلسطينية من مرحلة الصراع مع المشروع الصهيوني إلى مرحلة التفاوض والتعايش معها، ومن هدف التحرير الكامل بالنسبة إليهم، إلى هدف إقامة دولة مستقلة تقتصر على منطقة الضفة والقطاع، ومن ثم تباعاً، الانتقال من حيز الكفاح المسلح كوسيلة أساسية ومهمة لاستعادة الحقوق، إلى حيز المفاوضات التي لم تنته إلى اللحظة والتي أثمرت عن "اللاشيء"، على صعيد تحقيق حل الدولتين، وحتى مرحلة الانتهاء من هذه الأطروحة.

ومع قيام السلطة الفلسطينية انتقلت عملية صناعة "الهيمنة" في الحقل السياسي الجديد، من خلال قيامها "بمنح نفسها رموز دولة حديثة وشكلها، في المجالات المتاحة لها وفقاً لهذا الاتفاق والاتفاقات اللاحقة. وانتقلت من حقل يخيم عليه خطاب التحرير والمقاومة، ويقيم ائتلاف فصائل مسلحة، ويتسم بالتعددية السياسية والفكرية والإعلامية وبدرجة عالية من التسيس الجماهيري، ويدير تحالفات عربية ودولية على

---

[178] المرجع السابق.

[179] محمود ميعاري، "اللاجئون وغير اللاجئين في الضفة الغربية وقطاع غزة :هوية واحدة أم هويتان مختلفتان؟،" *ورقة مقدمة الى ورشة عمل بيرزيت حول الهوية* (بيرزيت: معهد إبراهيم أبو لغد للدراسات الدولية، وحدة الهجرة القسرية واللاجئين، جامعة بيرزيت، 2011)، 7.

أساس الموقف من حقوق الشعب الفلسطيني، إلى حقل تسيطر عليه سلطة مركزية تحتكر استخدام العنف في المناطق المحددة لها وفقاً للاتفاقات مع إسرائيل".[180]

كما أنه قد برز بعد قيام السلطة الفلسطينية تصوير مفاده "أن الدولة الفلسطينية باتت حقيقة قائمة أو على وشك، وأن فلسطين الدولة، وليس فلسطين الثورة، هي التي تفاوض اليوم من أجل استكمال سيادتها المنقوصة".[181]

والحديث هنا عن عملية استبدال الواقع بالصورة والتي تبرز "في المغالاة في الرموز الدولانية: المبالغة الشديدة في استخدام النشيد الوطني؛ التقديس اللفظي والمجرد للوطن؛ إشاعة مفردات «الدولة» (من سيادة الرئيس، إلى معالي الوزير... إلخ)؛ الرتب العسكرية (لواء، وعقيد...)؛ جوازات السفر الدبلوماسية؛ الإصرار على استعراض حرس الشرف في كل مناسبة، وغير ذلك".[182]

كما أن هذا الاتفاق "وما نجم عنه من تأجيل البحث في قضية العودة حتى مفاوضات الوضع النهائي، قد شكل خيبة أمل للاجئين بما يوحي به من تنازل عن حق العودة وتجاهل له. وبدا كأن القيادة السياسية، التي عبرت تاريخياً عن حقهم في العودة، أدارت الظهر لهم".[183] كما تجاوز تأثير اتفاق أوسلو "حدود العلاقة الصراعية بين الشعب الفلسطيني والمشروع الصهيوني فوق وطنه، ليطال مجمل النظام والحقل السياسيين ناهيك عن البنية الاجتماعية الفلسطينية على تنوع مركباتها وتجلياتها...كما طالت بتأثيرها أيضاً الهوية الفلسطينية".[184]

وفي الضفة الغربية وقطاع غزة مثلاً، وبعد توقيع اتفاق أوسلو وقدوم السلطة الوطنية الفلسطينية إلى الأراضي الفلسطينية، "أخذت القيادة الفلسطينية الوطنية التاريخية في العمل على بناء الدولة الفلسطينية

---

[180] جميل هلال، *النظام السياسي الفلسطيني بعد أوسلو: دراسة تحليلية نقدية* (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية بالاشتراك مع مواطن- المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، 2006).

[181] المرجع السابق.

[182] المرجع السابق.

[183] أبو دحو وآخرون، *أمكنة صغيرة*، 95.

[184] وسام الرفيدي، "الهوية الوطنية الفلسطينية بعد اتفاقية أوسلو: إشكالية التفكيك برسم النظام!،" *جريدة حق العودة*- صادرة عنبديل- المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين، بيت لحم، العدد 45 (تشرين الأول 2011): 8

المستقبلية من وزارات ومؤسسات وأجهزة أمنية وخدماتية واقتصادية، وأهملت الاستمرار في بناء الإنسان والمجتمع الفلسطيني، وأغفلت هويته الوطنية، وبناء وحدته الوطنية"[185]

كما أنه ونتيجة لأوسلو فقد حدثت "مجموعة من التحولات الهائلة في مسار القضية الفلسطينية وأدت إلى تداعيات مركزية شكلت بدورها السياق السياسي والاقتصادي والاجتماعي الحالي، كان أهمها استبدال سياسات الذاكرة بسياسات النسيان، على الصعيد الثقافي، أي التحوّل من سياسات بناء الذاكرة الجماعية الفلسطينية إلى سياسات طمسها عبر تكريس سياسات النسيان الجماعي".[186]

وكإحدى تداعيات أوسلو أيضاً، فقد قامت السلطة الفلسطينية بإخراج ملايين الفلسطينيين من عملية التمثل الهوياتي. وعليه، فقد غدت أوسلو "حدثا قطعياً وشرخاً هائلا في الهوية الفلسطينية من حيث تصورات الأجيال المختلفة عن فلسطين كمركز، وعملية تهميش فلسطينيي الشتات و1948 لصالح بعض أجزاء من الشتات".[187] هذا إضافة إلى ما تبع اتفاق أوسلو من "مشاريع ووثائق مختلفة رسمية وشبه رسمية، التي يتصوّر بعضها عودة اللاجئين إلى أراضي السّلطة الفلسطينية، التي تود السّلطة إقامة دولة عليها وهي الضّفة الغربية وقطاع غزّة والقدس الشرقيّة، وإسقاط حق عودة اللاجئين إلى قراهم ومدنهم الأصليّة، على اعتبار أنّها مناطق إسرائيلية، وأن ما يمكن تحصيله في ظل ميزان القوى هو عودتهم إلى مناطق السّلطة الفلسطينيّة وليس إلى إسرائيل، بدعوى وجود إجماع إسرائيلي على رفض عودة اللاجئين".[188] هذا وقد ترافق كل ذلك مع مبادرات متجددة عن حق التّوطين والتّعويض ودمج اللاجئين في مشاريع اقتصاديّة في البلدان المضيفة، أو في بلدان أخرى على استعداد لاستقبال لاجئين. وبالطبع، فإن هكذا موقف في الخطاب الرسمي السياسي من شأنه أن يحدث تأثيراً على مستوى آمال اللاجئين وعلاقتهم بهذه المؤسسات التي من

---

[185] أبو ندا، "الهوية الفلسطينية المتخيلة،" 93.

[186] الشيخ، "الهوية الثقافية الفلسطينية،" 93، 94.

[187] السقا، "الهوية الاجتماعية الفلسطينية،" 56.

[188] المرجع السابق.

المفترض أن تكون القائمة على مشروعهم الوطني، وبالتالي على هوية الأفراد باعتبارهم المكونين الأساسيين لمثل هذا الفضاء الوطني.

وبذا، وبسبب أوسلو وكما يقول الصحفي والقاص رجب أبو سرية "فقد ارتبكت الثقافة الوطنية، الأمر الذي فتح الباب لاتجاهات ثقافية متباينة لعل أهمها ظهور ثقافة سلطوية تبريرية كرست تبعية الثقافي للإداري المسؤول، وحولت المثقف من مبدع إلى موظف مرتزق، يفتقر إلى روح الثورة والنقد السياسي والمجتمعي في إطار المقاومة والمواجهة".[189]

2-1 خصوصية الحالة الفلسطينية:

فيما يخص خصوصية الحالة الفلسطينية، فيمكننا القول بأن حالة اللجوء الفلسطيني تعد من أطول حالات اللجوء في العالم، والتي كانت قد بدأت قبيل 1948، وما زالت مستمرة إلى اللحظة. ثم اكتملت عملية التهجير مع استيلاء إسرائيل على ما تبقى من أرض فلسطين التاريخية (الضفة الغربية وقطاع غزة) في حرب 1967، حيث تحوّلت الأغلبية العظمى من السكان الفلسطينيين إلى لاجئين؛ سواء كان ذلك في الدول العربية المجاورة أو في داخل وطنهم. هذا إضافة إلى أن هناك العديد من اللاجئين الموزّعين في بعض البلدان العربية، لا زالوا يعانون من الحرمان من الهوية.

كما أن أحد أسباب الخصوصية الفلسطينية، هي في فكرة "الهوية العابرة للحدود والتي ليست شيئاً طارئاً، ولكنها في الحالة الفلسطينية تبدو ذات خصوصية فائقة".[190] وعند الحديث عن الحالات الأخرى نرى أن الأرمن مثلاً قد توزعوا في العديد من مناطق اللجوء، كما أن الشركس والشيشان موجودون في بلدان عدة، "وهم إلى حد كبير يحافظون على رؤيتهم (تخيلهم) لأنفسهم كمجموعة ذات قدر من التمايز والارتباط بقضية وأرض بعيدة، ولكن فكرة العودة لتلك الأرض باتت مستبعدة إلى حد كبير، أو أصبحت أحياناً حقاً ممكناً، ولكن أصحاب هذا الحق قرروا البقاء في أماكن هجرتهم، دون أن يذوبوا كلياً في المجتمعات الجديدة، وهنا

---

[189] طلال عوكل، "واقع ومستقبل الثقافة الوطنية الفلسطينية،" *مجلة الدراسات الفلسطينية*، بيروت: المجلد 14، العدد 56 (خريف 2003):7.

[190] عزم، "كيف ندرس الهوية،" 21.

يبقى الحفاظ على الهوية قائماً في إطار المواطنة في دول "المهجر" التي باتت أوطاناً أيضاً".[191] أما في الحالة الفلسطينية فنرى أننا أمام "حالة هوية وطنية، ترتبط حصراً بأرض، لا يقطنها غالبية أصحاب هذه الهوية، ويريدون العودة أو –على الأقل– حق العودة".[192]

وبذا، فإن هوية الفلسطينيين تتصادم مع صراع لا يزال مستمراً،– وهذا لا يعني تأكيد تشكلها بفعل الصراع أو قبله، وهي قضية سيتم مناقشتها في القسم اللاحق والخاص بتاريخ الهوية الفلسطينية– يستهدف وجودهم الاجتماعي والثقافي، مما حدا بالفلسطيني أن يلجأ للمقاومة بكافة أشكالها لتكون الإطار الناظم في معركته ضد الآخر. كما يمكن القول بأن استمرار هذا الصراع إلى اليوم، لايزال يجعل من المقاومة "شرطاً لازماً لوطنية الهوية، وذلك على نحو يختلف عن المعنى المعروف للهوية الوطنية/ القومية لدى الشعوب والأمم الأخرى، والذي لا يرتبط بالضرورة بمفهوم المقاومة".[193]

وعليه، فإن الهوية الفلسطينية وبسبب وجود الصراع القائم، قد تبلورت على شكل مقاومة وذلك كوسيلة للصمود والتحدي، ولإثبات الوجود أمام الآخر الذي يستمر ويصر على إنكاره والذي يتبع كافة السبل لكي يعمل على إقصائه، وهذا ما يجعلها هوية نضالية في جوهرها.

وبذا، وعلى خلاف البشر العاديين، وبحكم خصوصية الوضع الفلسطيني، تعين على اللاجئين الفلسطينيين أن يرفضوا ويعوضوا ما فقدوه، بأن يعبروا عن ذلك بأساليب مختلفة، لكي يحافظوا على كيانهم ووحدتهم وهويتهم وعلى كونهم "فلسطينيين".

ونتيجة للوضع الفلسطيني وما حدث للفلسطينيين بفعل النكبة وتأثيرها –والذي سيتم التطرق للحديث عنها وعن تأثيرها على هوية اللاجئين في الفصل اللاحق–، تميزت الهوية الفلسطينية بما فيها هوية اللاجئين "بالتغير والثبات معاً: فهي متغيرة وهي ترد على التحديات المتتالية التي وقعت على "اللاجئين"، وهي ثابتة في انتسابها إلى وطن محدد المكان والتاريخ. بل إن ما هو متغير ومتبدل في الوعي الفلسطيني، الذي واجه

---

[191] المرجع السابق، 21، 22.

[192] المرجع السابق، 22.

[193] القلقيلي وأبو غوش، *الهوية الوطنية*، 20.

المنفى، هو الذي أنتج استمرارية الهوية الفلسطينية، لأن هوية سكونية في شروط متغيرة مآلها الضمور والزوال".[194]

2-1-1. اتجاهات حول نشأة الهوية الفلسطينية:

اختلفت الآراء وتعددت حول تاريخ نشوء الهوية الفلسطينية،وحول اعتبار النكبة (عام 1948) هي "المرحلة الفاصلة" التي يجب الاستناد إليها، وذلك بغرض تحديد إذا ما كانت الهوية الفلسطينية قد تشكلت وبرزت قبلها أم نتيجتها، وذلك لما ولدته من صراع مع الآخر استناداً للفكرة الأساس للهوية بأنه لا وجود لهوية محددة إلا بمواجهة هوية مغايرة لها. وقد تمحورت هذه الآراء في ثلاث: الرأي الأول يقول بفكرة ارتباط تشكل الهوية الفلسطينية بالحركة الصهيونية، أما الثاني فيتبنى فكرة الإنارة واستيقاظ الهوية حين تتعرض لتهديد خارجي. وأما الثالث "المضاد" فيرى أن الهوية الفلسطينية تشكلت في سياق تاريخي يسبق وجود الحركة الصهيونية. وسيتم استعراض هذه الآراء بشكل أوضح في السطور اللاحقة، إضافة إلى محاولة معرفة الرأي الذي يتبناه الأفراد في المخيم، بوعي أو دون وعي، وذلك من خلال تحليل للفعاليات التي يقدمونها وذلك في الفصل الثالث والأخير.

ولكن، لا بد بداية من القول والتأكيد هنا، بأن هذا الخلاف حول آليات تكون الهوية الفلسطينية وأشكال التعبير عنها وكما أوضح أباهر السقا كان لعدة أسباب وهي:

"أولاً: بسبب خطى التّكوين التّاريخي المرتبط بولادة القوميّات في المشرق العربي في مرحلة الاستعمار والانعتاق منه فيما بعد.

ثانياً: تأثرها بآليات نقل الدولة- الأمة (State –Nation)؛ وتشكّل الدّولة الحديثة التي تم تعميمها على الكرة الأرضية وتجذير تعميمها كأنموذج دولاتي للأشكال السياسية في العالم".[195]

---

[194] فيصل دراج، "فلسطين: الهوية والثقافة،" *عن مؤسسة ياسر عرفات*. رام الله، شركة مؤسسة الأيام، الكتاب السنوي، العدد 2 (كانون الثاني/ يناير 2012): 50.

[195] السقا، "الهوية الاجتماعية الفلسطينية،" 41.

ثالثاً: "لأن الوطنية الفلسطينية هي نتاج لعملية تاريخية مرتبطة بالسياق الفلسطيني من صعود الوطنيات/ القوميات ما بعد الخلافة العثمانية؛ مروراً بالاستعمار البريطاني (الانتداب) وصعود القومية العربية التي جاءت كمحاكاة للوطنية التركية، والتي هي بدورها محاكاة لحركتي الفتاة الإيطالية والألمانية والأوروبية الأخرى".[196]

رابعاً: "التّصارع مع المشروع الاستعماري الصّهيوني الذي سرّع بتنمية الشعور بالفلسطنة".[197]

أي أنّ هناك سلسلة أحداث تاريخية تطورت فيها الهوية الفلسطينية الحديثة، جميعها قوية، بما يكفي لتصور أنها العامل الأساسي في نمو الهوية الفلسطينية أو تطورها بالشكل الذي آلت إليه.

يرى مائير ليتفاك أن الهوية الوطنية الفلسطينية قد ظهرت فقط "في أعقاب الحرب العالمية الأولى نتيجة لعدة عمليات مترابطة ونتيجة للاضطرابات السياسية آنذاك: انهيار الإمبراطورية العثمانية، فشل الدول الخلف الأصلية في توحيد واستعادة سوريا الدولة العثمانية، وتصاعد التحدي الصهيوني، وإنشاء الحكم البريطاني على أرض فلسطين، وتسييس الفلسطينيين بسبب الظروف غير المستقرة بين عامي 1914 و1923. ولكن، تتباين آراء المؤرخين وتختلف حول تفاوت ومدى تأثير هذه العوامل على ظهور وتبلور الهوية الوطنية الفلسطينية".[198]

<u>الرأي الأول: أثر الحركة الصهيونية</u>

يتبنى هذا الرأي الفكرة القائمة على ارتباط الهوية الفلسطينية ونشأتها بالحركة الصهيونية باعتبارها أهم عنصر عمل على تشكل وتبلور الهوية الفلسطينية، إذ أن هناك العديد من الآراء والتي تجمع على الدور الحاسم للحركة الصهيونية في تأسيس الهوية الفلسطينية. وقد كان للنص الصهيوني الدور الأبرز في تأكيد هذا الطرح من خلال مفكريه ومؤرخيه من مثل مئير بئيل الذي يقول بأن "الحركة الصهيونية هي من أنجح

---

[196] المرجع السابق. نقلاً عن: *Eric Hobsbawm, Nations and Nationalism since 1870. Myth, Reality, (Cambridge: Cambridge University Press, 1990)*

[197] المرجع السابق، 42.

[198] Litvak, *Palestinian Collective*, 2.

الحركات القومية في التاريخ، فهي قد بدأت بغرض تأسيس جماعة قومية واحدة، وانتهت بتأسيس جماعتين، أي الاسرائيلية والفلسطينية معاً".[199]

وبذا، فترى بعض الآراء على أن تبلور الهوية الفلسطينية قد تم عبر خوض الفلسطينيين لصراعهم مع المشروع الصهيوني والامبريالية البريطانية. ففي مطلع القرن العشرين، برزت فوق أرض فلسطين متغيرات أساسية:

على المستوى السياسي، ومع بدء الغزو الصهيوني لفلسطين، وتفعيل عملية الاستيطان والهجرة اليهودية إلى أرض فلسطين خاصة بعد أن اتخذت بريطانيا القرار ببدء الانتداب على أرض فلسطين، تشكل الشعور لدى الفلسطينيين بوجود خطر حقيقي يتهدد وطنهم ووجودهم، وهويتهم. كذلك، فقد أدى تفكك الدولة العثمانية "إلى فتح الطريق لطروحات عديدة تتناول بدائل السيادة السياسية لهذا التفكك الذي يعني بالنتيجة انتهاء السيادة العثمانية التي دامت لقرون أربع. وقد كانت البدائل تلك تتراوح بين مشروع الاستقلالية اللامركزية ضمن الدولة العثمانية، مروراً بدولة مشرقية عربية واحدة، وشعار فلسطين جزء من سوريا الطبيعية وصولاً إلى استقلال فلسطين. وصولاً لتبلور المشروع الأخير على أجندة الحركة الوطنية منذ ما قبل الاحتلال البريطاني وصولاً للنكبة في العام 1948".[200]

---

[199] عصام نصار، "إشكاليات كتابة تاريخ الهوية الفلسطينية،" *مجلة الكرمل*، فلسطين: مؤسسة الكرمل الثقافية، العدد 63 (ربيع 2000): 248.

[200] الرفيدي، "الهوية الوطنية الفلسطينية،" 8..

من المهم القول بأن "الوصول لتبلور سياسي للهوية الوطنية، كشعور جمعي ومؤسسات كيانية لم يكن عملية ميكانيكة زمنياً في سنة معينة ولحظة محددة،بل هي عملية تبلور، مخاض إن جاز التعبير، تدوم سنوات طويلة وتتشابك فيها عوامل كثيرة وأطراف عدة ومتغيرات مختلفة، حتى تنضج".[201] وعليه فإن اعتبار مطلع القرن العشرين هو الزمن السياسي الذي تبلورت فيه الهوية الوطنية أمر يعني "مخاضاً دام لسنوات عديدة، تصل لحدود النكبة الفلسطينية في العام 48 وما تلاها".[202]

من ناحية أخرى، "فإن الاحتلال البريطاني ومتطلبات عملياته العسكرية من جهة، ونهبه للمنتجات المحلية من جهة ثانية، والمتطلبات الإدارية/ الوظيفية لجهاز حكمه، كل ذلك أدى لبروز دور مديني/ حضري ساحلي تمظهر بانتعاش مدن حيفا ويافا كمراكز اقتصادية تجارية، احتضنت لاحقاً ولادة التعبيرات الكيانية للهوية الوطنية".[203] كما أن أهم نتائج هذا الدور المديني "هو بروز أنوية الفئات الاجتماعية المدينية الحديثة (الفئات الوسطى والعمال والأجراء عامة)".[204]

ارتباطاً بذلك الصعيد الاقتصادي/ الاجتماعي، "يمكن ملاحظة ولادة التعبيرات السياسية والاجتماعية عن الهوية في عشرينيات وثلاثينيات وأربعينيات القرن الماضي (أحزاب، مؤسسات نقابية، اتحادات، جمعيات، صحافة وإعلام...). لذلك، يمكن فهم تحليل عزمي بشارة المعروف: النكبة دمرت نواة المدينة الحداثية وتعبيراتها في فلسطين".[205]

وبذا، وبالأخذ بهذا الرأي وما يؤكده البعض من الباحثين، وبتطبيق الأمر على تجربة تشكل الهوية الوطنية الفلسطينية، سنجد أنه على الرغم من وجود الشعب الفلسطيني على أرض فلسطين التاريخية منذ سنين، إلا أن حديثه عن هويته الوطنية لم يتبلور إلا بفعل صدمة جسدها المشروع الاستعماري الغربي. إذ أن مواجهة مخططات الاستعمار والاحتلال الأجنبي والتي ابتدأت بالانتداب البريطاني، ومن ثم انتهت بالمشروع

---

[201] المرجع السابق.

[202] المرجع السابق.

[203] المرجع السابق، 8.

[204] المرجع السابق.

[205] المرجع السابق.

الصهيوني الذي يسعى لاجتثاث أصحاب الأرض واستبدالهم بآخرين ليؤكد وجوده وأحقيته في الأرض، كل ذلك اقتضى العمل على تأكيد الذات والتمسك أكثر من أجل مواجهة الآخر.

الرأي الثاني: إنارة الهوية وليس نشأتها

في سياق آخر متصل، يتبنى البعض تفسيراً للخروج من مأزق الجدل، حيث يتبنى فيه القاعدة المعروفة والتي تقول: "تعرف الأشياء بأضدادها". وهو ما تبناه فيصل دراج في أطروحته حول الإنارة حيث يقول "أنه لا وجود لنص أدبي إلا مقارنة مع نص آخر، يضيء ما تميز به الأول والعناصر التي شكلته والأسباب التي أملت كتابته. والنص الآخر الذي يضيء الهوية الفلسطينية هو النص الصهيوني".[206]

يؤكد دراج من خلال أطروحته "أن الهوية تكون "معتمة" أو "نائمة" فتأتي الهوية المضادة لإنارتها وإيقاظها. وبذا فهي تكون موجودة، وما يفعله الخطر المضاد معها، هو بعثها وإيقاظها. وهذا يعني بحسب دراج بأن للصراع دور جلي في إبراز وتنوير وإيقاظ الهوية الوطنية الفلسطينية، ولكن مع رفضه أن الهوية الفلسطينية خلقتها الحركة الصهيونية. كما أنه يرى بأنه "لا وجود لهوية محددة إلا بمواجهة هوية مغايرة لها، تهددها وتمنع عنها الخيار الحر وتقرير المصير".[207]

كما يؤكد دراج أيضاً بأن هوية الإنسان "تستيقظ حين يشعر صاحبها بتهديد خارجي، فمن دون هذا التهديد تظل الهوية غافية، فلا معنى لها إلا مقارنة بهوية أخرى خارجية ومهددة".[208] وهنا من المهم الالتفات إلى الحديث عن "صحيان" الهوية وليس تكونها، فالتهديد بحد ذاته لا يصنع هوية، ولكنه يسهم في تحديد بعض مساراتها، وخصوصاً كيفية ومدى التعبير عنها.

---

[206] زكريا محمد، *في قضايا الثقافة الفلسطينية*، عن مواطن، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية (رام الله: مؤسسة ناديا للطباعة والنشر والإعلان والتوزيع، 2002)، 35. نقلاً عن فيصل دراج، "في الهوية الفلسطينية،" *الكرمل*، العدد 50 (1997): 31.

[207] دراج، "فلسطين: الهوية والثقافة،" 52.

[208] المرجع السابق، 9.

أطروحة دراج، على الرغم من غموضها النسبي، "تفتح الباب، ولو مواربةً، لرفض فكرة الدور الحاسم للحركة الصهيونية في تشكيل الهوية الفلسطينية".[209]

لذا، وكما يوضح زكريا محمد فإن الصراع "هو حاضنة تبلور الهوية الوطنية الفلسطينية، وليس من العلمية بمكان تناول العلاقة بين المشروعين: الهوية الوطنية والمشروع الاستيطاني خارج دائرة الصراع. وكما يحلل ويوضح أن ذلك هو المقصود عندما يتحدث فيصل دراج عن النص الآخر الذي يضيء الهوية، يحفزها للظهور، والآخر هنا النص الصهيوني حصراً الذي يشتبك مع النص الفلسطيني".[210]

في السياق ذاته، يؤكد محمدأيضاً على ما أتى به دراج حيث يقول بأن "النص الصهيوني، أو الصهيونية، لا تلعب دوراً حاسماً في تشكيل النص الفلسطيني أو الهوية الفلسطينية. وكل ما يفعله هو "إثارة" الآخر الفلسطيني وتوضيحه. وهذا هو حال كل هوية. فما من هوية لأي شعب في العالم تنهض وحدها، إنها تنهض حين تصطدم بنقيضها وعدوها. وعليه، فإن حركتين قوميتين تتناقضان لا بد من أن تؤثر إحداهما في الأخرى".[211]

<u>الرأي الثالث: الحداثة</u>

من ناحية أخرى، تجد هذه الدلائل العديدة والتي يتفق عليها معظم الباحثين، من يحاججها ويتبنى رأياً مغايراً، رافضاً الحجة التي تربط ولادة الهُويّة الفلسطينيّة بالمشرُوع الصّهيوني، بل هي خلاصة لعوامل عدة، حيث يرى أتباع الرأي الآخر بأن الهوية الفلسطينية في تشكلها، لم تكن كردة فعل على الحركة الصهيونية كما يدعي البعض، بل لها جذورها وتاريخها والذي سبق هذه الأحداث. إذ أن هناك من يعيد بذور تبلور الهوية الفلسطينية "إلى بدايات القرن الثامن عشر مرتكزاً على خطاب محمد علي باشا بعد انضمام الأسطول العثماني إلى الأسطول المصري، في 9 يوليو/ تموز1839 قائلاً: "يا أبنائي إننا جميعاً أمة واحدة. من الآن فصاعداً يجب أن لا يقول أحد منا: أنا مصري، أو أنا فلسطيني. فلنا جميعاً عقيدة واحدة

---

[209]محمد، *في قضايا الثقافة الفلسطينية*، 35.

[210]المرجع السابق.

[211]المرجع السابق.

ورأس واحد، وتلزمنا الوحدة لنعيد للسلطة منعتها ".[212] فهذا النص لا يشير فقط إلى هوية فلسطينية منذ ذلك الوقت المبكر، "بل أيضاً إلى وعي للفلسطينيين لأنفسهم بأنهم فلسطينيين، ولولا ذلك لما تم التركيز في الخطاب على أهم عنصرين في إمبراطورية محمد علي باشا داعياً بينهما، انطلاقاً من ثورة الفلسطينيين الكبرى ضده العام 1834، وهذا لا يشير إلى تبلور الهوية الفلسطينية عبر الانتفاضات الفاشلة فقط، بل أيضاً إلى تماسكها وتصاعدها".[213]

وبذا، فإن الكاتب زكريا محمد هنا يأخذ بهذا الدليل، رافضاً لوجهة النظر التي تبين بأن تبلور الهوية الوطنية جاء نتيجة كردة فعل على المشروع الصهيوني وحليفه البريطاني؛ مستنداً بذلك إلى حملة محمد علي باشا المذكورة سابقاً على بلاد الشام، موضحاً بأن تبلور الهوية الوطنية كان مطلع القرن التاسع عشر، وربما قبل ذلك. كما يبين أيضاً أن هذا الكلام "يأتي على لسان أهم شخصية في المشرق العربي في النصف الأول من القرن التاسع عشر، لذا، فلا يمكن تجاهله. كما أن هذا النص يشير إلى هوية فلسطينية، في ذلك الوقت المبكر، ولم يكن محمد علي يشير إلى الفلسطينيين كمجموعة خاصة لو لم ينظروا هم إلى أنفسهم على أنهم كذلك".[214]

كما يرى محمود مصلح بأن تبلور الهوية الفلسطينية "لم يكن بالأمر المفاجئ بل سبقته وتداخلت فيه مراحل ثلاث مهدت لترسخه وهي: العثمانية (1856–1908)، العروبية (1908– 1914)، والقومية العربية (1918– 1920)".[215]

وبحسب هذا الرأي، الذي يرفض رؤية نقطة البداية في الهوية الفلسطينية، بأنها المشروع الصهيوني، فإنّهوعلى المستوى الاقتصادي/ الاجتماعي، فقد أثرت الإصلاحات العثمانية، الاقتصادية والاجتماعية

---

[212]مسعود ضاهر، "النهضة العربية والنهضة اليابانية: تشابه المقومات واختلاف النتائج،" *عالم المعرفة*، عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 252 (ديسمبر 1999): 113.

[213]محمد، *في قضايا الثقافة الفلسطينية*، 36.

[214]المرجع السابق.

[215]عماد الدين محمد أبو رحمة، "أثر عملية التسوية السياسية على الهوية الفلسطينية– دراسة لاتجاهات طلبة الجامعات الفلسطينية بقطاع غزة،" *رسالة ماجستير* (فلسطين، غزة: جامعة الأزهر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، دراسات الشرق الأوسط، 2011): 16. نقلاً عن محمود مصلح، *"أصول الهوية الفلسطينية،"* (The Origins Of Palestinian Nationalism) (جامعة كولومبيا، نيويورك، 1998)

والإدارية، أواسط القرن التاسع عشر (1859) "على فلسطين كما على مجمل المناطق العربية الخاضعة للحكم العثماني المباشر.إن قرار تسجيل الأراضي قد عنى تحويلها لملكية خاصة، وبالتالي سلّعها، الأمر الذي قاد لعملية رسملة للريف الفلسطيني من جهة، وتبلور التركيب الطبقي بشكل أكثر فأكثر وضوحاً بين الفلاحين والإقطاع من جهة ثانية".[216]

أما رشيد الخالدي، ومع تتبعه لسير الأحداث التاريخية المرتبطة بفلسطين، سواء بفترة الحكم العثماني أو حتى بعد انهيار الحكم العثماني واستعمار البلاد العربية وتقسيمها إلى دول، وكذلك فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى وما بعدها وصولاً للنكبة الفلسطينية، وجود الانتداب البريطاني ومن ثم الاحتلال الاسرائيلي مروراً باتفاقية أوسلو، فيؤكد بأن الهوية الفلسطينية هي في حالة تشكل وتطور دائم عبر التاريخ، وتأثرت بالعديد من الأحداث التاريخية والتطورات السياسية والثقافية المحيطة بها، أي أنها لم تأت نتيجة فعل أو رد فعل على حدث تاريخي معيّن مثل الاحتلال والذي شكل عامل تهديد للهوية الفلسطينية.[217] وبذا، فإن الهوية الفلسطينية لها أبعاد ومقومات ثقافية واجتماعية، ولا تقتصر على العامل السياسي وحده.

وعليه، وكما تبين سابقاً، بأن هناك آراء مختلفة ومتعارضة حول نشأة الهوية الفلسطينية، فرأي يرى بأن الهوية الفلسطينية قد تبلورت عبر عملية تاريخية منذ سنين، وآخر يراها قد تبلورت كردة فعل على الحركة الصهيونية، بمعنى أنه لولا وجود الصراع الفلسطيني/ الصهيوني لما تبلور ما يعرف بالهوية الفلسطينية. أما الرأي الآخر فجاء كخروج من مأزق التعارض ليتبنى الرأي القائل بفكرة الإنارة وصحيان الهوية الفلسطينية نتيجة لوجود حالة التهديد من قبل الكيان الصهيوني. وبذا، ومن خلال عرض الآراء حول تاريخ نشوء الهوية الفلسطينية، يبدو جلياً بأن هذا الحدث هو موضع جدل قائم لم يحسم بعد، لكن، يبقى من المهم القول بأن عوامل عدة عملت على خلق وتبلور الهوية الفلسطينية وعبر سنوات ومراحل مختلفة، ولا يمكن الوقوف

---

[216] المرجع السابق. نقلاً عن تمار غوجانسكي، حنا إبراهيم، مترجم، تطور الرأسمالية في فلسطين (الناصرة: المكتبة الشعبية، الفصل الأول، 1987)، 15- 40.

[217] Rashid Khalidi, *Palestinian Identity: The Construction of Modern National Consciousness* (New York: Columbia University Press, 1997).

على مرحلة والتركيز عليها دون الأخرى، فبالرغم من أهمية النكبة مثلاً وتأثيرها على سير حياة الفلسطينيين وهويتهم، وتولد الصراع ما بين الفلسطينيين والكيان الصهيوني وتأثيره على مختلف الجوانب، إلا أنه لا يمكن الوقوف على هذه المرحلة وأخذها كنقطة أساسية ومرتكز لتولد الهوية الفلسطينية ونشأتها، مع إغفال المرحلة السابقة وتأثيرها على تولد الهوية الفلسطينية. وبذا، **ترفض** هذه الدراسة الرأي الأول القائل بفكرة الدور الحاسم للحركة الصهيونية في تشكل الهوية الفلسطينية، **لتأخذ** بالرأي الذي يؤكد على أن للهوية الفلسطينية جذورها وتاريخها، **مع** فكرة إيقاظ الهوية؛ أن الهوية الفلسطينية مرت بمراحل تاريخية عدة ومتنوعة أدت لتبلورها وتشكلها، مع القول بأن وجود الاحتلال المتمثل بالحركة الصهيونية وتولد الصراع ما بين الفلسطينيين وهذا الكيان عقب النكبة، هو الذي أيقظها وأعطى الهوية الفلسطينية مضمونها وحفز ظهورها وذلك من خلال نضالها ضد المشروع الصهيوني. **مع التأكيد مرة أخرى** على أن "صحيان" الهوية لا يعني تكونها، ذلك أن التهديد بحد ذاته يسهم في تحديد بعض مسارات الهوية، وخصوصاً كيفية ومدى التعبير عنها ولكن لا يمكنه أن يصنع هوية، وهذا يعني بالضرورة، وللتأكيد مرة أخرى، على رفض وجهة النظر التي تبناها البعض والتي يقرون من خلالها الدور الحاسم للحركة الصهيونية في تشكيل الهوية الفلسطينية، وبأن ظاهرة تبلور شخصية وطنية فلسطينية في العصر الحديث، ارتبطت بالاستيطان الصهيوني. إذ أن تبني هذا الرأي يعني ضمنياً القبول بالنص الصهيوني الذي يلغي الفلسطينيين وهويتهم ووجودهم التاريخي، وبأن الحركة الصهيونية هي فعلاً من اخترع الحركة الفلسطينية، أي أنه لولا وجود الحركة الصهيونية وتولد حالة الصراع بين الطرفين، لما وجد ما يعرف بالهوية الفلسطينية أبداً.

2-2 اللاجئون الفلسطينيون والهوية

2-2-1. هوية اللاجئين وأثر اللجوء على هويتهم:

استكمالاً لما تم عرضه سابقاً حول هوية اللاجئين، لا بد من معاودة التأكيد مرة أخرى بأن قضية اللاجئين تعد "من القضايا الأساسية في الصراع الفلسطيني/ العربي- "الإسرائيلي"، والتي نشأت منذ النكبة عام 1948، وفي الرؤيتين الفلسطينية و"الإسرائيلية" لنهاية الصراع، والمشاريع البديلة والمتخيلة لحل قضية

اللاجئين، وكذلك في علاقة الكثير من التجمعات الفلسطينية مع المجتمعات المضيفة".[218] كما أن قضية اللاجئين تعتبر "كمحور أساسي في تكون الهوية الوطنية الفلسطينية، وكانت قضية اللاجئين من المكونات الأساسية التي قامت عليها الحركة الوطنية الفلسطينية، حيث تخيلت أجيال كاملة العودة إلى ديارها وقراها التي هجرت منها، وبدا الهدف الأخير لآلاف اللاجئين هو العودة الفعلية".[219]

وبشكل عام، يمكن القول "إن الهوية التي تشكلت نتيجة حالة اللجوء، هي قوية لدى اللاجئين في أماكن سكنهم المختلفة، وهي أكثر قوة لدى اللاجئين في المخيمات. ولعل السبب وراء ذلك أن الإحساس بالهوية في فترات الاسترخاء – تراجع الأداء النضالي، يظل حاضراً بسبب ظروف الحياة المزرية للاجئي المخيمات، بينما يتوارى هذا الإحساس لدى غيرهم وراء مغريات ومساعي الاندماج".[220]

كما أنه من المهم جداً عند دراسة هوية محددة، أن نقوم بدراسة عوامل تشكلها وتطورها وتبلورها وانكماشها (جرى الإشارة لها في الفصل السابق). وإذا كانت الهوية "تتحدد أساساً بنوع الآخر الذي تواجهه"،[221] فإن "الهوية كيان يصير، يتطور إما باتجاه الإنكماش، وإما باتجاه الانتشار".[222] وعليه، يبدو من المهم جداً القيام بالبحث في أثر النكبة واللجوء على الهوية الفلسطينية، وعلى هوية اللاجئين أنفسهم في سياق بحث خصوصية الهوية الفلسطينية.

وعليه، تدور الأسئلة هنا حول حقيقة وجود هوية متمايزة للاجئ، وإذا ما كانت تتطور وفي أيما اتجاه يكون هذا التطور، "فإذا كان الفرد داخل الجماعة الواحدة، قبيلة كانت، أو جماعة دينية أو إثنية، عبارة عن (أنا) داخل الجماعة الواحدة، والجماعة بغض النظر عن طبيعتها وماهيتها، هي كالأفراد عبارة عن (أنا) داخل الأمة أو القومية، لكل منها (أنا) خاصة بها، و(آخر) تتعرف من خلاله أو عبره على نفسها بوصفها ليست إياه. وإذا كانت العلاقة بين الهويات الفردية والجمعية والوطنية تعيش حالة مد وجزر دائمين بتغيير اتجاه كل

---

[218] السقا، "دراسة سوسيولوجية،" 203.

[219] المرجع السابق.

[220] القلقيلي وأبو غوش، *الهوية الوطنية*، 45.

[221] المرجع السابق، 29.

[222] المرجع السابق. نقلاً عن محمد عابد الجابري، "العولمة والهوية الثقافية: عشر أطروحات،" *مجلة فكر ونقد*، الرباط، العدد 10.

منها اتساعاً وضيقاً حسب الظروف وأنواع الصراع واللاصراع، والتضامن واللاتضامن التي تحركها المصالح، فإننا سنسأل: كيف أثرت النكبة واللجوء في تشكيل الهوية الفلسطينية؟".[223]

لقد شكلت نكبة 1948 مرحلة مهمة وفاصلة في حياة الفلسطينيين، إذ تركت آثاراً مهمة على مختلف جوانب حياتهم، وقد رأى البعض أن حالة الشتات واللجوء الفلسطيني، –وهي من بين عوامل أخرى–، "تستدعي سوسيولوجياً أن تضعف هويته الضعيفة أصلاً في تلك الفترة، بحكم تدمير بناء المجتمع الفلسطيني، بوصفه عاملاً أساسياً في تكوينها وتطورها، لأن الهوية الجماعية تولد من رحم عملية التفاعل الاجتماعي والثقافي بين أفراد المجتمع".[224]

إلا أن ما حدث مع الفلسطينيين قد كان بعكس ذلك، إذ شكلت حالة اللجوء والتشرُّد وضعاً آخر في حياة الفلسطينيين، حيث عززت هذه التجربة "إحساس الفلسطينيين بالتضامن كوسيلة للحفاظ على الهوية والوجود وكردٍّ على انعدام الأمان لديهم، وهذا ما ساعد على بناء الذاكرة الجماعية لديهم"،[225] و"أصبحت الذاكرة بديلاً من الأرض التي سلبت".[226]

وبسبب تجربة اللجوء كذلك، "تكون السيرة الذاتية صوتاً جماعيًا. (تكون الصورة لدى الفلسطينيين من خلال سيرهم الذاتية صوتاً جماعياً) أي إعادة تعريف للإنسان المضطهد، بشكل يحيل على ماكانه، وعلى ما يجب أن يكون عليه".[227]

كما يظهر أثر اللجوء الناشئ عن النكبة "في إعادة صياغة مفهومي الأرض والوطن، ونشوء أسباب جديدة للعلاقات الاجتماعية تقتضي التوحد والتعاون والتعاضد، فالقرية الأصلية المفقودة مثلاً أكبر بكثير من كونها

---

[223] المرجع السابق، 29.

[224] أبو ندا، "الهوية الفلسطينية المتخيلة،" 87، 88. نقلاً عن نورما مصرية، "في سوسيولوجيا أسباب فشل توطين اللاجئين الفلسطينيين: تجربة لاجئين قطاع غزة،" *السياسة الفلسطينية*، مركز الدراسات والبحوث الفلسطينية، فلسطين– نابلس،السنة 4 ،العدد13 (شتاء1997): 60– 93.

[225] المرجع السابق، نقلاً عن المصدر نفسه.

[226] المرجع السابق، 87، 88. نقلاً عن إبراهيم أبو لغد، "اليوم الأخير قبل سقوط يافا،" *الكرمل*، العدد 55– 56، (ربيع– صيف 1998): 117– 129.

[227] دراج، *ذاكرة المغلوبين*، 82.

مجرد مكان للعيش. لقد أنتجت ضرورة مواجهة اللجوء وظروفه وحدة في المفاهيم ونمطاً خاصاً للعلاقات الناشئة فيما بين اللاجئين ومحيطهم، وبالتالي برزت خصوصية هويتهم ضمن إطار الهوية الفلسطينية".[228] وبذا، يمكن القول بأن للاجئين "هوية واحدة شاملة هي هوية اللجوء، وأساسها الإحساس بالغربة عن الأرض والوطن والناس. فالأرض في ثقافة الفلسطيني، وخاصة اللاجئ الذي اضطر إلى تركها، في زمن اللجوء هي الوطن".[229] وهي في ثقافته "ثلاثية الأبعاد: جغرافي، اقتصادي، اجتماعي".[230] و والأرض في الذاكرة الفلسطينية مفهوم مركب؛ فهي "الناس بكل ما لهم من علاقات عليها وفيما بينهم..."،[231] وهي في وعي الفلسطيني "البوتقة، كما سماها ساري حنفي... وقد اعتبر البعض أن الأرض والوطن كلمتان مترادفتان".[232] الأرض بذلك "هي الذكريات التي لاتنسى، وأيام الحياة السعيدة في وطن جميل رفض البعض من اللاجئين مقارنته بأجمل بقاع العالم".[233]

وعليه، فما يمكن قوله هنا بأن الإبعاد عن الوطن وما تشتمل عليه هذه المفردة من معنى الأرض بحد ذاتها والقرية والحياة فيها، وذكريات ما قبل اللجوء، والمعاناة الجماعية بعد فقدان الأرض والممتلكات والذكريات وكل شيء، إضافة إلى التطلعات المستقبلة، هي العناصر المشكلة لثقافة اللاجئين وهويتهم.

2-2-2. المخيم كمكان "إنتاج هوياتي" ولصيانة الهوية:

فرضت حياة الشتات على المجتمع الفلسطيني أن يعيش "فضاءات اجتماعية مختلفة، مرتبطة بالمكان باعتبارها أمكنة لإنتاج هويات اجتماعية ذات خصوصية مرتبطة بتصورات وممارسات اجتماعية مشتركة".[234]

---

[228] القلقيلي وأبو غوش، *الهوية الوطنية*، 30.

[229] المرجع السابق.

[230] المرجع السابق. نقلاً عن عبدالفتاح القلقيلي، إعداد، *الأرض في ذاكرة الفلسطينيين: اعتماداً على التاريخ الشفوي في مخيم جنين* (رام الله: شمل- مركز اللاجئين والشتات الفلسطيني، 2004)،81.

[231] المرجع السابق، 30. نقلاً عن المصدر نفسه، 17.

[232] المرجع السابق. نقلاً عن القلقيلي، *الأرض في ذاكرة الفلسطينيين*، 17.

[233] المرجع السابق، 30.

[234] السقا، "دراسة سوسيولوجية،" 204.

بعد حدوث النكبة وبدء معاناة الفلسطينيين بسبب ظهور حالة التشرد واللجوء، توزع اللاجئون الفلسطينيون المنحدرون من المدن والقرى في الضفة الغربية وقطاع غزة، على 19 مخيماً في الضفة الغربية وثمانية مخيمات في قطاع غزة، إضافة إلى تشتتهم في مناطق اللجوء في الخارج، خصوصاً في الأردن وسوريا ولبنان.

وكما يرى أباهر السقا:

> فقد حمل هؤلاء اللاجئون وأبناؤهم هويات اجتماعية ارتبطت بجغرافيا المكان المقتلع. وقد أدى قدوم هذا العدد الهائل من اللاجئين الفلسطينيين إلى تغير البنى الاجتماعية والاقتصادية الفلسطينية، وصاحب ذلك مجموعة من التصورات للأطراف المختلفة ما زال لها تأثير على طبيعة هذه العلاقات بين المكونات المختلفة، تكونت خلالها هوية اللاجئين المتأثرة بحالة الاقتلاع والنفي، وبقي اللاجئون في هذه الفضاءات الجغرافية التي تحولت إلى مخيمات ثابتة؛ أي إلى فضاءات معمارية ثابتة.[235]

مع بدء مرحلة اللجوء في المخيم، بدأت مرحلة جديدة تتعلق بهوية اللاجئ داخل المخيم الذي يسكنه، لأن الحياة الجديدة في مخيم لاجئين مع آخرين لم يكن للشخص معرفة بهم مسبقاً، "يؤدي إلى ضياع الهويّة الاجتماعية التي كان اللاجئ يتميز بها في بلده الأصلي. يضاف إلى ذلك الشعور بضياع هوية الفرد أو العائلة بسبب وجود المؤسسات الرسميّة البيروقراطية التي تعامل الناس كأرقام دون تفرقة".[236]

أدى الشعور بعدم الطمأنينة والخوف من ضياع الهوية الاجتماعية وتبدلها إلى "ظهور تجمّعات داخل المخيم، للأقارب وأبناء القرية الواحدة أو المنطقة الواحدة من أجل التمايز وإعادة بناء هويّة اجتماعية لهم".[237]

---

[235] المرجع السابق.

[236] كناعنة، *دراسات في الثقافة*، 397، 398.

[237] *المرجع السابق*، 398.

ويؤكد شريف كناعنة على لجوء اللاجئين، وفي ظل وضعهم المعاش داخل المخيم، إلى "تعميق الارتباط بالوطن والتراث وإعادة إنتاج الوطن في المخيّم بمواصفاته ومواقعه وأحداثه ومناسباته، وإلى الإكثار من الطقوس والاحتفالات التي تحتوي على رموز تمثل الثقافة الوطنيّة، كما يكثرون من استعراض ثقافتهم بغرض إثبات وجود تراث وثقافة وطنيّة لهم".[238] وبذا، يصبح المخيم تدريجياً "مجتمعاً محلياً له هويته الخاصة، وترتبط هوية الأفراد بهذا المجتمع الجديد، خصوصاً أولئك الذين لا يتذكرون الوطن الأصلي أو لا يعرفونه. وتكون طرق توافق اللاجئين مرتبطة بمجتمع المخيّم وبيئته".[239]

وعندما يتوافق اللاجئون مع بيئة المخيم الذي يعيشون فيه، "يصبح أي تهديد بمثابة تهديد لبقاء المخيم أو لثقافته، حتى لو كان التهديد آتٍ من إمكانية العودة أو إعادة التراث. وهذه الانتفاضات أو الهبّات الثقافية تحسّن الوضع النفسي لسكان المخيم".[240] كما يؤكد كناعنة بأن الهوية الأثنية قد تتحول تدريجياً "من الولاء لمكان إلى استراتيجية توافق وبقاء في المجتمع الجديد، فمعرفة الشخص بتراثه الثقافي يساعده في الحفاظ على هويته وتعريفه لنفسه ويرفع منزلته في المجتمع المحلّي ويساعد في التفاعل مع الآخر، وبذلك يحافظ على بقاء المجموعة".[241] كما أنه ومع تقادم الزمن والانقطاع الثقافي بسبب صراع البقاء، "تظهر في المخيم حاجة لإنعاش الذاكرة الجماعية، وتظهر الكثير من المشاريع القوميّة، ويزداد التعلّق بالجغرافيا والمكان، ومع الابتعاد عن التجارب المؤلمة يزيد تذكّر ما هو جميل وجيد، ويجري خلق رموز جميلة ورومانسية للوطن، كما يجري إسقاط الذات على الأرض والوطن ويصبح الحديث عنها وكأنها كائن حي له شعور".[242] والواقع أنّ "رومانسية الوطن" هذه تتفق مع أطروحات أندرسون السالفة، عن طبيعة المشاعر التي تعبر عنها الأمم في تخيلها أو تذكرها للروابط فيما بين أبنائها، أو مع الأرض.

---

[238] المرجع السابق.
[239] المرجع السابق.
[240] المرجع السابق.
[241] المرجع السابق.
[242] المرجع السابق.

وبذا، فقد تمكن بذلك المخيم من "صنع فضاء اجتماعي مميز لأبنائه، من حيث طبيعة العمران وشكل التجمعات وظروف السكن الصحية ومستوى المعيشة، وكذلك التنظيمات الاجتماعية وممارسات سياسية لها خصوصية مقارنة مع تجمعات فلسطينية أخرى".[243] أما حضوره المتخيل في الحس الفلسطيني المشترك، فإن المخيم هو "قلعة الثورة"، وأبناؤه الوقود، ولأسباب مرتبطة بالحيز الجغرافي فإنه تاريخياً، قد تشكلت فيه خلايا للمقاومة المسلحة بطريقة أسهل مما هي عليه في بعض أحياء المدن الفلسطينية".[244]

كما يلعب المخيم/ المكان "دوراً أساسياً في السلوك والاستيعاب وأصناف التعبير عن الذات بالسلوكيات والمظهر الجسدي والصور المشحونة عاطفياً ومعيارياً ضمن آليات تصور إدخالي".[245]

لذلك، لاحظ بعض الباحثين من خلال دراساتهم عن المخيم وبيئته وساكنيه بأن سكان المخيمات "هم من كان الأكثر التصاقاً بالثورة وكانوا جنودها ووقودها، والأكثر إلتزاماً بالنضال من أجل حقهم في العودة، خاصة سكان المخيمات في الشتات".[246] هناك مجموعة من العوامل التي تميز المخيم وقاطنيه أهمها:

> أن اللاجئين في المخيم كمجموعة اجتماعية مغايرة لمجموعة اجتماعية أخرى، فإنها تظهر الانتماء الذاتي الذي يلعب دوراً في تخيل الأفراد لأنفسهم، وذلك مقارنة مع المجموعات الاجتماعية الأخرى، يرافق ذلك مجموعة من التصورات الاختلافية ضمن مجموعة من المبررات المعيشية، مثل قسوة المكان والتنميط الخارجي لهذه الجماعات، باعتبارها مجموعات اجتماعية متمايزة، وهنا تقع مجموعة من الاعتبارات مثل الدونية الاجتماعية، وكذلك تنميط هذه المجموعات صاحبة ممارسات سلوكية مغايرة، وأنماط معيشية مختلفة، وتتخيل هذه المجموعات نفسها، وتعيد بناء تخيلها لذاتها وللآخرين.[247]

---

[243] السقا، "دراسة سوسيولوجية،" 204.

[244] المرجع السابق، 205.

[245] المرجع السابق، 212.

[246] القلقيلي وأبو غوش، *الهوية الوطنية*، 37.

[247] السقا، "دراسة سوسيولوجية،" 205.

وفي مرحلة ما بعد اللجوء، أصبح المخيم بالنسبة للاجئين "رمزاً لفلسطين، وأصبحت عملية استحضار التاريخ المشترك الوسيلة لتشكيل الذاكرة الجماعية التي عملت على إدامة الهوية المتخيلة للاجئين، وبمعنى آخر، فإن "تقديس ما كان" أصبح المصدر لخلق ذهنية عامة ووعي الذات والعلاقة مع الآخر".[248]

وعليه، فيمكن القول بأن فضاء المخيم يؤدي أربع وظائف رئيسية هي: "مكان السكن؛ فضاء اقتصادي؛ فضاء للذكريات وتأكيد الهوية؛ فضاء لممارسة السلطة".[249]

2-3 الهوية الثقافية الفلسطينية:

عطفاً على ما تم عرضه سابقاً حول الهوية الفلسطينية بشكل عام، فكان لا بد من الوقوف عند الهوية الثقافية الفلسطينية بشكل خاص، لنتبين تميزها وعوامل تشكلها وبداياتها وعناصرها وأدواتها وأهميتها وما إلى ذلك من أمور ترتبط بها.

لا تشكل الهوية الفلسطينية استثناءً نظرياً، ويمكن استخدام وتطبيق التأطيرات النظرية سالفة الذكر، في فهمها وفي فهم "مسلماتها ومركزية كلاسيكيتها الكبرى، وهي: الأرض، والناس، والحكاية التاريخية الجامعة التي تربط بينهما".[250] هذه الهوية التي لا زالت ترزح تحت وطأة احتلال مستمر إلى اللحظة.

يقيم معظم منظري الهوية الفلسطينية "توازناً لا انفصام فيه بين التجربة التاريخية الفلسطينية وتمظهرات الهوية الثقافية الوطنية. ويقوم هذا التوازي على أن التجربة التاريخية، في أبرز محطاتها (وهي: النكبة، الشتات، الكفاح المسلح، النكسة، اللجوء الداخلي، الانتفاضات المتواترة، الرجوع الجزئي ضمن مشروع أوسلو وتحول منظمة التحرير الفلسطينية إلى سلطة فلسطينية، والانقسام) قد صبغت التشكل التاريخي للهوية الثقافية الفلسطينية"،[251] وجعلت "الهوية الفلسطينية تساوي الكفاح الوطني الفلسطيني".[252]

---

[248] مصرية، "ذاكرة الزمان والمكان،" 62.

[249] حنفي، "إدارة مخيمات اللاجئين،" 74. نقلاً عن Mohamed Kamel DORAÏ, *Les réfugiés palestiniens du Liban: une géographie de l'exil* (Paris: CNRS Editions, 2006).

[250] الشيخ، "الهوية الثقافية الفلسطينية،"70.

[251] المرجع السابق،77، 78.

[252] دراج، *الهوية، الثقافة، السياسة*، 42.

وبذا، فإن هذه الظروف التي فرضت واقعاً حياتياً جديداً "أدت إلى تحول ثقافة المجتمع الفلسطيني إلى ثقافة المقاومة. فالثقافة دائمة التغير بما تضيفه إليها الأجيال الجديدة من خبرات وأدوات وقيم وأنماط سلوكية، أو بالعكس بما تستبعده وتحذفه من بعض الأساليب أو الأفكار أو الأدوات القديمة التي لم تعد تتفق مع ظروف حياتها الجديدة"،[253] فقد تجسد نضال الفلسطينيين منذ صدور وعد بلفور عام 1917، ضد الإنجليز واليهود، "بالتظاهرات والاحتجاجات والإضرابات، والاعتصامات، ثم بالصدامات اليدوية، والهراوات، والحجارة، والرصاصة، وصولاً إلى الكلمة والأغنية الاحتجاجية التحريضية، الداعية إلى التصدي لقوى الظلم والعدوان المتجسدة بشخصي الإنجليز واليهود".[254]

يؤكد الكاتب فيصل دراج"بأن هناك ثقافات مختلفة وهوية ثقافية واحدة: ثقافات تأتي من الموروث والتجربة ومكان الإقامة، ومن الحصار وبؤس التعليم والوعي الزائف ومكان العمل...الخ. مع ذلك، فإن هناك هوية ثقافية فلسطينية واحدة، مشتقة من الفعل الكفاحي المتراكم وآفاقه، وتحمل دلالات التحرر الإنساني وتجاربه".[255]

كما أنه يوضح بأنه ورغم ما يقال بأن "المشروع القائم على القوة لا يعترف إلا بمعايير القوة، فإن هذا لا يغير من الأمر شيئاً، ذلك أن للفكر والكتابة والأدب وكتابة التاريخ وإعادة كتابته، والأشكال الأخرى من الثقافة، دوراً فاعلاً في مواجهة العدو وحصاره".[256] وهنا نذكر تعريف هانز مورغانثو (Hans) Morgenthau أحد رواد القرن العشرين في مجال دراسة العلاقات الدولية ومؤسس النظرية الواقعية في العلاقات الدولية، لمفهوم القوة، حيث يقول بأن "القوة قد تشتمل على أي شيء من شأنه أن يخلق ويضمن تأثير إنسان على عقول وتصرفات أناس آخرين، ابتداءً بالعنف الجسدي إلى العلاقات النفسية الأكثر ضعفاً

---

[253]عديلة، "تجليات الحب والكراهية،" 4. نقلاً عن سامية حسن الساعاتي، *الثقافة الشخصية* (بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1983)

[254]المرجع السابق، 4.

[255]دراج، "فلسطين: الهوية والثقافة،" 57.

[256]دراج، الهوية، الثقافة، السياسة، 34.

وأقل قوة، والتي تمكّن العقل من السيطرة والتحكم بعقول أخرى، وهي ظاهرة يمكن إيجادها طالما يعيش الأفراد ويتواصلون مع بعضهم البعض".[257]

وفي هوية الفلسطيني، "ترسخت مجموعة من السمات الحياتية التي صبغته وأعطته شكلاً ولوناً، فساهمت في تشكيل هويته. فالفلسطيني الذي تشتت في كل بقاع العالم، واختلط بكل الثقافات العالمية والعربية، حافظ على نمط ثقافي في علاقاته اليومية، ونمط حياته وزيه، واحتفالاته، وأتراحه، ونمط أغانيه وأهازيجه؛ بحيث كان ذلك من العوامل المشكلة لهويته".[258]

وعلى الرغم من تغيير غالبية الفلسطينيين لأنماط زيهم، "ما زال الفلسطيني يضع حطته على كتفه، وما زالت المرأة التي ترتدي الزي الغربي يومياً ترتدي الثوب الفلسطيني في المناسبات لتعبر به عن هويتها. ولا تزال القصيدة، وهي في التراث العربي تعبير أدبي روحي عن واقع الناس وطموحهم وآمالهم، أهم الأدوات الثقافية في تعزيز الهوية الفلسطينية".[259]

وبذلك، فقد كان لمثل هذه الأدوات الثقافية على اختلاف أشكالها ومضامينها، من أغنية وقصة ولوحة، أثراً كبيراً في الصراع القائم بين الفلسطيني والمحتل، إذ أدرك الفلسطيني قيمتها وقدرتها على مواجهة الآخر، باستخدامها كأحد السبل والأدوات في مشروع المقاومة والكفاح الخاص به، لأنه يؤمن بأن هذه الأدوات "تصل إلى أفئدة الناس قبل عقولها، وتترسخ في وعيهم بغض النظر عن مستواهم التعليمي".[260] كما أن لها قدرة على التغيير أكثر من أدوات عدة أثبتت فشلها في معركته أمام الآخر.

وعن دور وأهمية الثقافة باعتبارها أداة مقاومة مهمة في وجه الآخر، تحدث إدوار سعيد عن ذلك آخذاً بالمقاومة الفلسطينية كحالة ذات صلة، حيث يؤكد:

---

[257] Kenneth W. Thompson, rev., Morgenthau, Hans J, *Politics Among Nations: The Struggle for Power and Peace* (Boston: McGraw-Hill Education, 7th Ed., 2005), 9.

[258] القلقيلي وأبو غوش، *الهوية الوطنية*، 40.

[259] المرجع السابق.

[260] المرجع السابق.

إن المقاومة الفلسطينية تضم إطاراً كاملاً من أشكال التعبير الثقافي، الذي بات يشكل جزءاً من تماسك الهوية الفلسطينية وبقائها؛ فهناك سينما فلسطينية ومسرح فلسطيني وشعر فلسطيني وأدب بكل ضروبه، كما يتوافر خطاب فلسطيني نقدي وسياسي. وعندما يتعلق الأمر بالهوية السياسية، عندما تكون عرضة للتهديد، فإن الثقافة تمثل أداة للمقاومة في مواجهة محاولات الطمس والإزالة والإقصاء. إن المقاومة شكل من أشكال الذاكرة مقابل النسيان. وبهذا الفهم، أعتقد أن الثقافة تصبح على قدر كبير من الأهمية.[261]

وحيث "لم تكن النكبات لتوقف حس الاندفاع نحو المقاومة، فكان الشعراء يتبارون في نظم قصائدهم عند النكبات الكبيرة لشحذ العزائم ومتابعة النضال وتضميد الجراح وتثخينها لتكون باعث مقاومة بدل الاستكانة أو الخوف".[262]

أما على صعيد المؤسسات، فقد مثَّل المجتمع المدني الفلسطيني خلال فترة الثمانينات وما سبق ذلك، "شبكة من المنظمات الشعبية والمسيسة التي تدعم الكفاح الوطني والحقوق الفلسطينية غير القابلة للتصرف".[263]

أما في مخيمات اللاجئين، فقد عملت "مراكز الشباب النشطة واتحادات المرأة على مستوى المجتمع المحلي، في أغلب الأحيان سراً، على تنظيم الناس معاً بطريقة خاصة حيثما كان ذلك ممكناً. وقد لعبت هذه المنظمات دوراً هاما في النضال التحرري الفلسطيني، وقامت بدعم ومناصرة المقاومة بأساليب مختلفة باعتبارها أدوات تؤدي بها دورها النضالي".[264]

---

[261] علاء الدين أبو زينة، مترجم، إدوارد سعيد، *الثقافة والمقاومة* (بيروت: دار الآداب، 2007)، 143

[262] حلواني، "تجليات ثقافة المقاومة،" 5.

[263] ريتش وايلز، "الفن المقاوم: التربية المقاومة من خلال الفنون والثقافة الشعبية في مخيمات اللاجئين في بيت لحم،" *جريدة حق العودة– صادرة عن بديل*– المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين، بيت لحم، العدد 37 (شباط 2010): 14.

[264] المرجع السابق.

وفي خضم هذه الأنشطة، فقد كان يتم تنظيم "أعمال ثقافية وفنية جماعية مثل الدبكة الشعبية وفرق الزجل الشعبي، وقد واصلت هذه التقاليد الغنية في دعم ومناصرة الحقوق الوطنية، واستمرت في ممارسة حقها في المقاومة باعتبارها جزء من الكل الفلسطيني".[265]

ولأن الحركة الثقافية والإبداعية الفلسطينية "تبلورت من وجع الواقع، وتطورت في الميدان أو في السجون، فإنها عاشت نبض الناس وتفاعلت مع القضية؛ فاستمدت منها الحياة ونفثت فيها روح الصمود والإرادة. لذا، فأن تنظم مؤسسة ما سلسلة من الفعاليات الثقافية، وأن يولد مهرجان من رحم واقع مرير، فذلك لا يشكل خروجاً عن السياق بقدر ما يعبّر عن إصرار الفلسطينيين على الحياة بأشكالها وتجسيداتها الاجتماعية والثقافية والإبداعية والفكرية والأخلاقية".[266]

إن مثل هذه العناصر الثقافية للمقاومة الفلسطينية لم تكن بالشيء الغريب أو الجديد في الساحة الفلسطينية/ الثقافية؛ فظهور المثقفين على اختلاف أعمالهم وأساليبهم كان ولم يزل؛ فكان الكتّاب، والشعراء والفنانون والموسيقيون جميعهم، معاً أو فرادى، يلعبون دورهم الخاص في مسيرة الكفاح الوطني، كل على طريقته، مستخدمين الفنون والثقافة كـ "سلاح" مقاومة خاص بهم، فمحمود درويش وشعر المقاومة الماثل والمتأصل في أشعاره ومفرداته، وكتابات غسان كنفاني المتمثلة بشخصياته الروائية، وحنظلةناجي العلي[267] ورمزيته المفرطة، كلها مجرد أمثلة قليلة في قائمة الممارسات الفنية والثقافية والتي ظهرت وانتشرت في داخل فلسطين وخارجها خلال معركة النضال من أجل الدفاع عن فلسطين أرضاً وشعباً وحقوق.

وما يمكن قوله هنا، أن الخطاب الثقافي في الحالة الفلسطينية استطاع "صياغة هوية ثقافية، سياسية، إنسانية، فلسطينية، سواء بأدواته الفكرية، والمتمثلة بأدبيات مفكرين فلسطينيين مثل إدوارد سعيد وغيره، أو

---

[265] المرجع السابق.

[266] عيسى قراقع، "استراتيجية الدفاع عن النفس أمام سياسة النفي والإلغاء،" *جريدة حق العودة- صادرة عن* بديل- المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين، بيت لحم، العدد 37 (شباط 2010): 2.

[267] حنظلة هي أشهر الشخصيات التي رسمها رسام الكاريكاتير الفلسطيني ناجي العلي في كاريكاتيراته، ويمثل صبياً في العاشرة من عمره. أدار حنظلة ظهره للقارئ وعقد يديه خلف ظهره عام 1973م . وقد أصبح بمثابة توقيع ناجي العلي كما أصبح رمزاً للهوية الفلسطينية.

الأدبية، خاصة تلك التي تمثلت بأدب المقاومة، أو بأدواته الفنية من مسرح وسينما وموسيقى وفن تشكيلي وغيرها من أشكال الإبداع الفلسطيني".[268]

وبذا، فإن عوامل عديدة أثرت بالهوية الثقافية الفلسطينية وعززت من وجودها، وجعلت من الثقافة مرآةً تعكس كل ما يدور في واقع الفلسطيني ويختلج دواخله، وكما يرى الباحثون، ومن بينهم قاسم حسين صالح، إذ يقول بأن "المفاهيم السياسية والاجتماعية والأيدلوجية لعبت دورًا كبيرًا في تطور أشكال ومضامين العمل الفني باعتبار أن المبدع لا ينتج عمله الفني من خلال عينة فقط، أو رؤيته البصرية للأشياء".[269] كما يؤكد "بأن الفنان لا يستخدم عينه فقط عندما يرسم بل يهتم بالسياسة، ويشعر بوعي لكل الأحداث والتغيرات التي تجري في العالم من حوله ويستجيب لها بكل وجوده ولا يمكنه أن يبقى بعيدًا عن الناس ويعيش في عزلة، إن الفن لم يخلق لتزين البيوت، إنه سلاح للهجوم والدفاع ضد الأعداء".[270]

2-3-1 خصائص الفن الفلسطيني

لتوضيح أهمية الثقافة ودورها كفعل مقاوم وأداة من أدوات الكفاح غير المسلح والذي يؤمن به العديدون، والتي تم استخدامها في العديد من الأدوات والمحطات في حياة الفلسطيني كما يظهر في هذا القسم، سيتم الأخذ بتجربة الأغنية الفلسطينية ومضامينها خلال محطات ومناسبات متعددة، مثالاً لتوضيح ذلك.

تظهر الأبحاث والدراسات التي تمحورت حول الهوية الثقافية الفلسطينية، بأن الخطاب الثقافي الفلسطيني تمحور بشكل أساسي "حول مركزية القضية الفلسطينية والمأساة الإنسانية المتمثلة باحتلال الأرض وتهجير الفلسطينيين منذ عام 1948. ووجد هذا الخطاب نفسه، ومعناه في نفس الوقت، في معركة المواجهة ضد

---

[268] مسلماني، *النكبة في الخطاب الثقافي*، 9.

[269] قاسم حسين صالح، *في سايكولوجية الفن التشكيلي : قراءات تحليلية في أعمال بعض الفنانين التشكيليين* (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 1990)، 42.

[270] صالح، *في سايكولوجية الفن التشكيلي*، 42.

احتلال الأرض وتهديد التراث والهوية الفلسطينية، وأخذ على عاتقه مسؤولية توثيق المأساة الفلسطينية المتمثلة في النكبة وما لحقها من أحداث أخرى لا يزال يمر بها الشعب الفلسطيني".[271]

وعلى سبيل المثال لا الحصر، ظهرت العديد من الأغاني التي تتحدث عن مواضيع خاصة وتعبر عن أحداث ومناسبات عدة، مثل أغاني الانتفاضة والمقاومة وأغاني تعبر عن حق العودة واللجوء والصمود في سجون الاحتلال، إضافة للأناشيد الخاصة بالشهداء وتمجيد بطولاتهم، وأخرى للحديث عن المدن والقرى المهجرة. إضافة للأغاني الفلسطينية التقليدية التي لا زالت حاضرة إلى اليوم وفي مختلف المناسبات ومنها ظريف الطول والدلعونة والروزنة، (وهي أغاني كانت حاضرة في الفعاليات التي نظمتها المدارس التي قامت الباحثة بزيارتها وحضور فعالياتها).

وبذا، فإن الأبحاث التي تمت على الأغنية الفلسطينية ومضامينها، تؤكد بأن "أحداث نكبة عام 1948، ونكسة عام 1967 وما تلاها من عقود، أظهرت مدى التصاق الأغنية الفلسطينية بقضايا الوطن وأحداثه. فبالرغم من حالة الشتات واللجوء التي أفرزتها تلك الأحداث بين أفراد المجتمع الفلسطيني لم تتمكن هذه الأحداث من تجريد المجتمع الفلسطيني من هويته الثقافية، فلا إسرائيل ولا غير إسرائيل قادر على إنهاء ثقافة مجتمع ما".[272]

فالأغنية الفلسطينية ترتبط بشكل مباشر بحياة الإنسان الفلسطيني، إذ وكما تم الذكر سابقاً، بأن الأحداث التاريخية التي مر بها الفلسطينيون قد بلورت حياتهم الثقافية والاجتماعية وأثرت عليها بشكل كبير، كما ساهمت في خلق مفاهيم ومضامين معينة وجدت صداها في الأغنية الفلسطينية، التي لازالت باقية ويتوارثها الأجيال، فكما يرى رادكليف براون Radcliffe– Brown بأن الثقافة تتبلور "في عملية اكتساب التقاليد الثقافية، وهي العملية التي تنتقل بها اللغة والمعتقدات والأفكار والذوق الجمالي والمعرفة والمهارات في

---

[271] مسلماني، *النكبة في الخطاب الثقافي*، 9.

[272] عديلة، "تجليات الحب والكراهية،" 7.

مجتمع معين من شخص إلى آخر، ومن جيل إلى آخر".[273] وبذلك، فقد أصبحت الأغنية جزءاً من ثقافة وحياة الإنسان الفلسطيني، والتي يعبر من خلالها عن نفسه وواقعه وقضيته ومشاعره.

استمدت الأغنية الفلسطينية المقاومة مضامينها، من واقع معاش يختبره الفلسطيني ولا زال، في جميع محطات حياته المختلفة، فعبرت عن هموم ومشاعر الأفراد، كما عبرت عن صموده ونضاله وسعيه للحرية وحلمه بالعودة، "مُشكّلة حالة إبداعية قادرة على تصوير الواقع بلحظته المتحركة بكل صدق وعفوية. وهذا واضح في كافة نصوص أغاني الحياة النضالية الفلسطينية. بحيث استطاعت الأغنية الفلسطينية المقاومة النزوع نحو تأسيس رؤى جمالية مختلفة خارجة عن المألوف، كما وأخذت المتابعين لها إلى ضائقة أكثر رحابة وأكثر انفلاتاً من جمود القوالب المعيشية، وهشاشة النصوص المطروحة السائدة".[274]

وعليه، فقد كانت الأغنية الفلسطينية بمثابة المترجم لمشاعر الكثير من الفلسطينيين، وكمحفز للبعض الآخر، وكأداة مقاومة من نوع آخر، قادرة على إكمال المشهد النضالي بجميع عناصره. وبذا، استطاعت الأغنية الفلسطينية أن تجسد مفهوم الالتقاء بالآخرين، "من خلال نضوج الوعي والفكر الجماهيري الكاره والغاضب والرافض للظلم والقهر، والساعي نحو تحقيق الذات المبدعة والوجود الخلاق حباً بالحرية والحياة، وعليه اتخذ أفراد هذا المجتمع من ألحان الأغنية الشعبية جملاً لأغنيات المقاومة"،[275] مؤكدين على وجهة نظر أرنست فشر، "بأن الأغنية الشعبية تتصهر في الوجدان الشعبي حتى تتعدى أصلها الفردي وتأخذ طابعها الجماعي كون إنسانها يطمع أن يكون أكثر اكتمالاً لأنها تمثل قدرته غير المحدودة على الالتقاء بالآخرين".[276] وقد عبر الفلسطينيون عن ذلك من خلال إبداعاتهم الفنية والتي جسدت معاناتهم وقضيتهم،

---

[273] المرجع السابق، 3.

[274] المرجع السابق، 20، 21.

[275] المرجع السابق، 2.

[276] المرجع السابق. نقلاً عن أرنست فيشر، *الإشتراكية والفن* (بيروت: دار القلم، 1972)، 14.

وهذا يتفق وما يقوله كاجان بأن "إبداع الفنان دائماً تعبير ذاتي، لأن المجتمع لا يوجد فقط حول الفنان بل وفي داخله أيضاً، ولأن شخصيته هي مجموع كل العلاقات الإجتماعية".[277]

وبذلك، فإن الفن حينما يندرج بالحياة الاجتماعية "يدرج تلقائياً في وعي الشعب، محققاً بذلك القيمة الجمالية في عمق الوعي الإنساني، هذا الوعي الذي يفجره الإبداع بشكل جدلي".[278] لذلك فإن الأغنية الفلسطينية ليست إلا نتاج للواقع الذي يعيشه المجتمع الفلسطيني، وبالتالي اهتم بها الأفراد وجعلوها أداة حاضرة في مناسباتهم جميعها، وعليه فقد أصبحت الأغنية في مقدمة أشكال الرفض والمقاومة، والمعبرة عن وجدان هذا الشعب وفكره، لتشكل بذلك مرآة تعكس ثقافة أفراده.

وعليه، فقد تميزت الهوية الثقافية الفلسطينية بتخلقها وتكونها في سياق استعماري قائم إلى اللحظة، كما أن هناك العديد من العوامل والمنعطفات والتي أثرت في هذه الهوية وجعلت من الممكن استخدامها كأداة مقاومة في وجه الأخر. وقد تعددت الأدوات الثقافية والتي تم استخدامها في تعزيز الهوية الثقافية الفلسطينية واستخدامها كأداة مقاومة في مواجهة الأخر، فتنوعت ما بين الكتابة والمسرح والموسيقى واللوحة، والتي كانت لها جميعاً أثراً واضحاً في الصراع القائم بين الفلسطيني والمحتل.

سيتم من خلال الفصل اللاحق استعراض لبعض هذه الأدوات المستخدمة من قبل اللاجئين في مخيم الدهيشة، لبيان أثرها وأهميتها في معركة الفلسطيني مع المحتل، وكيف يعمل على استخدامها كأداة مقاومة مختلفة يؤمن بقدرتها على التغيير والتأثير أكثر من أي أداة أخرى. كما سيتم دراسة ما تم تقديمه وطرحه من قضايا تتعلق بتداخلات الهوية الفلسطينية وتأثير اللجوء على هوية اللاجئين في المخيم، والذي أصبح مكان لإنتاج الهوية والمحافظة عليها، وذلك من خلال تحليل وتوضيح وفهم ما قدمته الفعاليات الثقافية التي يقدمها الأفراد في مخيم الدهيشة، ومعرفة ما تعكسه هذه الفعاليات من مضامين ومشاعر وأبعاد.

---

[277] المرجع السابق، نقلاً عن المصدر نفسه، 12.

[278] المرجع السابق، 3.

3. مخيم الدهيشة...تجليات الهوية الثقافية:

يأتي هذا الفصل لدراسة حالة مخيم الدهيشة تحديداً، استناداً للدراسة الميدانية التي قامت بها الباحثة وما نتج عنها، ولتطبيق الإطار النظري والذي جرت مناقشته في الفصول السالفة. وقد اشتملت الدراسة الميدانية على زيارات للمدارس والمؤسسات في المخيم، وحضور بعض الفعاليات التي تقوم بها المؤسسات والمدارس، إضافة لحصص الرسم في المدارس، ومقابلة الأفراد ذوي الاختصاص والعلاقة بالجانب الثقافي من مدراء المدارس وطلبة ومسؤولين عن الجانب الثقافي في المدارس والمؤسسات الثقافية، والحصول على تقارير ومحاضر اجتماعات لأندية ومدارس في المخيم، وتحليل رسومات ومواضيع الإنشاء المقدمة من قبل الطلبة.

استهدف تحليل البيانات التي توصل لها العمل في الميدان، اختبار مجموعة الافتراضات والاستخلاصات التي جرى استنباطها من الفصول والدراسات السابقة، وقد جرى تقسيم هذا الفصل إلى أربعة أقسام، يستعرض الأول البعد المتخيل والرمزي للهوية، أي مدى وجود، وتفاصيل، الرابط "المتخيل" الذي يجمع أبناء الشعوب. وفي القسم الثاني سيجري بحث محتوى مشاعر الهوية التي تتضمنها التعبيرات الثقافية، لأبناء المخيم، ومدى اتساقها مع نماذج التعبيرات الثقافية، لدى الأمم الواقعة تحت الاحتلال، والتي جرى تبيانها في الفصول السابقة. والقسم الثالث، دراسة مستويات الهوية المتخيلة المختلفة، وتمازجها ومستوياتها والتعبير عنها لديهم، بدءاً من دوائر الانتماءات العائلية، وانتماءات أبناء المخيم الأصلية التي تعود جذورها لمرحلة ما قبل النكبة، عام 1948، وصولاً للدوائر الفلسطينية والعربية والإسلامية، وسيجري إفراد جزء من هذا القسم لحياة المخيم ودورها الخاص في تكوين الهوية.

وقبل بدء التحليل يجدر الإشارة إلى أمرين: أولهما أن المواد التي تم الحصول عليها من المدارس والتي قدمها الطلبة في الاحتفالات والمناسبات أو خلال الكلمات الصباحية، تنقسم إلى نوعين: ما كتبه الأطفال بأنفسهم مع تدخل للأهل في بعض الأحيان، وتدخل بسيط من قبل مسؤولي الأنشطة، يقتصر فقط على إعلام الطلبة بالمناسبة بهدف التذكير والتحضير، ومن ثم الاطلاع على الموضوع من أجل تنقيح الكلمات

إن لزم الأمر أحياناً. ونوع آخر وهو المواد الجاهزة والتي استعان بها الطلبة من أجل المناسبة من مثل القصائد والأغاني المختلفة والمتنوعة. ولم يكن هناك مؤشر على توجيه أو قيود تفرض على الطلبة أثناء نشاطهم.

هذا إضافة إلى أنّ المناسبات المختلفة والاحتفال بها في المدارس، والفعاليات الثقافية والتعليمية، جاءت ضمن خطط ممنهجة وبرامج معدة ومنظمة من قبلمعلمي وإدارات المدارس والمؤسسات، ومن قبل متخصصين ومسؤولين، يدركون قيمة وأهمية مثل هذه الفعاليات ودورها في تكوين وتعزيز الهوية، مع محاولة تذكير الطلبة بها بهدف إشراكهم ودمجهم بالحدث. وهو ما يتضح، على سبيل المثال، من نظام سجلات مسؤولي اللجنة الثقافية في مدرسة الدهيشة، وما جاء فيها حول دور وهدف اللجنة، والذي يتمثل بـ"تعريف الطلبة على الواقع الاجتماعي والسياسي المحيط بهم، من خلال المحاضرات وإقامة الندوات واستضافة المختصين في هذه المجالات، وتقوية الحس الوطني والانتماء للوطن لدى الطلبة، إضافة إلى تقوية الحس القومي والانتماء للأمة العربية لدى الطلبة".[279]

3-1 الأبعاد المتخيلة والرمزية في الهوية في "الدهيشة"

إذا كانت الهوية، كما جرى مناقشتها سابقاً، عاملاً أساسياً في تكوين المجموعة (الجماعة)، وتحديداً في بناء وحدتها، وفي إيجاد حدود اجتماعية بينها وبين مجموعات أخرى، فإنّ عملية التكوين، وما يليها من صيانة وحفاظ على الهوية، ترتبط، على الأقل بحسب بعض المقاربات، بما جاء به أندرسون في أطروحته الواردة سابقاً في كتابه سالف الذكر، حول موضوع الجماعة المتخيلة التي ينتمي إليها الإنسان مع الآخرين. وهو "التخيل" المرتبط بالتاريخ الثقافي والسياسي المشتركين، وبالآمال المستقبلية، والمصالح المشتركة، بحيث يتعزز الإحساس لدى المجموعة، بالـ"نحن"، الجامعة لأناس لا تعرف بعضها البعض، لأن الجماعة المتخيلة وكما أكد أندرسون لا تنتمي إليها مباشرة، لكنك تتخيلها كجماعة أو تولدها لنفسك، عبر عمليات

[279] مدرسة ذكور الدهيشة الأساسية، "سجل اجتماعات اللجنة الثقافية والإذاعة المدرسية،" الأعوام الدراسية: 1996- 1997/ 1997- 1998/ 1998- 1999/ 1999- 2000/ 2000- 2001. 2

بعضها يتطور على نحو غير واعي وغير مخطط، وأحياناً بشكل مدروس عبر عمليات محددة، وربما يكون الجانب المخطط والمدروس مرتبط أكثر بعملية تأكيد وصيانة الهوية والحفاظ عليها وصيانة وتطوير رموز تعطي الأمة أو الشعب خصوصيتهما، أكثر منه بعملية الإنشاء للهوية.

بتطبيق الأمر على الفلسطينيين كجماعة، وكما اتضح من الفصول السابقة، فإنه نظراً للظروف السياسية، التي يرزح الفلسطينيون تحتها، فإنهم لم يتشاركوا فقط في الشعور بالانتماء مع آخرين لشعب واحد دون أن يعرفونهم بشكل مباشر، كما هو في حال الهويّات القومية عموماً، ولكنهم قادرون على تخيل رباط يجمعهم، رغم حالة التشتت الجغرافي، الناجم عن اللجوء والاحتلال لبلدان عديدة حول العالم، وهي حالة أوجدت وضعيات قانونية وحياتية متباينة للاجئين، ولكن هذا لم يحل دون تطور هوية فلسطينية، بل ربما عزز كثيراً أهمية البعد الرمزي والعقلي (المتخيل) في هذه الهويات. مع ضرورة التأكيد بأن مثل هذا البعد المتخيل لا يعني أنّ هناك شيء يأتي أو يتم تكوينه من الوهم أو أنه مجرد خيال يتم تخيله وبدون أساس له، بل إن هذا العنصر من شأنه أن يتشكل كنتيجة لعناصر مشتركة أولاً كالتاريخ الثقافي والسياسي والوضع المعاش والذكريات المتشابهة والمختلفة، إضافة للآمال المستقبلية، والمصالح المشتركة، أضف لذلك جميعه الرغبة بتعزيز الـ"نحن" الموحدة والجامعة من خلال هذه العملية، والتي من شأنها أن تثبت وتؤكد هويتهم التي يتشاركونها.

هنا لا بد من التذكير، أنّ هذا البحث لا يتعلق بنشأة الهوية الفلسطينية، وجذور تشكلها، وقد جرى بحث هذا الأمر في دراسات مختلفة لباحثين عدة، ولكن موضوع البحث، في شقه الميداني، هو تجليات هذه الهوية وتعبيراتها، في حالة محددة هي مخيم الدهيشة، وعبر مرحلة زمنية محددة.

تعد الكلمات الصباحية التي تقرأ في المدارس نشاطاً متكرراً على نحو كبير. وهذه الكلمات، كما يوضح مدراء المدارس ومسؤولو اللجان الثقافية في المقابلات ومن خلال الملاحظة أيضاً، ترتبط في أحيان بأحداث معينة آنية، أو ذكرى لحدث معين، وفي أحيان أخرى، وخاصة عند عدم وجود حدث مفصلي؛ آني أو كذكرى، فإن الكلمات تتنوع وتختلف في مواضيعها وما تطرحه، سواء كمواضيع سياسية أو اجتماعية أو

صحية. وعلى سبيل المثال لا الحصر، اشتملت الكلمات الصباحية في حالة وجود ذكرى معينة كالنكبة ويوم الأرض وذكرى المذابح ورأس السنة الهجرية، ويوم المعلم، ويوم الأم على كلمات في صلب الموضوع. إلا أنه قد تم الملاحظة أيضاً أن العديد من الكلمات الصباحية كانت قد تطرقت للحديث عن القدس وغزة بشكل خاص، خاصة في فترة العدوان الذي وقع أثناء إجراء هذه الدراسة، (والذي بدأ منذ 8 تموز وحتى 26 آب 2014). وفيما يلي بعض الأمثلة المستقاة من المواد التي تم الحصول عليها لبيان بعض الأمثلة على ما سلف.

في إحدى الكلمات الصباحية في مدرسة إناث الدهيشة الابتدائية مثلاً، تم التطرق للحديث عن غزة خلال العدوان المذكور، فكثرت الأشعار والكلمات التي تحدثت عن غزة من مثل:

حدثني...عن غزة هاشم

عشيقة الشهداء...وعن سر الشموخ فيها والإباء

وعمن أتاها...ليستنشق العزة من هواها

ويقبل ترابها...ويتعلم معاني المجد

من صغارها الأبرياء..

وحتى بعد انتهاء العدوان، وفي كلمة لإحدى الطالبات في تاريخ 2/9/ 2014، تقول مقتبسة من مصدر غير مبيّن:

اكتبوا على قبر غزة.. أن أبناءها وأخوتها قتلوها حين ضبطت متلبسة بالحب،

حب الحرية، حب الحياة فقاموا بإعدامها،

أهيلوا التراب على هذا الجسد المتعب بعذابات السنين وآثار السيوف...

فقد آن الأوان أن تموت بنواح خافت دون رحمة

فالحديث هنا عن غزة كان بأكثر من موضع وأكثر من طريقة؛ "حدثني عن غزة هاشم"، تتضمن الرغبة بمعرفة المزيد عن غزة التي يستحيل على الكثيرين الوصول إليها، وهذا ما يظهر بطلب الحديث عنها

لمعرفتها ومعرفة تفاصيلها التي يصعب معايشتها ومعرفتها بشكل مباشر لكن، وبرغم ذلك، لا يصعب عليه تخيلها وبالتالي ذكر تفاصيلها والحديث عنها، ولعل هذه القصيدة مثال صريح لعملية "التخيل"، وربط الذات بالمجموعة عبر حدث جامع، رغم البعد الجغرافي. فالطالب هنا، يعلن من خلال حديثه عنها وفي مثل هذه الظروف تعاطفه وتضامنه مع غزة أرضاً وأفراداً، لأنها جزء من الكل، فيأتي على ذكرها وذكر تفاصيلها التي يحاول تخيلها وبالتالي الحديث عنها لكأنه عايشها مع "جميعه" أينما كانوا: غزة الصامدة التي "تحب الحرية والحياة وتعرضت للإعدام"، ثم الحديث عن معاناة غزة التي لم يعشها: "هذا الجسد المتعب بعذابات السنين وآثار السيوف...تموت بنواح خافت دون رحمة". هذا العذاب بسبب من يحتلها ويمعن في إيذائها ويحاول القضاء عليها وعلى صمودها، وهو الآخر المشترك بين "جميعهم"، لأنه واحد أينما تواجدوا، وكلهم كما الأرض واحد.

وفي إحدى الكلمات التي تم إلقاءها بمناسبة عيد الاستقلال الذي يصادف الخامس عشر من شهر تشرين الثاني:

"....**نحتفل فيه بمخيماتنا بالخارج والداخل. أشعر باقتراب شمس الحرية أكثر من أي وقت مضى**".

يلاحظ هنا أن هناك عنصر تعزيز للروابط من خلال التأكيد على وضع اللجوء وما آلت إليه الحال ومكوثهم في مخيمات اللجوء بدلاً من بيوتهم وذلك بسبب ما فعله بهم الآخر.."نحتفل فيه بمخيماتنا"، مع التأكيد على موضوع التواصل والتضامن بين أبناء الوطن الواحد في الداخل والخارج أينما كانوا وبرغم كل شيء.."بمخيماتنا بالخارج والداخل". ثم يكون التأكيد على الأمل بالحرية التي ستأتي بيوم غير بعيد كما يؤكدون "أشعر باقتراب شمس الحرية أكثر من أي وقت مضى" وذلك بعد رحلة الصمود والألم ضد الآخر المحتل.

وفي إحدى الفعاليات المقامة في المدرسة ذاتها، تم التطرق للحديث عن **تعريف اللاجئ**، فكان التعريف كما الآتي:

"من هو اللاجئ، هو الشخص الذي طرد من أرضه بالقوة وبهدف الاستعمار، فنحن الشعب الفلسطيني قد لجأنا من بلادنا بفعل الاستعمار الاسرائيلي وحدث ذلك في سنة 1948، وقد تم ترحيلنا إلى الكثير من المناطق، فأهلي من قرية صرعا في داخل فلسطين وقد تم تهجيرهم إلى مناطق عديدة، فمنهم من ترحل إلى مخيم الدهيشة ومنهم إلى بيت ساحور ومخيم قلنديا ومنهم من هاجر إلى الأردن، فهذا ما حصل في كل القرى الفلسطينية الأخرى بيت نتيف وعجور وزكريا وآخرون".

هكذا تم تعريف اللاجئ من قبلهم؛ والذي بدأ بإحدى نتائج النكبة وهي عملية الطرد والاقتلاع من الأرض، بوصف حدث النكبة في الـ1948 وما ترتب عنها من حالة لجوء وتشرد وترحيل إلى مناطق عدة داخل فلسطين "كمخيم الدهيشة وقلنديا وبيت ساحور"، أو إلى خارجها كالأردن، وكل ذلك "بهدف الاستعمار" ومن قبل "الاستعمار الاسرائيلي". هكذا تم تعريف المحتل والذي ارتكب فعل النكبة، واستخدام اللفظ جاء كتعريف لا كصفة معطاة لمحاولة وصفه من خلال ما ارتكبه بحق الفلسطينيين. وبذلك فمحاولة الحديث عن المحتل لم تتم باستخدام مفردات تعبر عن فظاعة ما قام به أو من خلال الحديث عن مشاعر تعبر عن حالة الكره والكراهية التي من الممكن أن يولدها هكذا فعل. كما يلاحظ كذلك أن هناك تأكيد على عنصر المكان الأصلي والذي كانوا يعيشون فيه سابقاً، وهناك رفض لأن يؤدي الشتات لإلغاء صفة "الأهل"، ويجري ذلك من خلال الحديث عن القرى الأصلية وأسمائها والتي تم تهجيرهم منها: "قرية صرعا، زكريا، بيت نتيف وعجور"، وفي ذلك تأكيد على الحق والأسبقية في التواجد على هذه الأرض، وكذلك تأكيد على مرجعية جغرافية.

إضافة لأحداث، مثل حرب غزة، واللجوء، فإنّ القدس، شكلت مكاناً ذو قيمة رمزية تمحورت حولها نشاطات عديدة، ففي مدرسة ذكور الدهيشة، على سبيل المثال، تم عمل مسابقة لصنع مجسمات ولوحات للقدس والأقصى وقبة الصخرة المشرفة (أنظر الأشكال 1 و2)، إضافة لمسابقات الإنشاء في موضوع حول القدس والأقصى، وقد كان يتم ذلك بشكل متكرر، في أوقات مختلفة ومتباعدة؛ سواء لذكرى معينة، تتعلق بالقدس أو لمناسبات دينية مثل شهر رمضان والأعياد، أو بالتزامن مع أحداث معينة مثل الاجتياحات والاقتحامات

في القدس والأقصى. وفي إحدى الحالات جرى تخصيص أسبوع خاص للحديث عن القدس والأقصى بشكل خاص. وكان يتم اللجوء لموضوع القدس حتى في ذكرى أحداث لا تتعلق بالمدينة، أو حتى ذات صبغة دينية، وعلى سبيل المثال جرى في 14 أيلول 2014، ذكرى مجزرة صبرا وشاتيلا عام 1982، تخصيص يوم للحديث عن القدس "زهرة المدائن"، من ضمن أسبوع إحياء ذكرى المجزرة. كما تم إلقاء كلمة عن المسجد الأقصى في 8 تشرين الأول 2014 وذلك في ذكرى مجزرة الأقصى المبارك (1990)، والتي تم عبرها الحديث عن تفاصيل المجزرة وعدد الشهداء والجرحى الذين خلفتهم. إضافة لإلقاء نشيد عن القدس ضمن أسبوع الإسراء والمعراج.

وبذا، فالملاحظ هنا أن ذكر مدينة القدس قد كان في أكثر من مكان ومناسبة؛ والقدس، هي المدينة التي لم يتمكن معظم أطفال وطلبة المخيم من دخولها نظراً للأوضاع السياسية والجغرافية التي تعيشها بفعل الاحتلال، إلا أنها حاضرة في المدارس، وبطرق متنوعة، بهدف التأكيد على وجودها وحضورها الدائم في مختلف المناسبات. كما تم استحضار صورة القدس والأقصى الحاضرة في أذهانهم رغم بعدهم عنها وصعوبة الوصول إليها، من خلال تجسيدها بالكلمة والصورة والمجسمات، فكانت اللوحات تصور الأقصى وقبة الصخرة، والكلمات عبرت عن القدس ومشاعرهم تجاهها، وجرى التركيز على جمالها وتفاصيلها، وعلى الحلم المتمثل بدخولها وزيارتها والصلاة في المسجد الأقصى.

وبذا، فإن الإتيان على ذكر القدس والأقصى، لم يكن مرتبطاً فقط بحدث معين ذو علاقة بهما، فالقدس حاضرة في مناسبات مختلفة. كما أن الحديث عنها لا ينحصر بجانب دون الآخر، بل هناك ذكر لتفاصيل وأحداث عدة ترتبط بها وتعبر عنها. كما يتم ذكر القدس؛ "الأرض" و"المكان المقدس"، وهي مفردات تعبر عن المكان والوطن، وهذه التفاصيل جميعها تؤكد على حضور القدس رغم عدم العيش فيها وعدم القدرة على الوصول إليها، وتشير هذه الكلمات والوسائل لكون المدينة رمز جامع، يلعب دوراً مركزياً في التفكير الجمعي.

يدعو تكرار ذكر القدس بشكل بارز إلى التساؤل عن السبب، فالمتتبع للأدب الفلسيطيني بمختلف أشكاله يرى الرموز التي تم استخدامها للإشارة إلى الوطن وذكرياته والحنين إليه من خلال رموز متنوعة، فنراها مرتبطة بمدينة كحيفا مثلاً لدى غسان كنفاني في "عائد إلى حيفا" بعد أن ارتبطت بالبرتقال الحزين ليعبر عن فلسطين المغتصبة، ثم يأتي درويش ليستبدل البرتقال بثمر مقدس يعشقه الفلسطيني فيهبه عنوان ديوانه "أوراق الزيتون"، ومن رمز "عنب الخليل" إلى "جفرا" يقع اختيار الشاعر عز الدين مناصرة. هذه الرموز التي أوجدها أصحابها، عبرت عن واقع الاقتلاع واللجوء والتشرد والغربة الذي عايشوه فأرادوا التأكيد عليه. ولكن أي منهم لم يختر القدس لتكون الرمز، لربما لأن بعدهم عن الوطن جعلهم ينظرون إلى فلسطين بأماكنها ومدنها كلها، كبيرة أو صغيرة، مقدسة أم غير مقدسة دون حصرها بمكان دون الآخر، بعد أن كانوا يرون القدس قبل غيرها وهم داخل الوطن. لكن أفراد مخيم الدهيشة بعيدون وقريبون عن القدس، فرغم قربها الجغرافي إلا أن سياسات الاحتلال وتبعاته تمنعهم من الوصول إليها، وبذلك، فلكأن فكرة التخيل عززت من شعورهم بقرب الوطن أجمع منهم، وبالتالي قربهم من القدس التي لا يستطيعون فعلياً دخولها، وبالتالي تغدو فكرة المتخيل حاضرة بقدرتها على إلغاء الحدود والبعد والاغتراب. كما أن تجربة اللجوء جعلت من الوعي الفلسطيني يرى القدس جزء من الكل لا ينفصل عن الكل. أضف لهذا أنّه في حالات مثل كنفاني ودرويش فإنهما اختارا مدناً ورموزاً رأياها قبل أن يصبحا خارج الوطن، فضلا عن أنّهما كتبا، أو على الأقل، بدءا الكتابة، قبل احتلال الجزء الشرقي من القدس، عام 1967. وهو ما يحيل للتفكير بأن هناك لربما تركيز واضح على القدس دون غيرها من المدن، وتحديداً في الأراضي الفلسطينية التي احتلتها إسرائيل عام 1948، لأنّ هذه المدن باتت خارج إطار مشروع الدولة الفلسطينية. ولكن مثل هذه الفرضية تحتاج لدراسات معمقة لتوضح السبب وراء ذلك، إذ أنه يصعب مثلاً القول بأن هذا الأمر، هو متعمد أو غير متعمد، أو أن هناك أجندة معينة أو سبب محدد وراء ذلك، خاصة أننا نتحدث عن تعبيرات أطفال، أو هو نوع من عملية صناعة الرمز واستهلاكه من خلال التركيز على القدس دون غيرها كرمز، إلا من خلال التحليل والدراسة والتي لا يتضمنها مثل هذا البحث، لذا لا يسع هنا إلا الاكتفاء بذكر هذه الملاحظة؛

تقليص الحديث عن المناطق المحتلة الـ48 لصالح القدس، مع ترك التحليل والاستنتاجات لدراسات أخرى معمقة.

إضافة للقدس التي مثلت رمزاً بارزاً مركزياً، فإنّ رموزاً أخرى حضرت في الفعاليات التي شهدتها مدراس ومؤسسات المخيم. فإذا كانت القدس وأماكنها المقدسة، ذات بُعد تاريخي قديم، وربما كانت ستشكل جزءاً من رموز هوية فلسطينية، سواء أكان هناك احتلال أم لا، فإنّ هناك رموز متكررة في الفعاليات والنشاطات، ترتبط بشكل وثيق بالقضية الفلسطينية، وحالة اللجوء. وأبرز هذه الرموز هي علم فلسطين، والمفتاح، وحنظلة، وعلامة النصر، والسياج، وجدار الفصل، والصبار، والخيمة، والحَمَام. وتبرز هذه الرموز في رسومات الطلبة في حصص ومسابقات الرسم في المدارس، ومؤسسات المخيم، كما تبرز في الكلمات والأغاني التي قدمها الطلبة في المدارس.

ففي حصة رسم تم حضورها في مدرسة ذكور الدهيشة الإعدادية مثلاً، –والتي أبدى فيها الطلبة والمعلم تفاعلاً وتعاوناً–، حين طلب من الطلبة رسم يد لفهم فكرة النِسَب، قام الطلبة برسم العديد من اللوحات والتي احتوت جميعها على وجود رسمة اليد ولكن مع فهم مختلف لكل منهم عما تعنيه. أما اللوحات وما احتوته من رموز فكانت متنوعة:

أحد الطلبة ويدعى معتز أبو غالية، رسم يداً تشير لعلامة النصر، ويحيطها سياج مع وجود دماء تسيل واسم فلسطين (أنظر الشكل 3). وعند سؤال الطالب عما تعنيه قال إن اليد بالنسبة له "تمثل الحرية، والدماء تعبر عن المعاناة التي يمر بها الشعب، والسياج هو رمز للحصار". أما عن علاقة اليد بفلسطين فقال "لأننا عندما سنحررها، سنحررها بأيدينا"، وهي دلالة على ما يدركه من مفهوم للمقاومة وأشكالها.

طالب آخر يدعى إبراهيم النجار، رسم يدين، تشيران أيضاً لعلامة النصر مع وجود علم فلسطين، ومحاطتين بسياج، كما رسم مفتاح رأسه من الشمس، وجعله كجزء من بندقية يحيطها السياج أيضاً (أنظر الشكل 4). وقال إبراهيم إن لوحته تعبر عن الحرية والعودة من خلال علامة النصر والمفتاح والشمس، وعلم فلسطين هو رمز لفلسطين، أما السياج فيعبر عن الأسر، والبندقية تعبر عن المقاومة.

ومن الملاحظ أن مثل هذه اللوحات احتوت على عناصر ورموز مشتركة متكررة بين الأفراد؛ وربما تعبر الدماء عن حقيقة المعاناة التي يعيشها أبناء الشعب الفلسطيني وتذكيراً بالمجازر التي ارتكبت بحقهم سابقاً، كما أن السياج يعبر عن الأسر والاعتقالات التي يتعرض لها الأفراد من قبيل الانتهاكات التي يقوم بها الاحتلال تجاههم، كما يعبر عن الحصار الذي يعيشون معه وداخله أينما تواجدوا، وهذا الحصار الذي يفرضه عليهم الآخر، المشترك بينهم أيضاً. كما أن اسم فلسطين يعبر عن الكل الفلسطيني أينما تواجد، إضافة للعلم الفلسطيني الذي يعبر عن فلسطين. أما اليد والبندقية، تعبران عن المقاومة التي يتقنها الفلسطينيون بمختلف أشكالها واعتادوا عليها جميعاً في رحلة كفاحهم معاً ضد الآخر، وأما المفتاح، فهو مفتاح العودة للديار وللوطن الذي سيجمعهم معاً يوماً.

يمكن الاستنتاج أنّ هذه الرموز والتأكيد عليها، تمثل عناصر مشتركة تربط فيما بينهم وتؤكد على تشابههم وتشاركهم وترابطهم معاً، وتمثل نوع من التفكير الجمعي، إزاء الذات والآخر، أو بكلمة أخرى الهوية.

بالمثل فإنّ الرسومات التي عبر عنها الأطفال في مسابقة نظمتها مؤسسة إبداع، حملت تقريباً ذات الرموز التي أشير لها أعلاه، وجرى رسمها في حصص مدرسية. وعلى سبيل المثال عبّر الرسم في (الشكل 5)، عن النكبة من خلال استخدام رموز من مثل المفتاح والصبار والسياج واليد بعلامة النصر وعلم فلسطين واسم القدس في قلب خارطة فلسطين مع مكان وضع المفتاح ومع الإشارة بعبارة فلسطين حرة. وهي رموز لها دلالات مختلفة، فالعلم يُعبّر عن فلسطين نفسها ككل، والصبار يعبر عن المعاناة والصبر والصمود الذي يعيشه الشعب الفلسطيني، كما يعبر السياج كما ذكرنا عن الحصار والاحتلال، وعلامة النصر تعبر عن التحرير، والقدس في قلب الخارطة وموضع المفتاح يعبر عن أن القدس هي جزء من الكل والحل يأتي من خلالها ومنها تكون البداية. أما المفتاح، دائم الحضور: فهو مفتاح الدار التي هجر منها الفلسطينيون إبان النكبة، والذي يحمل في طياته رمزية الأمل بالتحرر والعودة إلى الديار الأصلية وإلى الدار ذاتها.

الرموز المستخدمة هنا، ولكن في مناسبة مختلفة، تعبر، وتؤكد على وجود قواسم مشتركة، تصنع ذاكرة جمعية يشترك فيها الجميع أينما كانوا وكيفما عبروا عنها، كما ويمكن العثور، في مسابقة "إبداع" أيضاً عن القدس مجدداً.

كذلك ظهر استخدام الجدار في اللوحات كثيراً، كما في (الشكل 6)، الذي يبين الجدار وهو يحيط بمدينة القدس والمسجد الأقصى ليجعل منها منطقة معزولة عن كل شيء، وفي لوحة أخرى (أنظر الشكل 7)، يظهر الجدار وقد رسم عليه علم فلسطين بشكل خارطة فلسطين وموضع المفتاح في قلبها، مع وجود يد مقيدة بالسلاسل وهي على وشك الفكاك والتحرر، وهي قابضة على المفتاح. وفي لوحة أخرى أيضاً (أنظر الشكل 8) يظهر الجدار ملء اللوحة، وقد كتب عليه عائدون مع استخدام موضع المفتاح عليها، وعام النكبة يظهر عليه من خلال اليد المنبثقة منه محاولة تدميره، لترسم خارطة فلسطين...والشمس تسطع فوق كل شيء، لتوحي بالأمل القادم.

والجدار، وهو قاسم مشترك آخر، ولكن خصوصيته تتثمل في أنّه رمز جديد آخر يضاف إلى الرموز التي تعمل على تشكيل الهوية، في دلالة على أن رموز "المخيال" الجمعي تتضمن ما هو متوارث قديم، وما هو متجدد آني، والجدار في اللوحات لا يطوق منطقة دون أخرى، بل المناطق أجمع، والكل بداخله يتشارك المعاناة والصمود.

وفي لوحات أخرى، ظهر جلياً وفي أكثر من موضع استخدام حنظلة، أحد رموز الهوية الفلسطينية، ففي (الشكل 9) يظهر مفتاح العودة والذي احتوى على أسماء قرى فلسطينية مهجرة، وكلمة "راجعون" تتوسط كل شيء، مع الإشارة للرقم 194 والذي يرمز لقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة والخاص بحق العودة والتعويض للاجئين الفلسطينيين، كما يظهر حنظلة، الذي يمثل الضمير العربي ومعاناة الفلسطيني والعربي، يظهر بملابسه المرقعة وقدميه الحافيتين، فقيراً، مُديراً ظهره، وعاقداً يديه برمزيته المعهودة الدالة على رفضه المشاركة في حلول التسوية، فهو الثائر أبداً والرافض للطاعة. كما يظهر حنظلة في لوحات أخرى (أنظر الأشكال 10، 11). وحنظلة، هو الجامع والملخص لكل القواسم المشتركة فيما بينهم؛ اللجوء والخيمة

والمعاناة والصمود والتحدي والأمل في العودة، ولعل أحد الصفات الخاصة بحنظلة، أنّه في حد ذاته إبداع فني متخيل، تحول لرمز يشكل المِخيال الجمعي.

الملاحظ أنّ الرموز الفائتة، بعضها يتعلق باللجوء واللاجئين وبعضها يجسد الكل الفلسطيني، وهو أمر سيجري تناوله في القسم الثالث من هذا الفصل الخاص بمستويات الهوية، ولعل المفتاح هو أبرز الرموز الخاصة باللاجئ تحديداً. وعدا الرسومات والمجسمات يبرز المفتاح في الأغاني، التي تم تقديمها في الاحتفالات، فقد احتوت الأغاني على بعض الرموز سالفة الذكر أيضاً، وأغنية "مفتاح الدار"، تروي الحكاية، بتفاصيلها؛ فمفتاح الدار، هو مفتاح العودة لكل شيء؛ للبيت والأرض والزرع والذكريات، للبلاد بِرُمَّة تفاصيلها؛ رائحتها وهواها ونسيمها، ولباب يُفتح على كل شيء ويؤدي إلى كل ما كان:

مفتاح الدار أغلى من الذهب عندي... إلكم يا صغار راح يتورث من بعدي

طال المشوار وهالمفتاح بإيدينا... رمز وشعار هيو لحق العودة

هاتِ المفتاح يا حجة تا نذكر...كرم التفاح مع كرم اللوز الأخضر

ويا أبو فلاح على بيتك لا تتحسر... بكره بنعود والله يفرج هالشدة

ريحة البلاد بهالمفاتح محلاها... وإن الله راد راح نتنسم هواها

وعيشتنا غاد مين بيقدر ينساها... زينة هالكون وكل الدنيا يا أرضي

ياما حنيت بايدي افتح أبوابك... بسراج لزيت أضوي على كل أحبابك

وأحكي يا ريت أرجع أقعد باعتابك... وأنده عالضيف هلا بك ميل عنا

ويشكل المفتاح هنا برمزيته، الهوية الجامعة والذكريات جميعها والذاكرة الجمعية، والتي يتشارك بها الأفراد جميعاً، ولكنها ذات خصوصية للاجئ، فكان لا بد من التأكيد عليها وعلى ما يتشاركون به. والملاحظ هنا، هو كيفية استخدام رمز المفتاح ليعبر عن الكثير من الأمور والمشاعر المشتركة، فيظهر التأكيد على أهميته لدى الفلسطيني رابطاً إياه بقيمة الذهب: "أغلى من الذهب عندي"، كما تظهر أهميته بضرورة توريثه للأجيال اللاحقة: "إلكم يا صغار راح يتورث من بعدي". كما استخدم للتعبير عن الحكاية وطول زمانها: "طال

المشوار وهالمفتاح بإيدينا". كما أنه الرمز الأهم لحق العودة: "رمز وشعار هيو لحق العودة". إضافة إلى أن المفتاح هو الذي يعيد الذكريات السابقة وللحياة ما قبل اللجوء، فهو مفتاح البيت الأصلي الذي تم سلبه: "هاتِ المفتاح يا حجة تا نذكركرم التفاح مع كرم اللوز الأخضر"، "ريحة البلاد بهالمفاتح محلاها... وإن الله راد راح نتنسم هواها"، "وعيشتنا غاد مين بيقدر ينساها"، "ياما حنيت بايدي افتح أبوابك". وبذا، أصبح المفتاح رمزاً للعودة إلى البيت الأصلي وإلى الحياة السابقة والتي كانوا يتشاركونها معاً قبل حدوث النكبة وبالتالي تشريدهم، وبذا تأتي أهمية ذكره لتأكيد أهميته في حياة اللاجئ كتركة تحمل الحق الذي يجب توريثه للأبناء ليكملوا المشوار والسعي نحو تحقيق حقهم في العودة إلى بلادهم الأصلية، وهنا الحديث عن ذكريات وروايات شفوية يجري تناقلها لتشكل مِخيالاً جمعياً.

الملاحظ أن تعبيرات الطلاب، التي تدل على العقل الجمعي لهم، قد اشتملت على العديد من المواضيع المختلفة والرموز المتنوعة والتي لا تندرج ضمن إطار واحد ومحدد، أو يرتبط بموضوع دون الآخر، فقد كان هناك حديث عن فلسطين والنكبة وما أنتجته من حالة لجوء، وعن المخيم والقرى والمجازر وغزة، وموضوعات أخرى، ولكنها تتكرر بما يكفي للدلالة على عقل جمعي، وعلى الإيمان والاعتقاد برابط جامع للفلسطينيين، اللاجئين منهم وغير اللاجئين، ومن هذه القضايا ما هو متوارث قديم، ومنها ما هو متجدد طارئ. كما تم الملاحظة أن هناك حضور بارز للقدس، حتى في المناسبات والمواضع التي لم تكن مرتبطة بالقدس بشكل مباشر، في الوقت الذي لم يأت الذكر على أي مدن فلسطينية أخرى مثلاً، عدا غزة والقرى التي هجر منها أهلها إبان النكبة.

3-2 المشاعر التي تصوغ الهوية عند لاجئي الدهيشة

لقد أفرزت حالة الصراع التي يعيشها الفلسطيني بفعل الاحتلال، الذي دمر أرضه وعمل على تشتيته في أماكن عدة،مشاعر مختلفة لديه، وولدت داخله حاجة ودافعاً إبداعياً رغبة في العثور على طريقة لتحقيق ذاته ووجوده على الأرض، ومن أجل الوقوف في وجه الآخر، الذي يحاول السيطرة والقضاء عليه. ونتيجة

لذلك، فقد ظهرت إبداعات متعددة وبمختلف المجالات والتي تم اللجوء إليها كنوع من أنواع التفريغ والتعبير عن الدواخل والواقع المعاش، كما تم استخدامها كأداة من أدوات المقاومة في وجه الآخر. وغدت هذه الإبداعات وما تعكسه من تعبيرات من قبل الأفراد، مصدراً مهماً لمحاولة فهم ودراسة طبيعة المشاعر التي يعبر الأفراد عن أنفسهم ومشاعرهم من خلالها، لأن مثل هذه الأدوات تتعامل مع واقع الشعور الإنساني الذي يعيشه هؤلاء الأفراد، وخاصة في حالة وقوعهم ضمن دائرة صراع وبالتالي وجود آخر يسعى لإلغائهم. وبالعودة والتأكيد على ما أوضحه بندكت أندرسون، وجرى إيراده في الفصل الأول، حول المشاعر المعبر عنها في حالة المقاومة، فقد أكد بأن تعبيرات القوميات، بشكل عام، عن الهويات، بما فيها تلك التي تحت الاحتلال، والتي لديها مبرر فعلي لأن تشعر بالكراهية تجاه مستعمريها، تتسم **بضآلة** ما تحتويه من عنصر الكراهية، أي أنها لا تتضمن مشاعر كراهية، **بقدر ما** هي مشاعر تعلق بالطبيعة والحب ورفض للعدوان مقترنة في الوقت ذاته بالتحدي. هذا إضافة لتأكيده على أن القومية كونها علاقة انتماء لجماعة متخيلة فتتضمن الحب طبعاً. كما أن منتجات القومية الثقافية من شعر، وموسيقى، وفنون تشكيلية وغيرها، تُظهر هذا الحب بوضوح شديد في آلاف الأشكال والأساليب.

كما وقد تم الذكر بأن أندرسون ومن خلال قراءته وتحليله لبعض المنتجات الأدبية في التحرر من الاستعمار، بيّن أن التعبيرات كانت تشتمل على تعبيرات وطنية وغير مرتبطة بالمحتل، مع التأكيد على استخدام مفردات القرابة (الأم والوطن)، أو المفردات التي تتعلق بالوطن، وهي مفردات تشير إلى شيء يرتبط به المرء ذلك الارتباط الطبيعي، دون أن يتم اختياره، وبذلك يكون الانتماء إلى أمة بناء على أشياء غير مختارة مثل لون الجلد، والنسب، وما إلى ذلك.

ومن خلال تتبع الفعاليات وتحليلها، سواء تلك التي كتبها الطلبة بأنفسهم أو المواد الجاهزة التي استعانوا بها، تم ملاحظة هذه الأمور، كما سيجري توضحيه في السطور التالية، إذ أنها عكست العديد من المشاعر المختلفة من مثل الحب والحنين والتحدي والصمود وغيرها من المشاعر، مع القليل من مشاعر الكراهية التي لم تظهر سوى بموضعين اثنين سيتم المرور عليهما لاحقاً، وذلك برغم كل الانتهاكات التي يتعرض

لها هؤلاء الأفراد من قبل المحتل، والتي من شأنها أن تخلق مشاعر كراهية فقط تجاهه، إلا أنها خلت تقريباً أو تكاد من مثل هذه المشاعر، وجرى التعبير عن المعاناة دون خطاب كراهية، وذلك بآليات استخدم من خلالها الأفراد مفردات غير مرتبطة بالمحتل بل ترتبط في معظمها بالأرض والمكان الأصلي. ولكن دون أن يعني هذا أولاً: أن جميع تعبيراتهم هي فقط مشاعر مرتبطة بالحب بشكل كامل وخالية تماماً من الكراهية، أو أنّ المقاومة التي يتبناها أو يتخيلها الأفراد، الذين جرت دراسة أعمالهم، لا تصل حد الإيمان بالعنف المسلح، في جزء من الحالات، على الأقل. (وهو ما يتضح مثلاً – لكلا الأمرين– عبر حضور البندقية في رسومات الأطفال).

كل هذه الأمور سيتم تبيانها من خلال الأمثلة اللاحقة، ولكن قبل ذلك، لا بد من التنويه والإشارة لنقطة مهمة، سبق وأن تم الإشارة إليها، تتعلق بحقل الدراسة وهو المخيم، وإحدى عيناتها وهي مدارس الأونروا وطلابها ومدرائها، إذ أنه من المهم القول بأن كون هذه المدارس تقع ضمن دائرة المخيم وهي وكما تم الذكر تابعة للأونروا، فهذا بدوره فرض قيوداً من نوع آخر على المخيم وبالتالي على أفراده الواقعين ضمن هذه الدائرة، إذ أنه استناداً إلى سياسة الوكالة، وضمن إحدى بنودها المتعلقة "بحيادية العاملين" المقررة وفقاً لقوانين وأنظمة العمل ولوائح تعليمات الموظفين، تؤكد الوكالة في إحدى بياناتها على أنه يتحتم على الموظفين "تجنب أي نشاط من شأنه التأثير سلباً على وضعهم كموظفين تابعين للأمم المتحدة، أو ما يتطلبه ذلك من التحلي بالموثوقية والاستقلالية وعدم التحيز".[280] كما تفيد القوانين والتعليمات آنفة الذكر أيضاً بأنه على الموظف:

- "الامتناع، وفي كل الأوقات، عن استخدام التعابير، أو ممارسة النشاطات ذات الطابع السياسي، أو التي توحي بأنها ذات طابع سياسي.

[280] وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى، بيان صادر إلى طواقم العاملين في الضفة الغربية/ تعميم رقم /WB/ 13/ 2015 خاص بموضوع "حيادية العاملين، وعند استخدام وسائل التواصل الاجتماعي" (صادرة عن مكاتب رئاسة الأونروا– القدس، 17 أيلول 2015)، 1

- عليكم الالتزام بعدم إلقاء خطابات أو محاضرات عامة، كما وعليكم الالتزام بعدم كتابة أي مقال أو صياغة أي خطاب عام للنشر أو للبث دون الحصول على الإذن المسبق من مكتب مدير العمليات.
- يجب ألا تؤيدوا على الملأ أو أن تتبعوا أي نشاط لحزب أو جهة سياسية، أو أي مرشح سياسي، وهذا يشمل المشاركة في التجمعات والاجتماعات العامة".[281]

إن القيود التي تفرضها الوكالة تخلق قيوداً على العاملين في الوكالة سواءً المدراء أو مسؤولي الأنشطة وبالتالي الطلاب كونهم يندرجون تحت إطار الوكالة وبالتالي ملتزمون بقوانينها وأنظمتها، وهذا ما ظهر جلياً بامتناع البعض عن التعاون والتزويد بالمعلومات أو الأدوات اللازمة لغرض الدراسة، –وهو ما تم ذكره في الملحق الخاص بالمقابلات– تخوفاً من سياسة الوكالة وقوانينها، وتفضيلهم للتقليل أو الامتناع أحياناً عن القيام بأي فعاليات تذكر. إلا أنه وبرغم ذلك، فالفعاليات الخاصة بالقضية من مثل النكبة والعودة والأسرى وما إلى ذلك، وكما تم الذكر، موجودة وباستمرار في المدارس وبمختلف أشكالها. وبذا، وبحالة مخيم الدهيشة والعينة التي بين أيدينا، ومع وجود سياسية مقيدة كسياسة الوكالة، فلا يمكن تجاهل الأمر أو عدم الالتفات إليه في التحليل، ولذلك كان لا بد من ذكر الأمر والتأكيد عليه ليتم تتبع، إضافة للعناصر الأخرى، إلى أي مدى كان لسياسة الوكالة تأثير وتقييد على تعبيرات الأفراد في مدارس الأونروا تحديداً في المخيم.

تظهر الكلمات التي ألقاها الطلبة خلال الكلمات الصباحية في المدارس، مزيجاً من المشاعر ما بين الحب والحنين والحسرة والألم، والتحدي، وفي مختلف السياقات والمناسبات. فمثلاً، في إحدى الكلمات الصباحية التي ألقتها إحدى الطالبات في مدرسة إناث الدهيشة الابتدائية، تم التطرق للحديث عن غزة إبان العدوان الأخير عليها، فتقول في القصيدة التي ألقتها حينها:

حدثني عمن أساء لها... وحرق فيها الحياة

وجعل بحرها الأزرق...ممزوجاً بالدماء

---

[281] المرجع السابق

فهي غزة الأميرة السمراء

عشيقة الشهداء

القصيدة جاءت إبان العدوان الذي قام به الاحتلال ضد أهل غزة، ورغم ذلك يلاحظ من خلال كلماتها، أنها لا تحمل مشاعر كراهية تتوافق مع الوقت الذي ألقيت فيه القصيدة، بل جاء فيها وصف لغزة وحالها ولمن يحتلها بلغة وكلمات تتناقض مع زمن الحدث.

كما أن ذكر العدو أو "الآخر" لم يتم بذكر اسمه أو جنسيته، بل بالإشارة إليه بضمير الغائب والمجهول وباستخدام فعل لا يعبر حقيقة أو يصف ما يقوم به من جرائم تجاههم، وخاصة في فترة العدوان: "حدثني عمن أساء لها"... وكذلك من خلال ذكر أفعاله بالإشارة إلى أفعال مقرونة بأمور جميلة؛ "حرق" فيها "الحياة"، "جعل" "بحرها الأزرق" "ممزوجاً بالدماء". كما يظهر أيضاً استخدام مفردات لوصف غزة بصفات جميلة رغم حالة العدوان التي تعيش تحت وطأته.."الأميرة السمراء"، أو بوصفها بصفات متعلقة بالوطن ورموزه: "عشيقة الشهداء"، وفي ذلك تأكيد على هوية الأنا من خلال ربطها بالمكان ومعالمه.

كما جاء في قصيدة أخرى عن غزة:

حدثني...عن غزة هاشم

وعمن أتاها...ليستنشق العزة من هواها

ويقبل ترابها...

يلاحظ هنااستخدام مفردات مثل التراب والهواء "ليستنشق العزة من هواها ويقبل ترابها"، وهي مفردات ترتبط بالأرض وتعبر عن الوطن، كما تتضمن تحدياً (بالإشارة للعزة مثلاً)، وهي عناصر لا يختارونها بل هي حاضرة يتشاركون جميعاً بها أينما كانوا.

في كلمة أخرى تم إلقاؤها في المدرسة ذاتها، وبمناسبة ذكرى صبرا وشاتيلا التي ارتكبت بحق الفلسطينيين في 16 أيلول 1982، جاء في نص الكلمة لوصف الحدث: "**في ذلك الوقت، كان المخيم مطوَّق بالكامل من قبل الجيش اللبناني والإسرائيلي، الذي كان تحت قيادة شارون ورفائل**".

يلاحظ هنا ومن خلال هذا المثال لكلمة محضرة من الطالبة وليست منقولة من مصدر ما، كالتي سبقها، أنه وعلى الرغم من فظاعة المجزرة التي ارتكبت بحق الفلسطينيين، ومن قبل المحتل وآخرون، ورغم ما تضمنته الكلمة من وصف لطبيعة الحدث ونتائجه، إلا أن ذكر أسماء قادة الكتائب والذين قاموا بتنفيذ المجزرة تم بذكر أسمائهم بشكل مجرد، دون أن تقرن بصفات سيئة للدلالة على بشاعة ما حدث في المجزرة وما نتج عنها من شهداء كثر. كما أن وصف الحدث كان بشكل بعيد عن المزايدة أو المبالغة، مع إقرانه بمرتكب الفعل، لكن بدلالة تعبر عن صورة الآخر من خلال الواقع ومن خلال التعامل معه، وليس من خلال صورة قائمة على التعصب أو الكره المسبق مثلاً.

في قصيدة أخرى تتحدث عن الطفولة المهدورة في فلسطين وفي إحدى الكلمات الصباحية أيضاً...تقول:

طفولة بائسة ما حلمنا بها وما عشناها...مرارة القتل والظلم ذقناها
أرض سجدنا على ثراها وقبلناها....تحتضن أشلاء الأطفال في حناياها
عن أي طفولة تتكلمون...عن طفولة طفل قتل تحت أشجار الزيتون

تتحدث القصيدة عن المرارة التي يعيشها الأطفال في فلسطين بفعل الاحتلال، متحدثة عن مرارة القتل والقهر والألم، لكن رغم ذلك، القصيدة لم تحتو على مشاعر أو مفردات تعبر عن الكره تجاه المتسبب بهذه المرارة والألم، بل جاء الحديث أكثر لوصف الحال لا لوصف من كان السبب بذلك.

كذلك فقد تم وصف الحال؛ "الأنا" من خلال استخدام مفردات تتعلق بالأرض مع التأكيد على التواجد والثبات فيها، ومحاولة التأكيد على هوية الأنا بربطها بالمكان..."أرض سجدنا على ثراها وقبلناها"، "تحتضن...في حناياها"، مع استخدام مفردات متعلقة بالوطن ورموزه "تحت أشجار الزيتون". وهي تبدو كمحاولة للتأكيد على مرجعية المكان المقيمين والمتثبتين فيه والمؤمنين أنه حقهم، وهو ما يفتقر إليه "الآخر".

هذا وقد حملت باقي الكلمات التي تم إلقاؤها في مناسبات مختلفة في المدرسة، مشاعر أخرى كالحرية والأمل والصمود والتحدي والإرادة...بتعابير مختلفة، حتى حين الحديث عن القضية التي ابتدأت معها المعاناة الأكبر؛ قضية اللجوء والتهجير، فقد جاء في إحدى الكلمات:

"أكثر من 60 عاماً، تلاشت الجغرافيا لترسم حدوداً أخرى، حدود تخترق القلوب والعقول، حدود ترفض الانصهار، فتتشبث بتاريخ المستقبل، فتصنع حاضراً مقاوم، من شعب من إرادة للوطن، موجود وحي وباق".

هو تعريف آخر للجغرافيا التي تغيرت حدودها، بفعل الاحتلال، كما يظهر أيضاً كيف يقومون بالتعريف عن أنفسهم وحالهم ومشاعرهم من خلال ربطها بهذه الجغرافيا الجديدة، في محاولة للتأكيد على أنها، أيما كان شكلها؛ سابقاً وحالياً ولاحقاً فهي حقهم وتعبر عنهم وجزء من هويتهم السابقة واللاحقة، "فتتشبث بتاريخ المستقبل"، "حاضراً مقاوم" وهي الرافضة لكل محاولات المحو التي يمارسها الآخر ضدهم "حدود ترفض الانصهار"، كما يظهر من خلال المفردات التي تعبر عن مشاعر الصمود والإرادة والتحدي مثل: "حدود ترفض الانصهار"، "حاضراً مقاوم"، "من شعب من إرادة للوطن، موجود وحي وباق"، كيف يتم محاولة التأسيس لصورة أنا جديدة تستطيع أن تقف في وجه الآخر، ليؤكد على قدرته في الوقوف في وجه الآخر على هذه الأرض وضمن هذه الجغرافيا التي يؤمن بأنها من حقه وعليه أن يدافع عنها.

وعن المقاومة ومفهومها، جاء في إحدى الكلمات بمناسبة عيد الاستقلال:

"الأيام ما زالت تجري وتجري بسرعة كبيرة جداً، بالأمس كنا أطفالاً نرمي الحجارة، واليوم رجالاً نحمل القلم والعلم والبندقية....نحتفل فيه بمخيماتنا بالخارج والداخل. أشعر باقتراب شمس الحرية أكثر من أي وقت مضى".

فمشاعر الإصرار والإرادة تبدو جلية، وخاصة حين التعبير عن أشكال المقاومة والثورة عبر الزمن والتي عرف بها الفلسطينيون في معركة نضالهم مع الآخر؛ "كنا أطفالاً نرمي الحجارة"، ومن ثم "رجالاً نحمل القلم والعلم والبندقية". البندقية والتي هي رمز الثورة الفلسطينية وكفاحها، وفي ذلك تأكيد على أن معركة نضالهم مع الآخر لا تشتمل على عنصر قوة دون غيره، بل لديهم إيمان بأن للمقاومة أشكال مختلفة، وأن معركتهم مع الآخر تستلزم اللجوء لمختلف الأساليب والوسائل. وفي ذلك دلالة على تأكيد تميزهم في مقاومتهم، وخلق صورة جديدة مغايرة قادرة على الصمود والتحدي في وجه الآخر، إذ كما تبين سابقاً بضرورة حضور الآخر

في الهوية التي تقتضي الآخر منطقياً، حتى يتم تمييز الذات عنه، وكذلك تأكيداً على ضرورة وجود الآخر بالنسبة للأنا لتتضح العلاقة بين الأنا والآخر، كما يظهر أيضاً محاولة لتغيير الصورة التي يحاول الآخر إلصاقها بهم فيما يتعلق باستخدامهم القوة.

وفي الاحتفالية التي أقامتها المدرسة سالفة الذكر بمناسبة اليوم العالمي للتضامن مع الشعب الفلسطيني[282] يوم الأحد الموافق 30/ 11/ 2014، تقول إحدى الطالبات في كلمتها وبنبرة تعكس وتشبه النص: "**لكننا رغم الجرح ورغم العذاب صامدون، متجذرون في أرضنا كشجرة الزيتون**". وهنا تم الحديث عن الواقع الذي يعيشونه والمتسبب بهذا الجرح والعذاب، إلا أنه تم التأكيد على عنصر الإرادة والصمود، من خلال الإشارة إلى رموز مرتبطة بالوطن ورموزه؛ شجرة الزيتون المباركة، التي تعبر عن أرض الفلسطيني وأصله وجذوره وحصاده، شجرة الزيتون التي دائماً ما تتعرض للاقتلاع والتخريب من قبل المستوطنين في محاولات سعيهم الحثيثة للقضاء على كل ما للفلسطيني في هذه الأرض، ولكن الفلسطيني يؤكد في مقارعته للاحتلال، بأنه باقٍ هنا، متجذر في أرضه "كشجرة الزيتون". وبذلك، فهناك تأكيد على الأنا المرتبطة بالمكان، والقادرة على مواجهة الآخر. لكن، ورغم الحديث عن الجرح والعذاب بسبب الآخر، إلا أن مشاعر الحقد والكراهية لا تظهر بل يقابلها التأكيد على مشاعر الصمود والتحدي بدلاً من ذلك.

وفي قصيدة ألقتها إحدى الفتيات حول القدس في نفس المناسبة تقول:

يا قدس...أحبك بكل جوارحي...

يامن غزوك الأعادي بدبابات وعتاد

يلاحظ هنا أنه تم التأكيد بداية على ذكر القدس ومشاعر الحب تجاهها، –وهذا ما كان واضحاً حتى على تعابير وجه الطالبة–، ومن ثم الحديث عمن يحكم سيطرته عليها وهو الآخر، وقد تم هنا استخدام الفعل "غزوك" وكلمة "الأعادي" للإشارة إلى الاحتلال؛ الآخر، ولكن دون ذكر صفات واضحة وصريحة للحديث

[282] اليوم العالمي للتضامن مع الشعب الفلسطيني هو مناسبة تبنتها وتنظمها الأمم المتحدة، وتدور فعالياتها في مقر الأمم المتحدة في نيويورك كما في مكاتبها في جنيفوفيينا. ويتم الاحتفال به في 29 تشرين الثاني من كل عام للتذكير بقرار التقسيم 181 الخاص بفلسطين.

عنه أو عما ارتكبه ويرتكبه بحق القدس وفلسطين ككل، رغم الحديث عن ماهية الوسائل المستخدمة من قبله من أجل تحقيق هدفه، والملاحظ في هذه الجزئية هو أن رسم صورة الآخر تتم من خلال الواقع المعاش ومن خلال التعامل مع هذا الآخر، وليس من خلال تكوين صورة من خياله أو موجودة في خياله أصلاً، أو بناء على الصورة القائمة على الكره والغضب، بل هي حقيقة. حتى أن هذه المشاعر الدالة على الحقد والغضب والكراهية لم تظهر أبداً من خلال القصيدة، لكي تعبر عن مشاعر كراهية بديهية التواجد في حالة الاحتلال والصراع.

في قصيدة أخرى تم إلقاؤها أيضاً بعنوان طفل فلسطيني، تقول كلماتها:

بيسألوني مين أنا...أنا طفل فلسطيني

بيسألوني وين ساكن...ساكن في أرض جدودي

بيسألوني كيف قادر تعيش بذل وكيف صابر

ليش ما ترحل وتغادر ع بلاد الغربة وتهاجر

أنا طفل فلسطيني...بلاد الغير ما بترضيني

فلسطين هي وطني ...فيها كل الأماني

ما دام الشمس بتدفيني...وأرضي الطيبة بتطعمني

ومية النبعة بتسقيني...والأشجار بتظللني

ما دامني بسمع الطيور وهي تغرد فوق الدور

بشوف القمر والزهور بظللني عايش ومسرور

في السما دايما نجوم مهما تلبدت الغيوم

الليالي لن تدوم والظلام لازم يزول

بالألم قلبي شاعر لكن بالأمل عامر

علشان هيك أنا صامد على الذل أنا صابر

ما دامني بمشي على رجلي وبكتب تاريخي بايدي

ونور الشمس يدخل عيني...وصوت الحق يوصل دنيي

بظلني عايش وفرحان...على أرضي صاح ورضيان

لأني واثق وقنعان ... بنهاية الظلم والطغيان

تعبر القصيدة عن الكثير من المشاعر المختلفة، وهو ما بدا جلياً في طريقة الإلقاء والتعبير، فهناك مشاعر تعبر عن التحدي والحنين والأمل والقوة والإرادة والصمود واللوعة.

تبدأ القصيدة بمشاعر تهدف إلى التعريف عن النفس من خلال التأكيد على الهوية الفلسطينية "بيسألوني مين أنا...أنا طفل فلسطيني"، ثم يأتي التأكيد على الحق في الأرض والوجود: "بيسألوني وين ساكن...ساكن في أرض جدودي". ثم تظهر مشاعر الإرادة والصمود حين القول: "بيسألوني كيف قادر تعيش بذل وكيف صابر، ليش ما ترحل وتغادر ع بلاد الغربة وتهاجر، أنا طفل فلسطيني...بلاد الغير ما بترضيني"، "علشان هيك أنا صامد على الذل أنا صابر".

كما تظهر مشاعر الحنين بشكل جلي في الحديث عن الأرض والسكن والأهل وتفاصيل الحياة السابقة، مع ربطها بالمكان الأصل وذكر تفاصيله الكثيرة: "أرضي الطيبة بتطعمني"، "ومية النبعة بتسقيني...والأشجار بتظللني"، "الطيور وهي تغرد فوق الدور"، "بشوف القمر والزهور".

هذا وتبرز المشاعر الدالة على الأمل حين القول: "في السما دايما نجوم مهما تلبدت الغيوم"، "الليالي لن تدوم"، "بالألم قلبي شاعر لكن بالأمل عامر". كما وتتأكد مشاعر الأمل حين التأكيد على الحق "بظلني عايش وفرحان...على أرضي صاح ورضيان ...لأني واثق وقنعان".

هذا وتضمنت الكلمات مفردات تؤكد على الحق في الأرض والمكان والجغرافيا من مثل: "ساكن في أرض جدودي"، "فلسطين هي وطني ...فيها كل الأماني"، "وبكتب تاريخي بايدي"، "وصوت الحق يوصل دنيي"، "على أرضي صاح ورضيان"، وفي ذلك تأكيد على هوية الأنا المرتبطة بالمكان، والتأكيد على مرجعية

جغرافية "ساكن في أرض جدودي"، وهو ما يفتقر إليه الآخر، أو على الأقل هذا ما يعتقده الفلسطيني، وما يمثل المحور الأبرز في الصراع الفلسطيني– الإسرائيلي.

أما الإشارة للاحتلال، فكان من خلال وصفه بصفات أو حتى تشبيهات من مثل: "مهما تلبدت الغيوم"، "الليالي لن تدوم والظلام لازم يزول"، "بنهاية الظلم والطغيان"، حيث تم تشبيهه بالظلام وواقع الاحتلال شبه بالليل وأنه يمثل الظلم والطغيان، وبذلك، فقد اقتصر الحديث عن الآخر هنا بهذا الشكل دون استخدام عبارات أو حتى تشبيهات تعبر عن الكراهية والحقد.

وبذا، ومن خلال تتبع ما طرحته وعكسته الفعاليات السابقة، سواء تلك التي كتبها الطلبة بأنفسهم أو التي استعانوا بها من قصائد وأغاني جاهزة، يتبين لنا أن هؤلاء الأفراد ورغم وقوعهم تحت الاحتلال، إلا أن مشاعرهم تعبر في مجملها عن مشاعر حب وارتباط بالأرض وتفاصيلها وعناصرها وتعلق بالماضي، بالمقابل، فهي تبتعد في الغالب عن تعبيرات الكراهية والحقد، ولم تظهر مثل هذه المشاعر وخاصة في وصف الآخر إلا في حالات استثنائية، ومن ذلك على سبيل المثال، من خلال إحدى الكلمات الصباحية التي ألقتها إحدى الطالبات في مدرسة إناث الدهيشة الابتدائية بمناسبة ذكرى وفاة الرئيس الفلسطيني السابق ياسر عرفات حين قالت:

"نعاهدك يا أبا عمار أن نكمل المشوار، ونحملك على الأكتاف في عز النهار، إلى القدس وهي محررة من الأشرار".

وكذلك في كلمة أخرى ألقتها طالبة في نفس المدرسة وذلك بمناسبة اليوم العالمي للتضامن مع الشعب الفلسطيني تقول في كلمة ألقتها عن القدس:

"إنه ظالم كافر حقود مغتصب للأراضي، يا قدس يا مدينة المدائن أحبك بكل جوارحي".

وبذا، جاء وصف الآخر والمحتل هنا بوصفه بصفات من مثل "أشرار" و"ظالم" و"كافر" و"مغتصب للأراضي" وهي صفات صريحة وواضحة وليست كسابقاتها، فاقترن وصف الآخر بصفات تعبر عنه وعما

يرتكبه من ظلم وشر واغتصاب للأراضي، وبذا، فقد ظهرت مشاعر وتعبيرات الكراهية هنا لا الحب كما في الأمثلة السابقة.

وعليه، ورغم كل ما يرزح تحته هؤلاء الأفراد من ظلم وقهر نتيجة الاحتلال، والذي كان من شأنه أن ينعكس على دواخلهم وبالتالي مشاعرهم ومن ثم على تعبيراتهم، إلا أن مشاعرهم تعبر بالمجمل أو تكاد، عن مشاعر مغايرة لما يمارسه المحتل ضدهم. وهي نقطة تستدعي التساؤل، ذلك أن ما يرزح تحته مثل هؤلاء الأفراد، من شأنه، بحسب ما قد يتوقع الكثيرون، أن يولد مشاعر كراهية بدواخلهم، فترى من الطبيعي أن يكون ما يختلجهم من مشاعر يتضمن مشاعر كراهية لا مشاعر حب، إلا أنه وفي حالة العينة التي بين أيدينا فقد تبين بالدراسة عكس ذلك. وهذا ما يدفع للتفكير بالأسباب وراء ذلك ومحاولة الوصول لتفسير أولي لذلك، إذ أن هكذا أمر يحتاج لأبحاث أخرى متعمقة وبالتالي عينات أخرى متشابهة أو مختلفة، إضافة إلى حقول دراسة مختلفة لربما، وذلك من أجل محاولة فهم السبب وراء ذلك. ولكن هذا يتفق مع الفرضية الثانية لهذه الأطروحة، والمستندة لتعميمات بندكت أندرسون بشأن المشاعر التي تعبر عنها الشعوب المستعمرة.

وبشكل أولي ومن خلال العينة التي بين أيدينا، يمكن التفكير والقول بأن مثل هؤلاء الأفراد لربما يعتقدون ويؤمنون بأن الهوية الفلسطينية، وتحدي الاحتلال ومقاومته، يمكن تحقيقها من خلال قيم سامية هدفها التحرر والانعتاق من الاستعمار، والسعي نحو المستقبل، وبذلك فهم ينطلقون من فكرة أن الحب لا الكراهية هو القادر على التغيير واسترداد الحقوق وتحقيق الحرية، دون أن يعني هذا بطبيعة الحال تقبل الآخر (الاحتلال)، وهم بدورهم يحاولون عدم التشبه بالآخر وأفعاله وحقده، لئلا يصبحوا صورة عنه أو امتداداً له، فيصعب حينها التفريق بينهما، وبذا فإن رسالتهم هنا هي ليست فقط للآخر وحده بل للعالم أجمع، مع التأكيد على إيمانهم بأن الكراهية هي وسيلة عجز لا قوة، وبأن دور الهوية الأكبر هو تحرير الإنسان.

كما أنه من الملاحظ أن هؤلاء الأفراد يحاولون خلق نموذج خاص بهم في مقاومتهم للآخر؛ فهم يقاومون بأساليب متنوعة وبطرق مختلفة عن المستعمِر الذي يمارس بالدرجة الأولى العنف المادي ضدهم، وبذلك

فهم بطريقة أو بأخرى يعلنون رفضهم "لمحاكاة المستعمِر"[283] والتشبه به، إذ أنهم يؤمنون بأنه يُعتبر بمثابة خديعة للمستعمَر الذي يعتقد بأنه إذا استطاع أن يصنع نموذجاً مشابهاً عن المستعمِر فإنه يستطيع أخذ مكانه والانتصار عليه، وهؤلاء الأفراد قاموا بعكس ذلك تماماً وذلك من خلال مقاومتهم المضادة؛ البعيدة عن الكراهية والمختلفة عن صفات المستعمِر، حتى وهي تتبنى البندقية جزءاً من أدوات النضال، وبذا رفضوا محاكاته لأنهم آمنوا أن المنتصر الوحيد في هذه المحاكاة هو المنتصر الذي لا يحاكي أحداً، وبدل ذلك قاموا بخلق وإنشاء نموذج مستقل وخاص بهم.

أما فيما يخص سياسة الوكالة وتأثيرها، ومن خلال ما تم تتبعه في الأمثلة السابقة، فلا يمكن إنكار هذا التأثير على الأفراد، ولا شك أنّ إدارات المدارس قد تبتعد عن بعض النشاطات التي لا تتفق مع سياسة الوكالة، إلا أن الحديث هنا يتمحور حول تعبيرات أطفال لا يفهمون أو يدركون المعنى الحقيقي لهذه القيود والسياسات، وبالتالي فإن تأثير سياسة الأونروا لن يتمكن من التحكم فيهم وفي فعالياتهم وتعبيراتهم كُليّاً. فالمواضيع التي تطرق لها الطلبة والمواد التي تم الاستعانة بها والتعبيرات التي عبروا عنها، تؤكد أنه وبرغم كل شيء، إلا أن هناك فضاء يتحرك فيه الطلبة برغم كل القيود، وأن مثل هذه التعبيرات هي تعبيرات حرة وعفوية وغير مخطط لها لتخدم أهداف معينة، وأن هذا يؤكد ما كان قد ذكره مسؤولي الأنشطة بعدم تدخلهم بمواد الطلاب إلا بجزئية التنقيح كما تم الذكر. وبالتالي فإن كان هناك مقص رقيب عليهم وعلى تعبيراتهم، فإن تأثيره لا يكاد يذكر، أو يمكن القول بأنه لم يؤثر على الطلبة وتعبيراتهم ولم يتأثر الطلبة به، حيث تم الاحتفال بالمناسبات المختلفة سالفة الذكر وإحيائها كذكرى النكبة مثلاً، رغم منع الطلاب من القيام بذلك في إحدى المدارس كما تم الذكر، مع التركيز والتأكيد على ذكر القضية واللجوء والنكبة والأسرى والقدس وما إلى ذلك من مواضيع لا تتوافق مع سياسة الوكالة وفي مناسبات مختلفة، كما تم ذكر المحتل بصفات سيئة

[283] "فتنة المنتصر" هو مصطلح طرحه فيصل دراج في حديثه وتفسيره للعلاقة بين المستعمَر والمستعمِر والمحاكاة بينهما، ليوضح من خلاله كيف أن أحد الأطراف (المستعمِر) يرى بأنه المتفوق والآخر ينظر إلى نفسه على أنه الأقل، وهنا تأتي فتنة المنتصر والتي تشل في الطرف الضعيف القدرة على المحاكاة المستقلة الصائبة، ومن ثم يعود دراج ويعيد النظر في هذا المصطلح بقوله بأن في فتنة المنتصر تناقضاً ذلك أنه يوهم الطرف الضعيف بأن محاكاة المنتصر تفضي إلى تحقيق إنجازه والانتصار عليه. للمزيد حول الموضوع أنظر فيصل دراج، "الإبداع والوعي والتقليد،" *مجلة التسامح*، مسقط: صادرة عن وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، العدد 3 (2003): 142-155.

وبشكل واضح حتى وإن كان ذلك في مواضع قليلة. أيضاً، فإن ذلك يؤكد عكس ما يعتقد، بأن الأطفال عادة ما يبدون كأداة تلقين وتطبيق للأوامر والتعليمات، إلا أن أطفال مخيم الدهيشة قد أبدوا نوعاً من كسر القيود لمثل هذه الأوامر مع بروز روح التحدي لديهم وذلك من خلال تعبيراتهم المختلفة.

3-3 تداخلات الهوية الفلسطينية ومستوياتها والتعبير عنها لدى لاجئي الدهيشة

كما مر في الفصل الفائت فإنّ هناك عدة رؤى لكيفية نشأة الهوية الفلسطينية، بين من ربط نشأتها بردة فعل على المشروع الصهيوني، ومن رأى أنّ هذا المشروع قام فقط بإنارة هوية قائمة قبل ذلك، ومن رأي أنّ تطور نظام الدول الأمة، والحداثة، وما تلى تفكك الدولة العثمانية، هو السياق الحقيقي لنشأة أوتبلور هذه الهوية، والواقع أنّ الإجابة التامة عن عملية تكون وتشكل وحتى تطور وتغير الهوية الفلسطينية، تحتاج الكثير من البحث التاريخي الممتد في المراحل الزمنية التي يغطيها، حتى يكون بالإمكان تقديم إجابات وافية حول سؤال النشأة والتبلور هذا، ولكن دراسة حالة مخيم الدهيشة تساعد على تبين التداخل بين هذه المكونات المقترحة، ويوضح كيف تتجلى في تعبيرات ثقافية، وتتراجع في تعبيرات أخرى، بحسب السياق والأحداث والمناسبات.

إن الإنسان ومن خلال تفاعله مع الآخرين المحيطين به، يكون هويته من خلال الانتماء إلى أطر اجتماعية، ولكن ليس بالضرورة أن يكون هذا الانتماء على أساس علاقة الدم، أي أن الفرد يتفاعل مع فرد آخر على مستوى "النحن" لا على مستوى الفرد.

كما أن هناك مستويات عدة للهوية، والفرد يقوم بتفعيل المستوى المناسب من هويته (أي مستوى "النحن" المناسب) ليس حسب الأشخاص الذين يتفاعل معهم والإطار الاجتماعي الذي يتفاعلون ضمنه، ولكن ضمن سياقات سياسية، واقتصادية، واديولوجية مختلفة.

كذلك فإن عملية توكيد الهوية لا تكون فقط من أجل إظهار التجانس الاجتماعي لمجموعة معينة، بل أيضاً هي عملية يحاول الأفراد داخل المجموعة من خلالها أن يبنوا وحدتهم وانتمائهم، ومن ثم بناء حدود

اجتماعية بينها وبين مجموعات أخرى. وبما أن العديد من الأشخاص يعيشون بهويات قد "سرقت" منهم، فتبدو الحاجة ملحة بالنسبة لهم لاسترداد الهوية الجماعية والحفاظ عليها وذلك بأساليب مختلفة ومتعددة.

وفي الحالة الفلسطينية، فقد تعددت المراحل التي مرت بها وبالتالي تعددت العوامل التي أثرت على تشكل هويتها، نتيجة تداخل عوامل عدة في تكونها، فحدث التمازج للهوية، حيث تداخلت الهويات وامتزجت، أو تداخلت، بين المحلية والوطنية، القوميّة (العربيّة) والدينيّة (الإسلاميّة والمسيحيّة) والعالميّة (الكونيّة).

ويظهر سعي الفلسطيني، كما في مخيم الدهيشة،نحو تعزيز هويته الجامعة وبشتى الطرق وبمستويات مختلفة واضحاً، وذلك من خلال ما يقدمه الأفراد في المخيم من فعاليات والتي تعكس بشكل جلي كيف يقومون بتغذية إحساسهم الفردي، من خلال تعزيز انتمائهم وتضامنهم فيما بينهم ومع الآخرين، وذلك من أجل التأكيد على وجودهم وهويتهم ولتعزيز هويتهم الجامعة، فيقومون بتعريف انتمائهم، ضمن أطر متدرجة لا تتوقف عند المخيم، بل تنطلق إلى الدوائر الفلسطينية والعربية والإسلامية.

كما أنه وفي الحالة الفلسطينية، فقد تداخلت المحلية (الانتماء للحارة وللقرية وللناحية وللجهة)، مع الوطنية (فلسطين) "الانتدابية/ التاريخية" والقومية (العربية) التي تتعايش مع بعضها البعض مع الانتماءات العائلية والعشائرية والطائفية/ المذهبية الدينية. وعليه، فإن الهويّة غدت كمجموعة من التّراتبات المتغيّرة حسب السياق، دون أن تعني التّماثل، كما أن خصوصيّة الهويّات الاجتماعيّة لا تلغي المشترك.

ومن هنا تأتي فكرة مستويات الهوية وتراتبها، فلدى الشخص الواحد، يكون هناك عدة هويات في آن معاً؛ فردية، عائلية جماعية، وطنية، أممية وهكذا، لكن حضور هذه الهويات لدى الفرد قد يختلف ويتباين، بمعنى أن هناك تراتبية في مستوى هذه الهويات وحضور أحدها، أو حتى غيابها، أكثر من الأخرى لدى الشخص، فيلاحظ مثلاً أن هناك هويات قد تطغى على أخرى، وذلك بحسب ظروف وعوامل عدة يمر بها الأفراد وهويتهم في بيئتهم المحيطة، من المستوى الضيق إلى المستوى الأوسع، وهذا ما تم ملاحظته من خلال تتبع وتحليل التعبيرات التي يقدمها الأفراد في مخيم الدهيشة وهو ما سيتم تقديمه وتوضيحه من خلال

الأمثلة التالية والتي توضح كيف تعددت المستويات التي عبر عنها الأفراد في المخيم عن أنفسهم وعن انتمائهم من خلال أطر ومستويات وتراتبية مختلفة.

قامت مؤسسة إبداع مثلاً بعمل مسابقة لطلاب المؤسسة في الذكرى السابعة والستين للنكبة، وقد تنوعت القضايا التي طرحها الطلاب من خلال لوحاتهم المتنافسة، لكن المحاور الأساسية التي سيطرت على اللوحات هي: قضية اللجوء بشكل أساسي، الحصار، الاعتداءات الإسرائيلية، المقاومة بأشكالها، حنظلة، حق العودة، هذا إضافة إلى العديد من اللوحات التي تحدثت في ذكرى النكبة عن الأقصى والحصار والاعتداءات عليه من قبل الاحتلال، مبينين أن الأقصى هو قلب فلسطين النابض، وأن حصار القدس والأقصى هو جزء لا يتجزأ من النكبة وقضية التهجير، كما أن تحرير فلسطين والعودة يتم مع تحرير الأقصى. (أنظر الأشكال 12، 13، 14). وبذلك، فقد تبين من خلال القضايا المطروحة في اللوحات، الميل نحو تأكيد وتعزيز الهوية الوطنية الفلسطينية قبل أي شيء، من خلال التأكيد والإشارة بأن النكبة بالنسبة إليهم لا تعني المخيم ومناطق اللجوء فحسب، ولا تعبر عن حالة اللجوء بعينها فقط وتأثيرها على اللاجئين، بل تعدت كونها ذلك لتتحدث عن إطار أشمل وأوسع، فاللجوء يعني القدس أيضاً، يعني الأقصى واستمرار الاعتداءات عليه من قبل المحتل ذاته الذي تسبب بحدوث حدث كالنكبة، وأن حصار القدس لا يختلف ولا ينفصل عن الحصار الأشمل في مناطق الضفة مثلاً (حيث يعيش أفراد مجتمع الدراسة)، وأن الاعتداءات عليه تعني الاعتداءات على الكل الفلسطيني، وبذلك، كان لا بد من تأكيد ذلك من خلال ما تضمنته اللوحات من مفردات وتعابير توضح أن حدثاً كالنكبة يشكل رابطاً لأبناء الوطن الواحد، وأنه، حدثاً وتأثيراً، يشمل الجميع أينما كانوا وكيفما اختلفت معاناتهم، لكنهم في النهاية..جميعاً، يحملون هماً واحداً ويواجهون محتلاً واحداً. وهذا ما يؤكد أن حدثاً كالنكبة، قد عزز إحساس الفلسطينيين بالوحدة وبالتضامن مع بعضهم البعض كوسيلة للحفاظ على الهوية، هويتهم الوطنية الفلسطينية، والوجود وكردٍّ على انعدام الأمان لديهم.

أما فعالية الأسرى التي قامت بها مؤسسة إبداع أيضاً في أيام الـ 4، 5، 6/7/ 2014، فكانت بهدف دعم وإسناد الأسرى الفلسطينيين في سجون الاحتلال الاسرائيلي ولتعزيز روح الانتماء والتكافل بين أبناء الوطن الواحد والذين يتشاركون الهم ذاته، سواءً بيوم الأسير الفلسطيني في 17 من نيسان أو في الفعاليات التي تمت من أجل الأسرى المضربين عن الطعام. وقد جاءت هذه الفعالية لتعبر عن الرغبة في السعي لخلق هكذا رابط يجمع الأفراد جميعاً ويوحدهم، مع التأكيد على أهمية الحفاظ عليه، لما له من أهمية في تقويتهم وتعزيز صمودهم جميعاً ومعاً ليكونوا قادرين على الوقوف في وجه الآخر.

وقد تمثلت هذه الفعالية بقيام أطفال المؤسسة بتنظيم وقفة دعم وإسناد للأسرى على الشارع الرئيسي للمخيم أمام المؤسسة يوم 2014/6/4، وقيامهم برفع العلم الفلسطيني واللافتات تأييداً للأسرى وقضيتهم والتي تؤكد على أهمية التضامن مع الأسرى من مثل: "كل الإسناد لأسرانا"، "دعم أسرانا واجب وطني" (أنظر الأشكال 15، 16). كما قاموا بتوزيع الماء والملح على السيارات والمارة في الشارع العام، تعبيراً عن اسم المعركة التي يخوضها الأسرى مع مصلحة إدارة السجون (ماء وملح) وتعبيراً عن الشعور بمعاناة الأسرى. (أنظر الأشكال 17، 18).

كما قام أطفال المؤسسة في اليوم التالي أيضاً بتعليق الشعارات على سيارات المارة، وذلك تذكيراً وإنذاراً بخطورة أوضاع الأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية. (أنظر الأشكال 19، 20).

هذا وقد قام أطفال المؤسسة أيضاً في 2014/6/7 بتنظيم فعالية أخرى تتضمن توزيع رسائل على المارة مفادها أن دعم وإسناد الأسرى هو واجب وطني وأخلاقي. (أنظر الشكل 21).

وبذا، فالملاحظ في مثل هذه الفعاليات هي الدوائر أو مستويات الهوية المتخيلة المختلفة، وتمازجها ومستوياتها والتعبير عنها لديهم، بدءاً من دوائر انتماءات أبناء المخيم وقضيتهم، متمثلة بالقضايا المطروحة حول اللجوء والتهجير والنكبة وحق العودة، وصولاً للدوائر الوطنية الفلسطينية المتمثلة بطرح قضية الأسرى والتأكيد عليها من خلال الفعالية السابقة وكذلك قضية الحصار والاعتداءات الإسرائيلية والمقاومة بأشكالها،

ومن ثم الإسلامية التي تم التأكيد عليها في أكثر من مكان ومناسبة وذلك من خلال اللوحات التي تحدثت في ذكرى النكبة عن الأقصى والاعتداءات عليه من قبل الاحتلال.

أما قصيدة فلسطيني أنا إسمي فلسطيني والتي ألقيت في فعالية يوم التضامن مع الشعب الفلسطيني في مدرسة إناث الدهيشة الابتدائية فتقول:

فلسطيني أنا إسمي فلسطيني

كتبت اسمي على كل الميادين

بخط بارز يسمو علي كل العناوين

حروف اسمي تلاحقني تعايشني تغذيني

تبث النار في روحي وتنبض في شراييني

جبال النهر تعرفني مغاورها وتدريني

بذلت الطاقة الكبرى وقلت لأمتي كوني

صلاح الدين في أعماق أعماقي يناديني

وكل عروبتي للثأر للتحرير تدعوني

ورایاتي التي طويت على ربوات حطين

:

وصوت مؤذن الأقصى يهيب بنا أغيثوني

وآلاف من الأسرى وآلاف المساجين

تنادى الأمة الكبرى وتهتف بالملايين

تقول لهم إلى القدس إلى قبلة الدين

فلسطيني...فلسطيني...فلسطيني

فكلمات القصيدة هنا تحدثت وتطرقت للعديد من المواضيع المختلفة والمتنوعة والشاملة لأكثر من مكان في فلسطين، كما أنها تطرقت وعرضت لأكثر من مستوى للهوية، فالمستوى المتعلق بالوطني الفلسطيني كان واضحاً من خلال الحديث عن فلسطين في المقام الأول وطرحه كموضوع أساسي، وتقديم فلسطين ككل موحد وجامع على مختلف القضايا؛ قضية الاحتلال والأسرى والتحرير والمقاومة إضافة إلى الحديث عن القدس والأقصى للانتقال إلى التعبير عن الهوية الإسلامية والتي تتلخص وتتشكل بالقدس والأقصى والتي تم ذكرها والتأكيد عليها في أكثر من موضع. كما أنها وفي حديثها عن فلسطين، تطرقت للإطار الأوسع وانتقلت للحديث عن مستوى آخر من مستويات الهوية وهو المستوى الأممي، وذلك من خلال مخاطبة "الأمة الكبرى" "وقلت لأمتي كوني" ودعوتهم للقدس ولتحريرها كونه واجب على أفراد الأمة أجمع وليس على الفلسطينيين وحدهم.

هذا وقد تطرقت الكلمات الصباحية في مدرسة ذكور الدهيشة الإعدادية مثلاً للحديث عن فلسطين والقدس أيضاً وغزة، إلا أنها أيضاً تطرقت للحديث عن مواضيع أخرى وبمناسبات مختلفة؛ دينية واجتماعية وسياسية وأدبية وثقافية من مثل يوم المرأة العالمي، يوم الأم، الإسراء والمعراج، رأس السنة الهجرية، يوم الكرامة، يوم الصحة العالمي، يوم الأمم المتحدة وما إلى ذلك من مناسبات متعددة. إلا أن الفعاليات وعلى كثرتها وعلى اختلاف مناسباتها وما تعبر عنه، تطرقت في معظمها للحديث عن الهوية الفلسطينية وهوية اللجوء وما يرتبط بها في معظم المناسبات لمحاولة تعزيزها والتأكيد عليها، كون هذه الهوية هي جزء من هويات أوسع وأشمل، ولا بد من التأكيد عليها أولاً لأجل الانطلاق منها إلى الهويات الأخرى.

كما تم التطرق للحديث عن دول عربية أخرى وفي مناسبات متعددة ومتنوعة، أما بعض هذه المناسبات التي تطرقت لها الإذاعة المدرسية وقامت بإحيائها من خلال كلمات صباحية فهي من قبيل: الاحتفال بالذكرى الثمانون لتأسيس الجيش العراقي (6/1/ 1921)، ذكرى حرب الخليج (1990\ 1991)، ذكرى تأسيس حزب البعث العربي الاشتراكي وذكرى انطلاقة جبهة التحرير العربية (1957/ 1969)، ذكرى زيارة الرئيس السادات إلى الكنيست الصهيوني، ذكرى وفاة الضابط الأردني "مشهور حديثة الجازي" الذي توفي

يوم الثلاثاء 11/6/ 2001 في الأردن، "وهذا الضابط كان قد وقف مع الفلسطينيين في 3/21/ 1968 في معركة الكرامة التي جرت على أرض الأردن، بين الجيش الصهيوني والفدائيين، وهُزم فيها الصهاينة" بحسب ما جاء في سجل اللجنة الثقافية.[284] جدير بالذكر الإشارة بأن المدرسة قامت حينها بعمل حفل تأبين للضابط يوم الأربعاء 11/7/ 2001.[285]

فالملاحظ هنا، أن هذه المناسبات قد تطرقت للحديث عن الإطار الأوسع، أي على علاقة غير مباشرة بفلسطين وما يحيطها وما يرتبط بها من مواضيع ذات علاقة؛ النكبة واللجوء والمذابح....فالحديث هنا كان عن دول عربية أخرى وبمناسبات مختلفة ومواضيع عدة. ولكن تبقى هذه الدول العربية بالنسبة لهم، هي جزء من أمة أوسع وأشمل، جزء من الوطن العربي الكامل، والذين يشتركون معهم أيضاً باللغة والدين والقومية، كما أنهم جزء من هم مشترك رغم البعد، يتشاركون مع هذه الدول ويعبرون عن انتمائهم إليهم "كجماعات أخرى" لكن دون أن يعرفونهم بشكل مباشر، ولكنهم ومن خلال مثل هذه الفعاليات، يعملون على خلق رباط يجمعهم معاً ويوحدهم، ويقرب، بل يلغي المسافات فيما بينهم، ليصبحوا أمة واحدة تتشارك بالكثير وترتبط ببعضها البعض بأكثر من مجرد لغة وقومية وما إلى ذلك. وبذا كان المستوى المعبر عنه هنا هو المستوى الأممي والقطريأي خارج الإطار الوطني الفلسطيني فقط. وتأتي الحاجة بالنسبة إليهم لمثل هذه الممارسات والوسائل، –وذلك استناداً لما تم ملاحظته وتوضيحه وتأكيده من قبل مسؤولي الأنشطة–، خاصة في ظل الظروف التي يعيشها أبناء الوطن العربي من تشتت وتفرق، فتغدو الحاجة ملحة بالنسبة إليهم لإعادة تشكيل وتكوين وحدتهم وارتباطهم وانتمائهم والتأكيد على أنهم وطن واحد وأمة واحدة يجمعهم الكثير، وذلك من خلال القيام بمثل هذه الفعاليات. ولكن لا يمكن إغفال أنّ هذه الدول والجهات العربية، التي لقيت احتفاءً، (مثل العراق ومشهور حديثة)، كانت أيضاً تتبنى خطاب ومواقف متفاعلة مع الشأن الفلسطيني.

---

[284] مدرسة ذكور الدهيشة الأساسية، "سجل اجتماعات اللجنة الثقافية والإذاعة المدرسية،" الأعوام الدراسية: 2000- 2001.

[285] المرجع السابق.

كذلك فقد كان الاهتمام بالشأن العراقي إبان الغزو الأمريكي عام 1998 لافتاً في جدول برامج المدرسة (ذكور الدهيشة) سواءً على مستوى الكلمات الصباحية أو حتى على مستوى الفعاليات والمسيرات. وهذا ما أكده يوسف عدوي في مقابلتنا معه حيث قال بأن أول مظاهرة كانت للتنديد بالعدوان على العراق انطلقت من الدهيشة.

وتمثلت الفعاليات من أجل العراق بعمل مسيرة تضامن مع العراق والتي انطلقت من أمام المدرسة في 1998/2/5 وفي 1998/2/7. وعمل نشاط استنكاري في 1998/12/17 داخل المدرسة للتنديد بالهجوم الأميركي على العراق. كما تم القيام في شهر آذار من العام 1999، عمل تظاهرة حاشدة نظمتها اللجنة الثقافية وذلك تنديداً باستمرار "الحصار والعدوان" على العراق. وقد شارك أكثر من 500 طالب من المدرسةوالعشرات من الأهالي في المخيم بالمسيرة، والتي تم فيها حرق تابوت الأنظمة العربية وصاروخ كروز الذي يمثل الحصار وطائرة F16 التي تمثل العدوان المستمر على شمالي العراق وجنوبه. كما تم إلقاء قصائد ذات علاقة من مثل قصيدة (صدام) و(بغداد حريتنا) و(صرح الشهيد العراقي). كما رفعت في المظاهرة الأعلام العراقية والفلسطينية وألقى الطلبة نشيد العراق للشاعر سميح فرج.

كما تم المساهمة مع مؤسسة إبداع في شباط من العام 1998 بإرسال (1500) رسالة إلى أطفال العراق من أطفال الدهيشة، والمشاركة في معرض الصور والرسومات التي تجسد معاناة الشعب العراقي الشقيق وتبرزها.[286] إضافة لعمل حملة تبرعات وجمع أقلام رصاص لطلاب العراق في المدرسة. كما تم القيام باحتفالية لإحياء ذكرى شهداء ملجأ العامرية، إضافة لإجراء مسابقة في التعبير عن العراق، تعبر فيه المواضيع عن معاناة الشعب العراقي وخصوصاً الأطفال منهم المحرومين من الحليب والدواء والغذاء من جراء الحصار. والجدير بالذكر أن الاهتمام بهذا الحدث لم يقتصر على السنة الأولى من حدوثه، بل استمر طوال سنوات الحصار. وتؤكد الفعاليات المذكورة آنفاً، مدى الاهتمام بتعزيز الترابط والتوحد بين أفراد أمة

---

[286] مدرسة ذكور الدهيشة الأساسية، "سجل اجتماعات اللجنة الثقافية والإذاعة المدرسية،" الأعوام الدراسية: 1996- 1997/ 1997- 1998/ 1998- 1999/ 1999- 2000/ 2000- 2001.

أخرى ضمن إطار أوسع، ومحاولات بيان تعاطفهم وتضامنهم مع أبناء العراق الشقيق والذي هو جزء من الوطن العربي ككل، من أجل تعزيز هويتهم العربية ووحدتهم أينما كانوا، وكيف يقومون من خلال ذلك بخلق رباط يجمعهم ويوحدهم، ويلغي المسافات فيما بينهم، ليصبحوا أمة واحدة يجمعهم الكثير ويرتبطون مع ببعضهم البعض بأكثر من مجرد لغة وقومية.

أما فيما يخص احتفالية "أسبوع التضامن العربي"، فقد تم تنفيذ هذا الاحتفال في تشرين الأول من العام 1998 وتضمنت فعالياته الآتي:

اليوم الأول: السبت 10/10– كلمة تتضمن الحديث عن الواقع العربي الراهن والتحديات التي تواجه الأمة العربية. ثم قصيدة وطنية تعبر عن الأخوة العربية وإلقاء قصيدة "جنزير"، ومن ثم إنشاد جميع طلبة المدرسة لنشيد "بلاد العرب أوطاني".

اليوم الثاني: شارك الطلاب والمعلمون بالمسيرة التضامنية والتي سارت في شوارع المخيم، وقد كان شعار المسيرة: "من المحيط إلى الخليج، وطن واحد، شعب واحد". ورفعت خلالها الأعلام الفلسطينية واللبنانية والسورية والعراقية والليبية والسودانية.

اليوم الثالث: تم عرض وثائقي عن إحدى القمم العربية وعن سوريا والمغرب.

اليوم الرابع: إلقاء محاضرة عن الأهمية الاستراتيجية للوطن العربي. ومن ثم عرض فيلم "يوم لك ويوم عليك" وهو فيلم يتحدث عن القدس عام 1948 واللاجئين الذين شردوا منها في تلك السنة.

اليوم الخامس: تسليم مدير مخيم الدهيشة مذكرة تحمل ألف توقيع من أطفال الدهيشة ليرفعها إلى السيد كوفي عنان، الأمين العام لهيئة الأمم المتحدة (حينها)، تعلن التضامن مع أطفال الشعوب العربية المحاصرة وتستنكر الاعتداءات المتكررة على الطفولة العربية.[287]

---

[287] مدرسة ذكور الدهيشة الأساسية، "سجل اجتماعات اللجنة الثقافية والإذاعة المدرسية،" الأعوام الدراسية: 1996- 1997/ 1997- 1998/ 1998- 1999/ 1999- 2000/ 2000- 2001.

تمثل الفعاليتان السابقتان مثالاً لمعنى التضامن والانتماء والوحدة فيما بين أبناء الأمة أينما كانوا، كما تبين القدرة التي يملكها هؤلاء الأفراد في المخيم على خلق رابط مع جماعات أخرى لا يعرفونها بشكل مباشر وبمستويات متعددة، لكنهم قادرون على تخيل هكذا رباط يجمعهم، ليأكدوا على انتمائهم ووحدتهم، مع التأكيد على أن هذا التخيل، دفعهم لتقوية هذا الانتماء بوسائل أكثر وخيال أوسع وعلى كافة المستويات، فتوسع الاهتمام لديهم من الشأن المحلي والوطني وما يتعلق باللجوء والمخيم إلى الاهتمام بالقدس وما يحيط بها، إلى الاهتمام بالإطار الأوسع والأشمل وهو الشأن العربي. ويأتي ذلك من إيمانهم وقناعتهم بأنهم يتشاركون ويرتبطون مع هؤلاء الأفراد بروابط عدة، تتجاوز حدود المكان، ليتوحدوا بالدين والقومية واللغة، إذ أنهم جميعاً في النهاية أبناء أمة واحدة أينما تواجدوا.

ولكن، ورغم التأكيد وتعزيز أهمية الانتماء والترابط بين أبناء الأمة الواحدة، تبقى هذه الفعاليات في إطار الواقع المعاش من خلال ما تعبر عنه، فمثل هذه الفعاليات لا تتجاهل أو تتناسى دور الأمم والأقطار العربية المتخاذل في التعامل مع القضية الفلسطينية وخيبات الأمل التي تعرضوا لها بسبب تقاعس الشعوب العربية عن تقديم الدعم والمساعدة للشعب الفلسطيني. ففي إحدى الكلمات الصباحية التي تم إلقاؤها في مدرسة إناث الدهيشة الابتدائية، تقول إحدى الطالبات في كلمتها حول الطفولة:

تحتضن أشلاء الأطفال في حناياها...وعرب يفتلون عضلاتهم يتحدثون عن الرجولة

وأي رجولة لم تستطع أن تنقذ حق الطفولة...كفاكم يا عرب فعن أي طفولة تتكلمون

وفي كلمة أخرى تم إلقاؤها في يوم الاستقلال تقول فيها إحدى الطالبات:

"ندافع عن كرامة الأمة العربية في زمن كثرت فيه الخيانات العربية...أشعر باقتراب شمس الحريةأكثر من أي وقت مضى، ليس بفعل حكومات أو سياسات أو اتفاقيات، بل بقدرة الله وحده القادر على كل شيء".

فالكلمات هنا تعكس بشكل واضح أنه وبرغم قوة الانتماء والترابط التي يسعى هؤلاء الأفراد لخلقها بين ومع أفراد الأمة والأقطار العربية الأخرى، إلا أن الواقع المعاش والذي يعبر عنه الأفراد من خلال ما تعكسه مثل هذه الفعاليات، يؤكد على أن هذه الهويات ومستوياتها التي تم ذكرها، هي ليست بالضرورة مكملة لبعضها

البعض، فالفلسطيني الذي يؤكد على هوية اللجوء الخاصة به وعلى هويته الوطنية الفلسطينية الإسلامية، يدرك ويعي أن ما يتخيله ويعمل على تأكيده وتعزيزه، لا يبتعد أبداً عن الواقع الذي يعيشه من تقاعس الأمم والشعوب العربية الأخرى عن الدفاع عنه والوقوف معه ومع قضيته في وجه الآخر، مدركاً أنههو وحده وأبناء وطنه وأرضه من يقف في وجههذا الآخر، ويحاربه وذلك بسبب تخلي أبناء الأمة عنه وعن مساعدته. وبذا، تغدو "النحن" التي يؤمن بها ويعمل على تقويتها وتثبيتها داخل المخيم، مختلفة عن "النحن" المعبر عنها خارج إطار المخيم، لأن مفهوم الانتماء وتشارك الهم والذكريات والحق والتي تشكل جميعها جزءاً من هويته ومما يتشاركه أبناء وطنه، لا يشتملها، بحكم الواقع المعاش، المستوى الأوسع من الهوية، وهي الهوية العربية.

أما على صعيد الفعاليات الأخرى والتي كانت تجمع ما بين الداخل والخارج، فتمثلت بفكرة تبادل الرسائل بين طلاب مدارس الوكالة في سوريا وفلسطين، سواءً من الطلبة اللاجئين الفلسطينيين المقيمين في سوريا أو من الطلبة السوريين أنفسهم. وقد تضمنت هذه الرسائل في جزء منها على رسومات معبرة أحياناً عن انتفاضة الأقصى، ورسائل مكتوبة أرسلها طلبة لاجئون فلسطينيون في سوريا من مدارس مختلفة تابعة للوكالة، وكانت هذه الرسائل موجهة إلى أطفال فلسطين وطلابها بإشراف مركز التطوير التربوي في القدس. وتعبر هذه الرسائل عن تضامن الشعب الفلسطيني في الشتات والشعب العربي مع الأهل في فلسطين، الذين يتعرضون للقتل والتشريد والتجويع، والصامدون في وجه العدو الصهيوني الذي يقتل الأطفال ويدمر البيوت ويقتلع الأشجار. وقد قام طلاب مدرسة الدهيشة بدورهم بالرد على هذه الرسائل وعمل لوحات فنية/ معبرة عن حال الفلسطينيين في ظل القمع والعدوان والحصار الصهيوني.[288]

تقول اللجنة حول الحدث: "لقد كانت لحظات مؤثرة حال تسلم طلبة المدرسة لهذه الرسائل والرسومات، التي تجسد معنى التضامن وعمق التواصل بين الشعب العربي الواحد ليس الفلسطيني فحسب، وانهمرت دموع الأطفال وهم يقرؤون كلمات أقرانهم من شعبهم في سوريا العرب".

---

[288] مدرسة ذكور الدهيشة الأساسية، "سجل اجتماعات اللجنة الثقافية والإذاعة المدرسية،" الأعوام الدراسية: 2000- 2001.

أحد الطلبة كتب: "إلى أبناء وطني، وطن الأنبياء والسلام، وطن الزيتون والليمون، إلى أبناء الوطن المقتول غدراً من قبل الصهاينة المجرمين، أبعث إليكم أسمى تحياتي، وأقف مع زملائي أمام بطولاتكم بكل إجلال وتقدير، يا من تدافعون عن التراب المقدس الممزوج بدماء الآباء والأبناء، ودموع الأمهات والشقيقات"... وكان رد أحد طلاب مدرسة الدهيشة: "أخي ابن وطني الحبيب، أخي في الغربة والشتات، أخي يا من أبعدتك ظروف الدهر وظلم الظالمين، فعشت بعيداً تحلم بالعودة وتشتاق إلى تراب الوطن الغالي، تحية الوطن والثورة والشهادة والشهداء، من أرض الصمود إلى كل أهلنا في سوريا، واطمئنوا علينا، سنحمي القدس والمقدسات الإسلامية والمسيحية وسنظل صامدين مهما عظمت التضحيات، فالهدف نبيل وسامٍ، وفلسطين مهرها غالٍ..".[289]

هي الصورة العقلية إذن والتي يستخدمها الأفراد لتتشكل الجماعة المتخيلة وبدورها الروابط الإنسانية الهوياتية، وهي تأكيد على "النحن" الجامعة بينهم أينما كانوا، إذ رغم البعد الكبير بينهم بفعل كل شيء، فإن هناك صورة تشاركهم وتعيش حية في ذهن كل واحد منهم، كفيلة بأن تشكل جماعة قادرة على الصمود والوقوف في وجه الآخر.

فالملاحظ هنا أن مثل هذه الفعاليات تبين كيف أن الانتماء لا يكون بالضرورة على أساس علاقة الدم، حيث أن الفرد هنا يتفاعل مع الفرد الآخر على مستوى النحن لا على مستوى الفرد. كما يظهر كيف يحاول هؤلاء الأفراد داخل المجموعة أن يبنوا وحدتهم وانتمائهم، ومن ثم بناء حدود اجتماعية بينها وبين مجموعات أخرى، وذلك من أجل تعزيز الهوية الجامعة وبشتى الطرق وبمستويات مختلفة، فتغدو مثل هذه الفعاليات مهمة لكي تعكس بشكل جلي كيف يقوم الأفراد بتعزيز انتمائهم وتضامنهم فيما بينهم ومع الآخرين، وذلك من أجل التأكيد على وجودهم وهويتهم ولتعزيز هويتهم الجامعة، فيقومون بتعريف انتمائهم، ضمن أطر متدرجة لا تتوقف عند المخيم، بل تنطلق إلى الدوائر الفلسطينية والإسلامية والعربية، دون إغفال الواقع المعاش، مما يجعل من هذه الهويات متعارضة، أحيانا، وغير مكملة لبعضها البعض، كما يخلق تراتبية في

[289] المرجع السابق.

مستويات الهوية المعبر عنها. وهذا ما تم ملاحظته من خلال تقديمهم لمثل هذه الفعاليات والتي تبين أن العلاقة مع بعضهم البعض كفلسطينيين هي علاقة يسعون من خلالها لتأكيد وحدتهم واتحادهم كجماعة واحدة تتشارك الأرض والهم والقضية وأمور أخرى، ليكونوا قادرين على الوقوف والصمود في وجه الآخر، وهذا ما جعل مستوى الهوية الوطني والفلسطيني يطغى على أي مستوى آخر. وفي الوقت ذاته، هم يسعون كذلك لتعزيز وحدتهم وعلى مستوى أوسع وأشمل، كأبناء أمة عربية واحدة، يتشاركون اللغة والقومية وذلك من خلال تواصلهم مع الشعوب العربية الأخرى، لتعزيز هذا التوحد والتكاتف بين أبناء الأمة أينما كانوا. لكن، دون إغفال للواقع الذي يعيشه هؤلاء الأفراد من خذلان وخيبات أمل من قبل الشعوب العربية الأخرى، مما جعل مستوى التعبير عن الهوية ضمن هذه الدائرة أقل حضوراً، ولم يكن من الممكن أن يطغى على الدوائر الأخرى كالإسلامية مثلاً، نظراً لواقع يؤكد على أن الانتماء و"النحن" الجامعة لأبناء الوطن الواحد هي أقوى من أي "نحن" أخرى خارج هذا الإطار. هذا ومن المهم الإشارة هنا وفيما يخص المستوى الديني، والذي ظهر جلياً من خلال الذكر المتكرر للقدس والأقصى وفي أكثر من حدث ومناسبة، سواء تلك التي كانت مرتبطة أو غير المرتبطة بالقدس، أنه كان قد تركز على المستوى الإسلامي لا المسيحي مثلاً، إذ أن الفعاليات والمواد التي تم التزود بها لغرض الدراسة، لم تأت على ذكر الأماكن المقدسة الأخرى من مثل كنيسة القيامة أو المهد أو غيرهما من المعالم أو الأماكن، لكن هذا قد لا يعني بالضرورة غياب المستوى الديني/ المسيحي، لأنها من الممكن أن تظهر في فعاليات أخرى أو في حالات دراسية أخرى غير التي تم دراستها وتحليلها.

3-4 أثر اللجوء على الهوية في الدهيشة(قضايا اللجوء وحق العودة والمخيم):

يتأكد من الملاحظة والقراءة في تعبيرات الهوية في مخيم الدهيشة، أنّه بقدر ما كانت نكبة 1948 من المراحل المهمة والفاصلة والتي أثرت على حياة الفلسطينيين بمختلف جوانبها، ورغم ما تستدعيه هكذا حالة من إمكانية إضعاف لهوية الأفراد، إلا أن ما حدث كان عكس ذلك، إذ أن حالة اللجوء قد شكلت وضعاً

مختلفاً في حياة الفلسطينيين، من خلال تعزيزها لإحساسهم بالتضامن كوسيلة متبعة للحفاظ على الهوية والوجود وكردّ على انعدام الأمان لديهم، مما ساعد على بناء ذاكرة جماعية لديهم، لتصبح هذه الذاكرة بديلاً عن الأرض التي سلبت، وتعمل على إعادة تعريف الإنسان المضطهد بما يجب أن يكون عليه حاله. كما تعمل على إعادة صياغة مفهومي الأرض والوطن، وتكوين علاقات جديدة تقوم على التوحد والتعاضد. وبذا فقد أنتجت ضرورة مواجهة اللجوء وظروفه وحدة في المفاهيم ونمطاً خاصاً للعلاقات الناشئة فيما بين اللاجئين ومحيطهم، وبالتالي برزت خصوصية هويتهم ضمن إطار الهوية الفلسطينية.

وتميزت بيئة المخيم في مرحلة ما بعد اللجوء عن باقي البيئات المحيطة، وأصبح المخيم بالنسبة للاجئين رمزاً لفلسطين، وأظهرت المجموعات في المخيم الانتماء الذاتي والذي يلعب دوراً في تخيل الأفراد لأنفسهم، هذا وقد حمل هؤلاء اللاجئون وأبناؤهم هويات اجتماعية ارتبطت بجغرافيا المكان المقتلع، وتكونت هويتهم المتأثرة بحالة الاقتلاع والنفي، وظهر جلياً ميلهم للإكثار من الاحتفالات في المخيم والتي تحتوي على رموز تمثل الثقافة الوطنيّة، كما يكثرون من استعراض ثقافتهم بغرض إثبات وجود تراث وثقافة وطنيّة لهم.

وعليه، فقد أصبحت عملية استحضار التاريخ المشترك هي الوسيلة لتشكيل الذاكرة الجماعية في المخيم، والتي عملت على إدامة الهوية المتخيلة للاجئين، كما أنه وبسبب وجود حالة الصراع القائمة إلى اللحظة، تظهر في المخيم حاجة لإنعاش الذاكرة الجماعية ويزداد التعلّق بالجغرافيا والمكان وبالذكريات جميعها، كما يجري خلق رموز جميلة للوطن.

وبذا، فهوية اللاجئين أساسها الإحساس بالغربة عن الأرض والوطن والناس، فالأرض هي الوطن والناس والقرية الأصلية والحياة فيها بمختلف تفاصيلها والذكريات جميعها؛ ما قبل اللجوء وما بعده والمعاناة الجماعية بعد فقدان الأرض والممتلكات والذكريات وكل شيء، هذا إضافة للآمال المستقبلية، وهي كلها تغدو كعناصر مشكلة لثقافة اللاجئين وهويتهم.

وقد تم تتبع أثر اللجوء على الأفراد من خلال ملاحظة إذا ما تم ذكر موضوع حق العودة والمخيم وكيفية ذكرهما من خلال ما عكسته الفعاليات التالية، والتي كانت قد عكست قضايا مختلفة بينت تأثرهم بما

عايشوه، ومدى تعلقهم بالجغرافيا والمكان والذكريات ومحاولة استحضارها والتأكيد عليها فيما بينهم، كما تبين كيفية سعيهم لإنعاش الذاكرة من أجل التأكيد على حقهم وتمسكهم به إلى اللحظة، هذا إضافة إلى محاولاتهم الساعية إلى تعزيز الانتماء والتضامن ولتعزيز الذاكرة الجماعية، واستحضار جميع ما كان بين الأفراد جميعاً أينما تواجدوا.

تضمنت إحدى الفعاليات المقامة من قبل مؤسسة إبداع مثلاً، وذلك بمناسبة الذكرى ال67 للنكبة، عمل مسابقة ثقافية للقرى المهجرة حيث تتنافس فيها القرى فيما بينها وعلى مدار أيام مختلفة. وقد شاركت في هذه المسابقة كل من قرية الولجة، زكريا، بيت عطاب، صوبا، راس أبو عمار، عرتوف، علار، خلدة، عجور، جراش، دير أبان، وبيت جبرين، (أنظر الأشكال 22، 23). وقد جاءت مثل هذه الفعالية كطريقة لإنعاش الذاكرة الجماعية بين الأفراد من خلال التذكير بوجود هذه القرى وأسمائها والحديث عنها وعما حل بها عقب النكبة، وذلك تأكيداً على التمسك بالثابت الوطني المتمثل بالحق في العودة إلى الديار الأصلية التي هجر منها الفلسطينيون قسراً، ومن أجل تعزيز قيم الانتماء والوحدة بين أبناء الوطن أينما كانوا، وتأكيداً على ما يجمعهم من أرض وهم واحد.

أما في مدرسة إناث الدهيشة الابتدائية فتم إحياء اليوم العالمي للتضامن مع الشعب الفلسطيني كما ذكر في ساحات المدرسة. وقد تخلل برنامج الحفل العديد من الفقرات مثل الأناشيد الوطنية وكلمات وقصائد بمناسبة الحدث وعروض دبكات متنوعة.

إحدى هذه القصائد كانت قصيدة بعنوان "إننا لعائدون" تحدثت عن حق العودة للفلسطينيين، إضافة لمواضيع أخرى...فتقول:

عائدون عائدون ... اننا لعائدون

فالحدود لن تكون والقلاع والحصون

فاصرخوا يا نازحون

إننا لعائدون

عائدون للديار للسهول والهضاب

تحت أعلام الفخار والجهاد والنضال

بالدماء والفداء والإخاء والوفاء

إننا لعائدون

عائدون يا ربا عائدون يا هضاب

عائدون للصبا عائدون للشباب

للجهاد في النجاد والحصاد في البلاد

إننا لعائدون

تتحدث القصيدة عن موضوع العودة بشكل رئيسي "عائدون عائدون ... اننا لعائدون"، وعن الحق في العودة والإصرار عليه والتمسك به وبكافة الطرق "فالحدود لن تكون والقلاع والحصون"، "تحت أعلام الفخار والجهاد والنضال... بالدماء والفداء والإخاء والوفاء". كما يظهر أسلوب مناداة الجموع بمنادى "يا نازحون" ليختصر أثر اللجوء ووجعه، هذا إضافة لما تطرقت له القصيدة من الحديث عن موضوع الأرض وجمالها ومعالمها قبل اللجوء وتخيلها رغم عدم زيارتها أو العيش فيها... "للديار للسهول والهضاب"..."يا ربا يا هضاب"..."عائدون للصبا عائدون للشباب"..."والحصاد في البلاد"... والإصرار على العودة إلى المكان نفسه واسترجاع الذكريات. والقصيدة ككل تتحدث عن الذكريات السابقة وذلك لمحاولة إنعاش الذاكرة الجماعية للأفراد، ولاستحضار هذه الأيام كوسيلة لتشكيل الذاكرة الجماعية والتي تعمل على إدامة الهوية المتخيلة بالنسبة لهم، خاصة أنهم لم يعايشوا هذه الذكريات بسبب طردهم من أراضيهم، ولذلك تظهر كذلك مفردات تشير إلى الأرض والارتباط بها وتتعلق بالوطن وبالذكريات السابقة وذلك لتعزيز ذاكرتهم الجماعية.

كذلك الأمر، ما جاء في أغنية هدي يا بحر هدي لمنشد الثورة الفلسطينية إبراهيم محمد صالح المعروف بأبو عرب، والتي ألقيت في ذات المناسبة، إذ تقول كلماتها:

يا توتة الدار صبرك على الزمان ان جار... لا بد ما نعود مهما طول المشوار

يا توتة الدار حلفتك برب الكون... لا بد ما نعود مهما طول المشوار

هدي يا بحر هدي طولنا في غيبتنا... ودي سلامي ودي للأرض اللي ربتنا

وسلملي على الزيتونه...على أهلي اللي ربوني... وبعدا إمي الحنوني بتشمشم بمخدتنا

وسلم سلم على بلادي تربة بيي وجدادي...وبعدوا العصفور الشادي بغرد لعودتنا

وخدي سلامي يا نجوم عالبيادر والكروم... وبعدا الفراشه بتحوم عم تستنظر عودتنا

واحمل لبلادي سلام... لخوالي ولكل العمام... وبعده زغلول الحمام عشوا على توتتنا

وعهد الله وعهد الثوار ما بنسى حقك يا دار... ومهما طولنا المشوار راجعلك يا ديرتنا

إذ يأتي اختيار هذه الأغنية وبهذه الكلمات لتتحدث عن الأمل في العودة "لا بد ما نعود مهما طول المشوار" والإصرار عليها بعد أن طالت الغربة"طولنا في غيبتنا"... "وبعدوا العصفور الشادي بغرد لعودتنا"، "عم تستنظر عودتنا"، والتأكيد على عدم نسيان هذا الحق مهما طالت الغربة "وعهد الله وعهد الثوار ما بنسى حقك يا دار"، مع تأكيد الأمل الباقي لديهم بالعودة "ومهما طولنا المشوار راجعلك يا ديرتنا".كما تحدثت الأغنية عن الأرض وجمالها وتفاصيلها الحاضرة في الذهن والذكريات. والمفردات وعلى كثرتها كانت تعبر عن الأرض والارتباط بها وما تمثله بالنسبة لهم: "الأرض الي ربتنا"؛ الأرض وتصويرها كأنها الأم التي تربي أبناءها، "الأهل اللي ربوني"، "وبعدا إمي الحنونة"، "تربة بيي واجدادي"؛ الارتباط بالأرض.

كما ظهرت العديد من المفردات التي تتعلق بالوطن: "يا توتة الدار"، "يا بحر"، "الزيتونة"، "البيادر والكروم"، "زغلول الحمام عشوا على توتتنا"، "لترابات" و"أشجار الرمان".

أما الدبكات والتي تعبر عن التراث والتي تؤكد على الذاكرة الجماعية لديهم، فكانت حاضرة في الفعالية، وكانت على إيقاع أغاني وطنية من مثل يا ظريف الطول، يا طير الطاير، يا حلالي يا مالي. كما تضمنت

الفعالية فقرة المحكمة والتي تحدثت عن القرى ومحاكمة مرتكبي المجازر بحق الفلسطينيين، إضافة إلى فقرة قامت بها الطالبات بعرض أسماء قراهم الأصلية المهجرة والقيام بالتعريف عن كل قرية بعد أن تبدأ كل طالبة بالقول: أنا من قرية....

وقد تزينت ساحات المدرسة بأسماء القرى المهجرة مع الحديث عن كل قرية، وصور عن الشهداء والرموز وعبارات من مثل "حق العودة حق غير قابل للتصرف"، و"حق العودة خط أحمر لا تنازل عنه"، و"أنا من قرية ...أريد أن أعود إلى بلدي" (أنظر الأشكال 24، 25، 26).

أما بالنسبة لذكر المخيم، فإن اللافت والمهم في مثل هذه الفعاليات ومن خلال تتبعها، هو أن المخيم لم يحضر كثيراً في النشاطات ولم يتم التطرق للحديث عنه أو الإشارة إليه بشكل كثير إلا في مواضع قليلة جداً وبشكل عابر وغير مباشر أو صريح، خاصة إذا ما قورن ذلك بالمواضيع التي تم التطرق لها وعرضها سابقاً والتي كانت في معظمها تتحدث عن قضية اللجوء ككل وعن النكبة وحق العودة وما إلى ذلك من مواضيع ذات صلة. وقد جاء ذكر المخيم في المواضع التالية:

في قصيدة ليل ولاجئة للشاعر السوداني محي الدين فارس، والتي تم إلقاؤها في إحدى الكلمات الصباحية في مدرسة إناث الدهيشة الابتدائية، تقول كلمات القصيدة كما تم إلقاؤها:

لا .. لاتنامي...ولتوصدي باب الخيام

وتحفزي للريح تلطم جبهة الخيمات ثائرة الصدام

الليل أوغل لا تنامي

خلف الخيام قطيع ذؤبان ظوامي

فهناك ثدي نازف وهناك أثداء دوامي

وهناك جمجمة تطل... تنزف ما بين الركام

وهنا بقايا حشرجات لم تزل بين الحطام

صفراء قد يبست على شفة الظلام

لا .. لاتنامي

الريح أطفأت السراج .. وقهقهت خلف الخيام

وفراخك الزغب الصغار .. تراعشت مثل الحمام

وتكومت فوق الحصير .. تكومت مثل الحطام

ناموا على جوع .. فما عرفوا هنا طعم ابتسام

وعلى خدودهم .. بقايا أدمع .. ورؤى قتام

لا.. لاتنامي

الليل أوغل لا تنامي

ضجت مذاريب السماء وأعولت ملئ الظلام

ومعنى النهار السمح ذو الوجه الغلامي

وهناك فى قبو الحياة هناك فى دنيا الخيام

تمضى الحياة بلا ابتسام

نام الوجود .. ولم تنامي

وتوقفت في ناظريك رقيعتان من الغمام

وهمست ثائرة الضرام

يافا الجميلة لم تزل دنياك ماثلة أمامى

ولمحت أبراج الحمام

ومغارس الزيتون .. ملء غصونها الخضراء أسراب اليمام

وبكيت ثائرة الضرام

فمتى نعود إلى الديار .. نعود من هذا الزحام؟

فالقصيدة هنا تتحدث بشكل عام عن قضية اللجوء والبعد والعودة والحنين للديار والأرض وذكرياتها، كما تتطرق للحديث عن قسوة هكذا تجربة وما يعنيه العيش كلاجئ أو الإقامة في الخيام، حيث الحياة تصبح قاسية مجحفة وبلا فرح أو ابتسام أو حتى حياة. وقد تم ذكر المخيم وأثره من خلال كلمات القصيدة حين القول "ولتوصدي باب الخيام"... "وقهقهت خلف الخيام"... "وهناك فى قبو الحياة هناك فى دنيا الخيام"، مع بيان أثر هذا المكان حين القول "تمضى الحياة بلا ابتسام". لتنتهي القصيدة بالسؤال الأهم والذي يردده كل لاجئ "فمتى نعود إلى الديار .. نعود من هذا الزحام؟".

كذلك فقد ذكر المخيم في إحدى الكلمات التي تم إلقاءها بمناسبة عيد الاستقلال في المدرسة ذاتهاحين ذكر من خلال إحدى الكلمات: "....**نحتفل فيه بمخيماتنا بالخارج والداخل. أشعر باقتراب شمس الحرية أكثر من أي وقت مضى**".

حيث تم ذكر المخيم هنا مع التأكيد على أنه مكان السكن في الداخل والشتات، والذي لا زال يقطنه اللاجئون إلى اللحظة، ولا زالوا برغم كل شيء يحتفلون فيه بعيد الاستقلال.

هذا إضافة إلى ذكره حين الحديث عن تعريف اللاجئ في إحدى الفعاليات التي أقيمت في ذات المدرسة، حين تم الذكر:"**فمنهم من ترحل إلى مخيم الدهيشة ومنهم إلى بيت ساحور ومخيم قلنديا ومنهم من هاجر إلى الأردن، فهذا ما حصل في كل القرى الفلسطينية الأخرى بيت نتيف وعجور وزكريا وآخرون**".

حيث جاء ذكر المخيم هنا من قبيل التعداد للمخيمات التي أقيمت وانتقل بموجبها اللاجئون إليها من بعد النكبة.

وكذلك في كلمة أخرى تم إلقاؤها بمناسبة ذكرى صبرا وشاتيلا: "**في ذلك الوقت، كان المخيم مطوَّق بالكامل من قبل الجيش اللبناني والاسرائيلي، الذي كان تحت قيادة شارون ورفائل**".

وهنا جاء الذكر أيضاً في سياق الحديث والوصف للحدث والمكان دون الحديث بشكل مفصل عن المخيم أو أي شيء ذات صلة به.

وبذا، فذكر المخيم كمكان والحديث عنه بتفاصيله وتأثيره ووصف لمعنى العيش فيه أو وصف حاله وما إلى ذلك لم يحضر من خلال هذه العينة من الفعاليات، بل تم ذكره كما تبين بشكل غير مباشر أو حتى عابر من خلال السياق. ويبقى التساؤل حول الأسباب وراء ذلك موضع دراسة وتحليل، ولكن ما يمكن طرحه هنا من أسباب وبشكل مبدئي من مثل القول بأن ذلك قد يبدو مثلاً كمحاولة للابتعاد عن الواقع المعاش والنظر لما هو قادم وأهم وهي قضية العودة وذلك من أجل العمل عليها. أو مثلا بسبب أن اللجوء بالنسبة لهم لا يعني المخيم فقط وهو مكان السكن. أو لربما يكون عدم التوقف عند المخيم هو جزء من الشعور بأنه شيء عابر ويتم تنحيته من الصورة المتخيلة فالمخيم بالنسبة لهم هو مكان لتذكر الموطن الأصلي. وعليه، تظهر الحاجة هنا لربما للمزيد من الدراسات حول الموضوع وعن حالات أخرى وأماكن أخرى من أجل معرفة الأسباب والتأكد من ذلك.

وبذا، ومن خلال الفعاليات المذكورة سالفاً، وما تطرقت له من مواضيع وبوسائل مختلفة، يتبين رغبة وقدرة الأفراد في المخيم على خلق روابط لتقوية الانتماء فيما بينهم أينما كانوا، بوسائل أكثر وخيال أوسع. كما يتضح كيف أن حدثاً كالنكبةوما خلفه من وضع كاللجوء، والذي كان من الممكن أن يضعف هوية الفلسطيني خاصة بعد مرور كل هذه السنوات الطويلة ولا زال اللجوء مستمراً، لم يكن إلا دافعاً للاستمرار والصمود، حيث شكلت هذه الحالة وضعاً آخر في حياتهم، حيث عززت وقوت من إحساسهم بالتضامن والتواصل كوسيلة للحفاظ على الهوية والوجود وكردٍّ على انعدام الأمان لديهم، وذلك من أجل العمل على بناء ذاكرة جماعية وهوية موحدة فيما بينهم جميعاً، ويقوموا باسترجاع كل الذكريات، (أو تناقلها من الأهل، وتسجيلها في نشاطات الجيل الجديد)، عن الوطن المفقود والأهل ولكن معاً، للتأكيد على التعاضد والانتماء فيما بين أبناء الوطن الواحد، وليؤكدوا على هويتهم الموحدة، والناتجة عن إحساسهم بالغربة عن كل شيء. كما أنشأ أسباباً وأشكالاً جديدة وخاصة للعلاقات فيما بين اللاجئين ومحيطهم وذلك من أجل تعزيز وجودهم ووحدتهم، وبالتالي مقدرتهم على خلق رباط موحد يجمعهم على اختلاف المناسبة والحدث، فالقرية الأصلية المفقودة مثلاً أكبر بكثير من كونها مجرد مكان للعيش، فهي الذكريات السابقة جميعها والأيام التي عاشوها

معاً وتقاسموا فيها كل شي. وهم بذلك يحاولون بناء رباط وذاكرة جماعية خاصة وموحدة لهم، كبديل عن كل ما فقد؛ الأرض، الأهل والذكريات بكل تفاصيلها.

وعليه، فقد وضحت القضايا التي تضمنتها مثل هذه الفعالية وطريقة التعبير عنها، كيف أثر اللجوء على طريقة صياغتهم للمفاهيم، خاصة فيما يتعلق بالأرض وبالوطن وبالعلاقات، حيث دفعهم وضع اللجوء إلى التفكير بأهمية وجود روابط تجمع الشمل وتقوي العلاقات وتقرب المسافات، وتدفعهم للتوحد والتماسك من أجل ضرورة مواجهة اللجوء وظروفه، وكل ذلك جاء بسبب الإحساس بالغربة عن الأرض والوطن والناس. فالأرض بالنسبة للاجئ هي الوطن، وهي الناس بكل ما لهم من علاقات عليها وفيما بينهم. وهي الذكريات التي لا تنسى والأيام التي قضوها في ربوع الوطن بكل جماله. كما أن الأفراد أينما تواجدوا هم الأهل والأصل، وبذا، فإن الإبعاد عن وطنهم وقريتهم وأهلهم وذكرياتهم ما قبل اللجوء، وبالتالي ما تلاه من ألم ومعاناة بعد فقدان كل ذلك، كان جميعه، إضافة لتطلعاتهم المستقبلية وإصرارهم على حقهم وأملهم بالعودة، دافعاً لهم على ضرورة تأكيد وتثبيت ذلك من خلال عملية خلق مثل هذه الروابط فيما بينهم لتعزز هذه الانتماء والتوحد بين أفراد الوطن الواحد.

<u>ملاحظات من واقعة الدراسة الميدانية:</u>

من خلال الفصل السابق، تم دراسة الهوية من خلال الفعاليات التي يقدمها الأفراد في مخيم الدهيشة، هذا وقد تم الاستناد للعديد من الركائز والعوامل من أجل الوصول إلى الفهم الصحيح لشكل الهوية التي يقدمها هؤلاء الأفراد.

لقد تم تحليل هذه الفعاليات، وكما تبين من خلال الفصول السابقة، وفقاً لأطروحة بندكت أندرسون حول الشعوب الواقعة تحت الاحتلال وخاصة في الشق المتعلق بفكرة المتخيل والمشاعر التي يعبر عنها هؤلاء الأفراد الواقعين تحت الاحتلال.

من خلال تحليل الفعاليات المذكورة سابقاً، وذلك استناداً لكل ما تم طرحه من أطروحات ونظريات وأفكار، وإضافة لما تم عرضه وتقديمه من تفسيرات وتحليلات خاصة فيما يتعلق بأطروحات أندرسون، سيتم تقديم

ملاحظات وتحليلات أخرى مرتبطة بباقي الأفكار التي تم تقديمها ولم يتم ذكرها أثناء عرض الفعاليات وما تبعها من تعقيب.

أولى هذه الملاحظات هو ما يتعلق بما تم طرحه من أفكار للنظرية البنائية، حول الثقافة والأفكار والصراع وكيفية نشوء الأفكار والهويات، والكيفية التي تتفاعل بها مع بعضها البعض، إذ تبين أن الثقافة هي جزء من الصراع، وذلك من خلال تبني الأفراد للجانب الثقافي كأداة من أدوات المقاومة "السلمية" في مواجهة الآخر، وإيمانهم بأهمية ودور الثقافة وبمختلف أشكالها في صراعهم مع الآخر، وأن هذه الأدوات والتعبيرات تساعدهم على خلق صوت خاص بهم يساعدهم على تأكيد وتثبيت هويتهم ويمكنهم من تحدي ومواجهة الآخر والصمود في وجه محاولاته المستمرة للقضاء عليهم. كما تبين كذلك إيمان الأفراد بأن عنصر القوة ليس مفيداً دائماً،فهناك قضايا ومشاكل لا يمكن حلها بالرجوع إلى القوة، فالجوانب الثقافية قد تكون ذات تأثير أكبر أحياناً، كما أن القيم الثقافية هي جزء من الهوية الوطنية.

يقودنا الحديث عن شكل المقاومة المتبناة من قبل هؤلاء الأفراد إلى الرجوع وتأكيد ما طرحه إدوارد سعيد حول المقاومة وأشكالها المختلفة والتي لا تتوقف عند شكل أو حد معين، وأن مثل هذه الأدوات قد تكون أنجع من أي طريقة أخرى، وهذا ما أكد عليه الأفراد وتعبيراتهم التي تم تحليلها. فرغم أنّ الكفاح المسلح، وارد في الإنتاجات الثقافية، للطلبة، ومن ذلك مثلاً رسمهم البندقية، في رسوماتهم، إلا أنّ الواضح هو وجود تنوع وشمولية في النظرة للمقاومة، تتجاوز التركيز على المواجهة العنيفة، كما تبدو على سبيل المثال، في طروحات فانون، سالفة الذكر. وإلى ذلك لا بد من الإشارة إلى أن الدراسة قبل أي شيء، لا تبحث أو تدرس خيارات الأفراد بقدر ما تدرس تعبيراتهم، كما أن عينة الدراسة تشمل أفراد ضمن إطار وظروف خاصة، كإطار المدرسة والقيود المفروضة عليها كسياسة الوكالة التي تم الإشارة إليها، والتي وكما تم الذكر أنه على الرغم من وجودها فلم تقيد تعبيراتهم، لكنها من الممكن أن تقيد شكل مقاومتهم بأن تتجه نحو ما هو أبعد من أن تكون سلمية، وقد يبدو الأمر بديهياً في بيئة كبيئة المدرسة بغض النظر عن توجهاتها، وربما يحتاج

الأمر لتعمق إضافي في أثر سياسات الوكالة على التعبيرات في المدارس، ولكن تبقى المحصلة هي المادة التي أخضعت للدراسة.

إحدى النقاط المذكورة أيضاً كانت مرتبطة بقضية هامة ومفصلية، والتي تتعلق بالجدل القائم حول نشأة الهوية الفلسطينية. وبعد التقديم لهذه الآراء وتحديد التوجه الخاص لكل منها، وتبني الرأي القائل بأن الهوية الفلسطينية قد تشكلت من خلال عملية تاريخية طويلة، تبين أنه واستناداً للتعبيرات التي عكستها الفعاليات، أن الأفراد يتبنون/ أو مع الرأي الذي طرحه فيصل دراج حول فكرة الإنارة التي تم الإشارة إليها سابقاً. إذ أنه من الواضح أن للظروف التي يعيشها الأفراد في المخيم ومواجهاتهم وتصادماتهم المستمرة مع الاحتلال، واستمرار هذا الصراع فيما بينهم، كان لهم دور جلي في إبراز وتنوير وإيقاظ هويتهم، نظراً لحالة التهديد المستمر لهويتهم إلى اللحظة والتي يرزحون تحتها وفي ظلها، مما يجعلهم في حالة صراع دائم مع الآخر يقودهم لاستمرار استحضار هويتهم وتعزيزها وتثبيتها.

يبقى من جملة القول، أولاً إعادة التأكيد على أن ما تم القيام به من دراسة للهوية، جاء من خلال البحث ودراسة الفعاليات التي يقدمها الأفراد لا بدراسة خياراتهم، كما أن عينة الدراسة المتمثلة بمخيم الدهيشة وأفراده، تبقى عينة بحثية قد تنطبق عليها قضايا وأمور ودراسات، قد لا تنطبق على عينات أخرى، والدراسة هنا لم تأت بصدد التعميم والتثبيت، فلكل عينة ظروفها ومكوناتها والتي قد تختلف من مكان لآخر ومن حالة لأخرى. ومن هنا تأتي الحاجة لدراسة عينات أخرى ضمن ظروف وأماكن أخرى، وباستخدام أطروحات وأفكار، متشابهة ومختلفة.

الخاتمة:

جاءت الحاجة لدراسة موضوع الهوية في حالة الصراع من خلال هذا البحث، نظراً لخصوصية الحالة الفلسطينية، وأهمية موضوع الهوية للإنسان بشكل عام وللفلسطيني بشكل خاص، وذلك في رحلة بحثه عن ذاته وفي صراعه مع الآخر.

وبذا، فقد جاء هذا البحث في سياق محاولة لفهم أثر الصراع على الأفراد الواقعين تحت الاحتلال، أو الذين تشردوا بسببه، وعلى هويتهم، وذلك بالأخذ بتجربة الواقع الفلسطيني وبتطبيق الأمر على أفراد مخيم الدهيشة في محافظة بيت لحم.

تعتبر الهويات والمعايير والثقافة من العناصر المهمة والتي تلعب دوراً مهماً في السياسة العالمية، حيث يتم دراسة الثقافة في التحليل السياسي للصراعات والعلاقات السياسة والدولية والإثنية. كما أن التعبيرات الثقافية تعمل على ربط الجماعات وخلق رابطة فيما بينهم. أما الهوية فيراها البعض أثراً من آثار تطور الثقافة، كما أن الثقافة، في جانب مهم من مكوناتها ودلالاتها، هي حقول من الخبرات والتجارب والمنجزات المؤطرة لغوياً ومعرفياً والتي يمكن من خلالها تمييز الهويات.

كما أن دراسة الهوية وفهمها يتم من خلال عدة مداخل، تتمثل بفهم وتحديد مستويات الهوية وكيفية التعبير عنها، ومن خلال فهم الأبعاد الرمزية والمتخيلة التي تعبر عنها هوية الأفراد والمشاعر التي تتضمنها تعبيراتهم لأنها تعكس دواخلهم، ومعرفة كيف يرى الإنسان نفسه ويعبر عنها، بناء على انتمائه أو من خلال علاقته بالآخر. مع التأكيد على نوعية الخطاب المستخدم من قبل الأفراد الذين هم جزء من شعب يمتلك خصوصية تواجده تحت تأثير الاحتلال، وهو ما ينطبق على تجربة الواقع الفلسطيني. ومن هنا جاء الاهتمام بالخطاب الثقافي لهؤلاء الأفراد، ومحاولة فهم المستويات التي يعبرون عنها في هويتهم وما الذي تعكسه تعبيراتهم من مشاعر ومفاهيم. مع التركيز على محاولة فهم الخصوصية التي تتميز بها الحالة الفلسطينية، وتحديداً للاجئين في المخيمات، ومحاولة معرفة التداخلات وفهم التمازج الذي حدث لها، وكيف

أثر حدث مهم ومفصلي كالنكبة، على هوية اللاجئين المقيمين في المخيم والذي غدا كمكان إنتاج للهوية وللمحافظة عليها.

وبذا، ونظراً لارتباط الهوية والثقافة بالصراع، فقد تم اللجوء للنظرية البنائية في هذا السياق "الصراعي" والتي ترى التعبيرات الثقافية، بأنها جزء من عمليات الصراع. وجرى دراسة الفعاليات الثقافية في المراكز والمدارس في المخيم (الدهيشة) إضافة إلى الإذاعة المدرسية، وكذلك محاضر اجتماعات لأندية ومدارس في المخيم. كما تم التركيز على أهم الرموز والصور والمضامين التي تحملها هذه المنتجات وتعبر عنها ومحاولة قراءتها وتحليلها من خلال تتبع عنصر "الخيال"، من أجل الوصول من خلال التحليل لكيفية تخيل الأفراد لرابط يجمعهم، إضافة لتحليل المشاعر والموضوعات التي تعبر عنها هذه الفعاليات وتتضمنها، وذلك كنوع من الاختبار لما جاء به بندكت أندرسون من خلال كتابه "الجماعات المتخيلة...تأملات في أصل القومية وانتشارها"، وذلك عن المشاعر التي تصوغ الهوية والمعبر عنها في الجانب الثقافي لدى الأمم الواقعة تحت الاحتلال.

من ناحية أخرى، وفي الجانب الخاص بالهوية وفهمها ومناهج دراستها، خاصة لدى الشعوب الواقعة تحت الاحتلال، ومن أجل فهم دلالات ووظيفة التعبيرات التي يقدمها الأفراد داخل المخيم، فقد تم الاستناد لأطر نظرية مناسبة، في دراسات الهوية، والتي تقدم تفسيرات مقترحة لمثل هذه التعبيرات، والمتمثلة بما جاء به بندكت أندرسون في كتابه سالف الذكر، خصوصاً الشق الذي تحدث فيه عن البعد الرمزي والثقافي للهوية.

لقد تم الملاحظة من خلال التحليل تنوع المواضيع التي تم طرحها من قبل الأفراد في مخيم الدهيشة ومن خلال الفعاليات التي قاموا بها؛ ما بين قضايا تعبر عن حالة النكبة وما نتج عنها من حالة اللجوء والتهجير إلى الحديث عن القدس، إضافة للحديث عن الهم العربي بمختلف أبعاده. وبذا، فلم تكن النكبة وحدها هي الموضوع المطروح من خلال هذه الفعاليات، بل اشتملت على قضايا محلية وطنية وأخرى عربية، لتؤكد على الانتماء والترابط بين أبناء الأمة الواحدة أينما كانوا.

كما تم الملاحظة بأن الهوية الثقافية بإنتاجاتها المختلفة، سواءً الفن أو الموسيقى أو الشعر أو المسرح، تصبح نوعاً من أنواع إشهار الهوية والحفاظ عليها في الحالة الفلسطينية، وذلك لمحاولة الوقوف في وجه محاولات طمسها وتذويبها من قبل الاحتلال. كما تتعدى ذلك الأمر لتصبح معالجة ونقد؛ إذ أن الفن بشكل عام، يطرح العديد من المواضيع للتساؤل والبحث، كما يثير العديد من الأسئلة مع إعطاء الإجابة في بعض الأحيان. وفي الحالة الفلسطينية ومن خلال تحليل الفعاليات سابقة الذكر، نرى أن الفن لم يقتصر دوره على مواجهة الاحتلال باستخدامه كأداة مقاومة، بل يعمل أيضاً على جمع أشلاء الهوية نفسها وتثبيتها. لذلك، فإن الفن والثقافة بالنسبة للفلسطينيين والآن تحديداً، في ظل غياب التخطيط الاستراتيجي الحقيقي والفعال، يعتبران من أهم الأدوات التي من شأنها أن تعمل على جمع أجزاء الهوية ببعضها البعض.

وبذلك، ومن خلال التعبيرات التي تم طرحها وتحليلها، تم ملاحظة وفهم كيف يعمل هؤلاء الأفراد على تخيل رباط يجمعهم ويعملون على تقويته وتعزيز انتمائهم، ليتشكل مجتمع حقيقي موحد، مما يسهم في إيجاد هوية مشتركة وشعور برابطة وطنية وتماسك لمثل هذه الجماعة في وجه الآخر الذي يعمل جاهداً على محوه وتذويبه. كما أن مثل هذه التعبيرات تعمل على تشكيل صورة اللاجئ عن نفسه وعن قضيته وصموده، لما تحتويه من تعبيرات تساعد على ترجمة دواخل هؤلاء الأفراد تجاه الآخر. وبذلك، يصبح ما تعكسه هذه النشاطات جزءاً من الهوية القومية، كما ويتم تعبئتها لاستخدامها كأداة مقاومة في سياق معركة ضد الاحتلال، لمواجهة محاولات الطمس والإقصاء والإزالة من قبل الآخر.

هذا وقد تبين من خلال تحليل بعض الفعاليات في المدارس والمؤسسة المذكورة، أن البعض يعبر عن بعد متخيل كرسومات الطلاب التي عبرت عن القدس والأقصى مثلاً، والتي كان لها حضور بارز ولافت في الفعاليات على اختلافها، وهي الحاضرة في الوجدان والشعور وكعنصر تعزيز الانتماء للجماعة بحد ذاتها، رغم أنهم لم يتمكنوا يوماً، أو نادراً جدا ما تمكنوا، من زيارتها أو معرفتها سوى من خلال صورتها المتخيلة الحاضرة دائماً، كما لوحظ وتم الذكر في العديد من الفعاليات والكلمات والمناسبات، فعملوا على استحضارها في ومن مخيلتهم، لتبقى حاضرة ثابتة معهم وأمامهم دائماً. وفي جانب آخر، عكست الفعاليات وتعبيراتها

العديد من المضامين الأخرى، كالحديث عن النكبة واللجوء والتشريد وحق العودة والقرى المهجرة، وهي مواضيع حاضرة ومعاشة في الواقع وفي الوجدان، فتم استحضارها للتأكيد عليها وتثبيتها في الذاكرة كجزء من الهوية الفلسطينية. وخارج الإطار الوطني، لوحظ أنّ هذه الفعاليات، تضمنت إضافة للإطار الوطني والديني التطرق للإطار القومي العربي، من خلال تخصيص كلمات تتعلق بالشأن العربي مثلاً كالحديث عن الأردن ومصر وسوريا، أو من خلال الأنشطة الخاصة بالعراق والتي تم عرضها وتحليلها. إذ ظهرت مثل هذه الفعاليات كنماذج تعكس التقارب والانتماء وتعزيز التضامن والتوحد بين أفراد الأمة الواحدة، فبدا وكأنها جزء من خطة ومشروع النضال الفلسطيني نفسه، أو كتأكيد على أن الهوية الفلسطينية هي جزء لا يتجزأ من الهوية العربية. هذا إضافة للاستخدام المكثف للرموز وفي مختلف المناسبات، وخاصة التي ترتبط بالوطن كمكان وقضاياه كالمفتاح الذي يرمز للعودة، أو السياج الذي يرمز للحصار، مؤكدين على أن مثل هذه الرموز مهمة في تشكيل هويتهم. وبذا، فقد عكست الفعاليات على اختلافها، محاولات الأفراد التأكيد على هويتهم؛ هوية "الأنا" من خلال ربطها بالمكان، كما تم رسم صورة الآخر من خلال الواقع المعاش ومن خلال التعامل معه، وليس من خلال رسم صورة من الخيال أو موجودة أصلاً في خيالهم، أو عكس صورة قائمة على التعصب والكره.

وفي سياق آخر متصل، أظهرت الفعاليات المشاعر المستخدمة من قبل الأفراد الواقعين تحت الاحتلال وفي حالة صراع، إذ تبين أن هذا الصراع استطاع أن يولد حالة من الإبداع لديهم، فعبروا بمشاعرهم عما في دواخلهم. ولكن المهم هنا، أن هذه المشاعر لم تتضمن مشاعر كراهية تجاه الآخر، **بقدر ما** هي مشاعر كانت مرتبطة في الغالب بالحب والصمود والتحدي، وكأن الأفراد آمنوا أن مثل هذه المشاعر هي الأهم والأقدر على إيصال صوتهم وصورتهم الحقيقية. وهو ما يتوافق مع ما جاء به أندرسون حول الشعوب وتعبيراتها تحت الاحتلال، إذ تبين فعلاً أن معظم الفعاليات عكست مشاعر الحب المقترنة بالتضحية والتحدي والتعلق بالطبيعة، إضافة إلى مشاعر أخرى مختلفة من مثل الحنين والصمود أكثر مما عكسته من مشاعر كراهية وحقد تجاه الآخر، وذلك برغم كل الانتهاكات التي يتعرض لها هؤلاء الأفراد من قبل المحتل،

والتي من شأنها أن تخلق مشاعر كراهية تجاهه، إلا أنها خلت تقريباً من مثل هذه المشاعر، وحتى في المواضع التي تم فيها وصف الآخر وما يرتكبه من جرائم وانتهاكات ضد الأفراد، فقد تم وصفه بصفات بعيدة عن الكراهية وبصفات غير مباشرة، إلا في مواضع قليلة تذكر تم الإشارة إليها، حيث تم وصفه بصفات من مثل "الأشرار" أو "كافر" أو "ظالم". كما جرى التعبير عن المعاناة وذلك بآليات استخدم من خلالها الأفراد مفردات وتعبيرات وطنية وغير مرتبطة بالمحتل بل ترتبط في معظمها بالأرض والمكان الأصلي، مع التأكيد على استخدام مفردات القرابة (الأم والوطن)، أو المفردات التي تتعلق بالوطن.

هذا وقد تم التساؤل عن الأسباب التي تبقي وتظهر مشاعر الحب بدل الكراهية لدى هكذا أفراد يعيشون تحت وطأة الاحتلال وظلمه، مع إبداء بعض التفسيرات والأسئلة والتحليل، لكنها تبقى مجرد تفسيرات أولية وأسئلة بلا إجابة –مبدئياً– مع التأكيد مرة أخرى على ضرورة اقتراح أن تتبنى أبحاث أخرى وفي حقول دراسة مختلفة هذا الجانب، مع استخدام عينات أخرى متشابهة أو مختلفة بغرض التأكد من هكذا أمر.

من ناحية أخرى، ونظراً للمراحل العديدة التي مرت بها الحالة الفلسطينية، وبالتالي تعددت العوامل التي أثرت على تشكل هويتها، نتيجة تداخل عوامل عدة في تكونها، فحدث التمازج للهوية، حيث تداخلت الهويات وامتزجت بين المحلية والوطنية، القوميّة (العربيّة) والدينيّة (الإسلاميّة والمسيحيّة) والعالميّة (الكونيّة)، بمعنى؛ أن لدى الشخص الواحد، قد يكون هناك عدة هويات في آن معاً؛ فردية، عائلية جماعية، وطنية، أممية وهكذا، لكن حضور هذه الهويات لدى الفرد قد يختلف ويتباين، أي أن هناك تراتبية في مستوى هذه الهويات وحضور أحدها، أو حتى غيابها، أكثر من الأخرى لدى الشخص، فيلاحظ مثلاً أن هناك هويات قد تطغى على أخرى، وذلك بحسب ظروف وعوامل عدة يمر بها الأفراد وهويتهم في بيئتهم المحيطة.

وهذا ما يؤكد ويعزز فكرة مستويات الهوية وتراتبها وتمازجها، والتي أظهرته الفعاليات، حيث بينت كيف تعددت المستويات والدوائر التي عبر عنها الأفراد في المخيم عن أنفسهم وعن انتمائهم من خلال أطر ومستويات وتراتبية مختلفة، بدءاً من دوائر انتماءات أبناء المخيم وقضيتهم، والتي تمثلت بالقضايا

المطروحة حول التهجير والنكبة واللجوء وحق العودة، وصولاً للدوائر الوطنية الفلسطينية المتمثلة بطرح اسم فلسطين وقضية الأسرى والتأكيد عليها وقضية الاحتلال والحصار والاعتداءات الإسرائيلية والمقاومة بأشكالها، ومن ثم الدينية/ الإسلامية، وذلك من خلال الحديث عن الأقصى والاعتداءات عليه من قبل الاحتلال. ويجدر الذكر هنا أن المستوى الديني اقتصر على الإسلامي دون غيره، حيث لم تأت الفعاليات على ذكر أماكن ومقدسات أخرى مثل كنيسة القيامة أو المهد أو غيرهما، لكن دون أن يعني ذلك بالضرورة عدم إمكانية ذكرها في حالات دراسية أخرى، تم أو سيتم دراستها.

كما أن الاهتمام توسع لديهم من الشأن المحلي والوطني وما يتعلق باللجوء والمخيم إلى الاهتمام بالقدس وما يحيط بها، إلى الاهتمام بالإطار الأوسع والأشمل وهو الشأن العربي. ويأتي ذلك انطلاقاً من إيمانهم بأنهم يتشاركون ويرتبطون مع هؤلاء الأفراد بروابط عدة، تتجاوز حدود المكان، ليتوحدوا بالدين والقومية واللغة، إذ أنهم جميعاً في النهاية أبناء أمة واحدة أينما تواجدوا.

هذا وقد أظهرت الفعاليات بأن هذه الهويات ومستوياتها، هي ليست بالضرورة مكملة لبعضها البعض، لأن الفلسطيني يدرك أن ما يتخيله ويعمل على تأكيده وتعزيزه، لا يبتعد أبداً عن الواقع الذي يعيشه من تقاعس الأمم والشعوب العربية الأخرى عن الدفاع عنه والوقوف معه ومع قضيته في وجه الآخر. وعليه، تصبح "النحن" التي يؤمن بها ويعمل على تقويتها وتثبيتها داخل المخيم، مختلفة عن "النحن" المعبر عنها خارج إطار المخيم، ذلك أن مفهوم الانتماء وتشارك الهم والذكريات والحق والتي تشكل جميعها جزءاً من هويته ومما يتشاركه مع أبناء وطنه، لا يشتملها، بحكم الواقع المعاش، المستوى الأوسع من الهوية، وهي الهوية العربية. وهذا تماماً ما يخلق تراتبية في مستويات الهوية المعبر عنها، وما جعل مستوى الهوية الوطني والفلسطيني يطغى على أي مستوى آخر، كما جعل بدوره مستوى التعبير عن الهوية الأممية العربية أقل حضوراً، ولم يكن من الممكن أن يطغى على الدوائر الأخرى كالإسلامية مثلاً، نظراً لواقع يؤكد على أن الانتماء و"النحن" الجامعة لأبناء الوطن الواحد هي أقوى من أي "نحن" أخرى خارج هذا الإطار.

أما من ناحية أثر اللجوء على هوية اللاجئين في الدهيشة ومن خلال تحليل الفعاليات، فقد تبين أن حالة اللجوء قد شكلت وضعاً مختلفاً ومعاكساً في حياة الفلسطينيين، رغم ما تستدعيه حالة كحالة اللجوء والنكبة والتي أثرت على حياة الفلسطينيين بمختلف جوانبها، من إمكانية إضعاف لهوية الأفراد إلا أن هذه الحالة قد عززت من إحساسهم بالتضامن كوسيلة للحفاظ على الهوية وكردٍّ على انعدام الأمان لديهم، وهذا ما ساعد على بناء ذاكرة جماعية لديهم. كما قد خلقت حالة اللجوء وظروفه وحدة في المفاهيم ونمطاً خاصاً للعلاقات الناشئة فيما بين اللاجئين ومحيطهم، وبالتالي برزت خصوصية هويتهم ضمن إطار الهوية الفلسطينية.

ومن خلال ملاحظة إذا ما تم ذكر موضوع حق العودة والمخيم وكيفية ذكرهما في الفعاليات، تم تتبع أثر اللجوء على الأفراد، حيث أظهرت الفعاليات كيف ذكر موضوع حق العودة في العديد من المواضع والمناسبات، مع التأكيد على الحق في العودة والسعي له، والأمل بالعودة يوماً إلى الديار والأرض والبيت الأصلي، مع إمكانية استرجاع الذكريات جميعها ومع الأفراد جميعاً. أما من حيث ذكر المخيم، فاللافت حقاً والذي تم ملاحظته من خلال هذه العينة، أن ذكر المخيم جاء بشكل مقتضب وبمواضع قليلة جداً وعابرة ضمن السياق وبشكل غير مباشر، وذلك إذا ما تم مقارنته بباقي المواضيع والتي تم التطرق إليها، والتي ترتبط في معظمها بقضية اللجوء والنكبة والغربة والعودة، والتي يعتبر المخيم كجزء لا يتجزأ منها. وقد تم إدراج بعض التعليلات المقترحة لتفسير هكذا أمر، مع التأكيد مرة أخرى على ضرورة اقتراح أن تتبنى أبحاث أخرى هذا الجانب وفي أماكن أخرى بغرض التأكد من هكذا أمر.

من ناحية أخرى، أظهرت تعبيرات الأفراد أنه ومن خلال تبنيهم للجانب الثقافي كأداة من أدوات المقاومة "السلمية" في مواجهة الآخر، تبين مدى إيمانهم بأهمية ودور الثقافة وبمختلف أشكالها في صراعهم مع الآخر، إذ من شأن الأدوات والتعبيرات أن تساعدهم على خلق صوت خاص بهم يساعدهم على تأكيد وتثبيت هويتهم، كما ويمكنهم من مواجهة الآخر والصمود في وجه محاولاته المستمرة للقضاء عليهم. كما أبرزت إيمانهم بأن الجوانب الثقافية قد تكون ذات تأثير أكبر أحياناً من عنصر القوة، كما أن القيم الثقافية هي جزء من الهوية الوطنية.

هذا وقد عكست التعبيرات شكل المقاومة المتبناة من قبل هؤلاء الأفراد، وهي المقاومة السلمية والتي أكد عليها إدوارد سعيد باعتبارها من أنجع الأدوات في المقاومة، ورغم ما بينته بعض الإنتاجات الثقافية من فكرة للكفاح المسلح كرسم الدماء أو البندقية، إلا أن تعبيراتهم قد أظهرت وجود تنوع وشمولية في النظرة للمقاومة، تتجاوز الميل نحو المقاومة العنيفة والتي تبناها فانون كما تم الذكر سابقاً.

هذا ومن المهم الإشارة أيضاً فيما يخص الجدل القائم حول نشأة الهوية الفلسطينية، ومتى وكيفية تشكلها، إذ أنه وعلى الرغم من أن الباحثة تبنت من خلال الدراسة الرأي القائل بنشأة الهوية الفلسطينية ضمن سياق تاريخي طويل مع الرفض للرأي القائل بدور الكيان الصهيوني الحاسم في تشكيل الهوية الفلسطينية، إلا أن ما تم ملاحظته من خلال تحليل الفعاليات أن الأفراد يتبنون الرأي الذي جاء به فيصل دراج حول الإنارة وإيقاظ الهوية في حالة الصراع، وكيف أن له دور في تأجيج هذه الهوية واستنهاضها. ونظراً لاستمرار هذا الصراع فيما بينهم، وبالتالي حالة التهديد المستمرة لهويتهم، فقد برزت هويتهم وتم استحضارها والعمل على تعزيزها وتثبيتها.

وبذا، ما يمكن قوله هنا، بأن تجربة الإنسان الفلسطيني مع الاحتلال، دفعته للتفكير بكافة الطرق والأدوات لاستخدامها في معركته مع الآخر، متخذاً من الثقافة نهجاً في كفاحه، فغدت مثل هذه الأدوات والفعاليات شكلاً ثقافياً إبداعياً ومحركاً للمقاومة وأصبحت أسلوب حياة، يعبر من خلاله عن مشاعره وصموده وأمله بالحرية رغم ما يلاقيه من الاحتلال. كما استطاع أن يصنع من تجربته هذه، حالة إبداعية خاصة يمكن استغلالها بشتى الطرق والأشكال لتكون إحدى أدواته التي تعزز من صموده وتحديه للآخر الذي يسعى بكافة الطرق والوسائل لإقصائه. وعليه، تغدو مثل هذه الأدوات سلاحاً رادعاً في وجه الآخر، ووسيلة للحفاظ على هوية الإنسان الفلسطيني.

ملحق الأشكال (اللوحات والفعاليات):

(الشكل1): لوحات مشاركة في مسابقة نظمت من قبل مدرسة ذكور الدهيشة الإعدادية حول القدس

(الشكل 2): إحدى اللوحات المشاركة في مسابقة نظمت من قبل مدرسة ذكور الدهيشة الإعدادية حول القدس

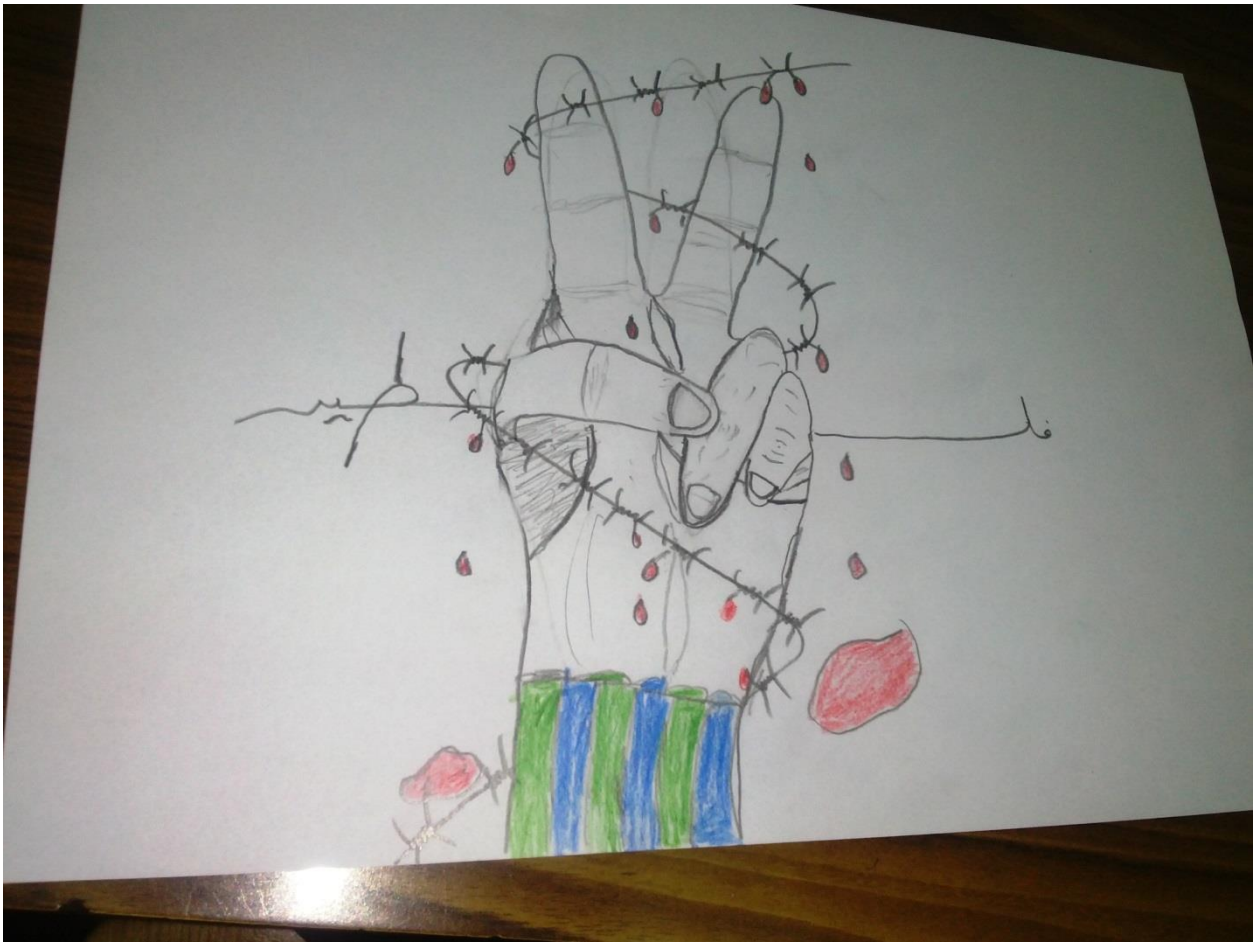

(الشكل 3): لوحة الطالب معتز أبو غالية (ذكور الدهيشة الإعدادية) والتي قام برسمها في حصة الرسم حول اليد والنسب

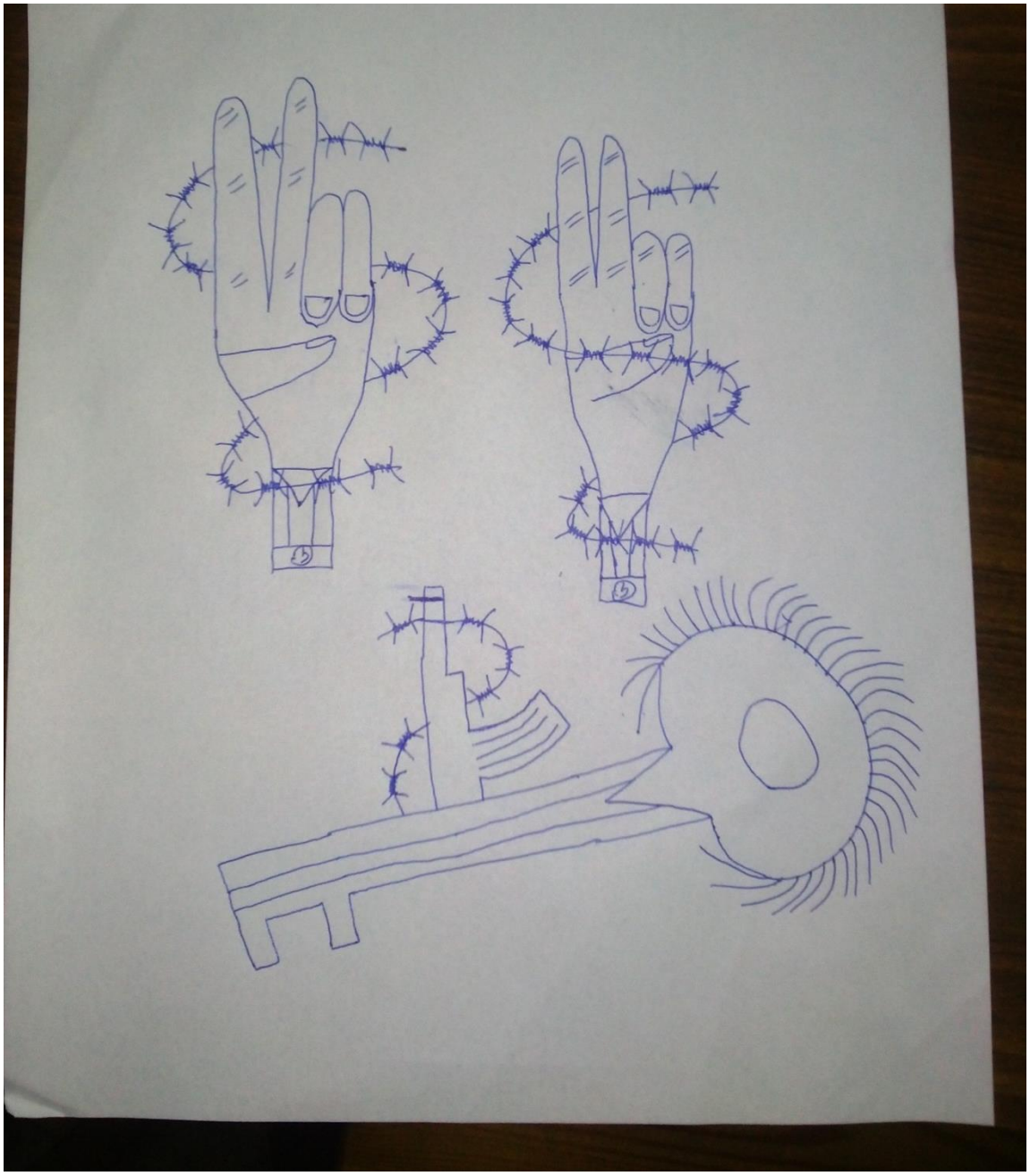

(الشكل 4): لوحة الطالب إبراهيم النجار (ذكور الدهيشة الإعدادية) والتي قام برسمها في حصة الرسم حول اليد والنسب

(الشكل 5): إحدى اللوحات المشاركة في مسابقة الرسم التي نظمتها مؤسسة إبداع

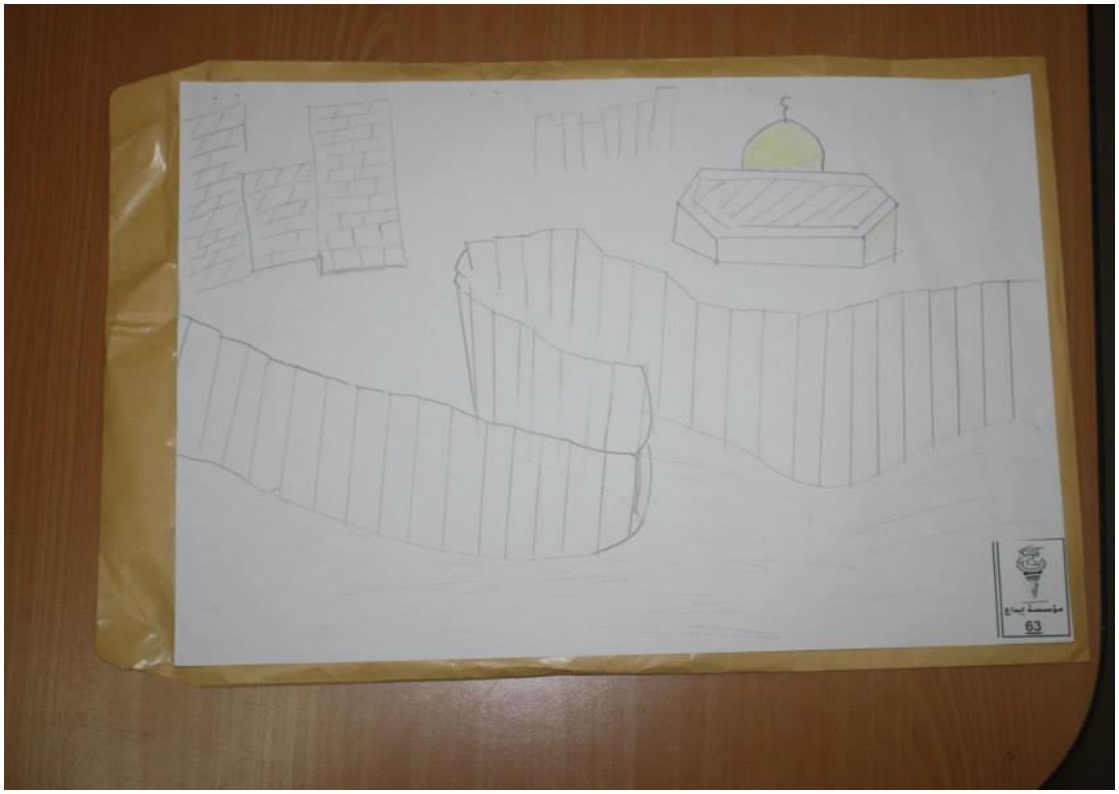

(الشكل 6): إحدى اللوحات المشاركة في مسابقة الرسم التي نظمتها مؤسسة إبداع

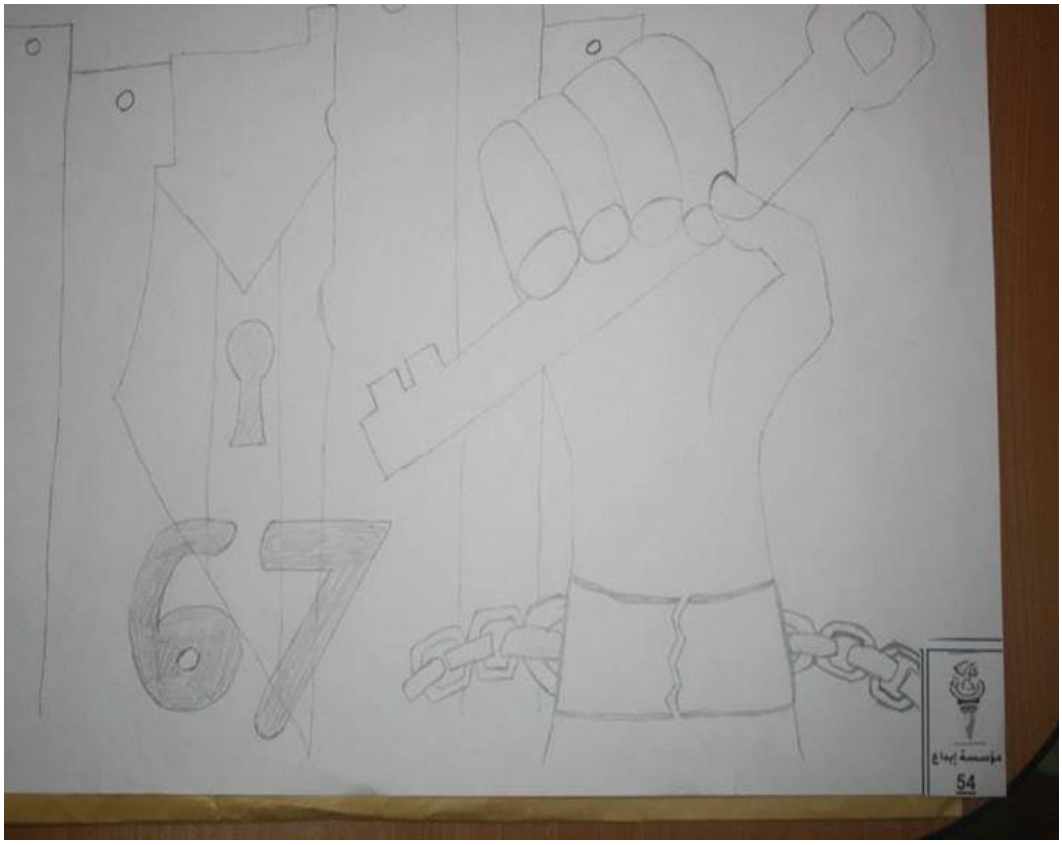

(الشكل 7): إحدى اللوحات المشاركة في مسابقة الرسم التي نظمتها مؤسسة إبداع

(الشكل 8): إحدى اللوحات المشاركة في مسابقة الرسم التي نظمتها مؤسسة إبداع

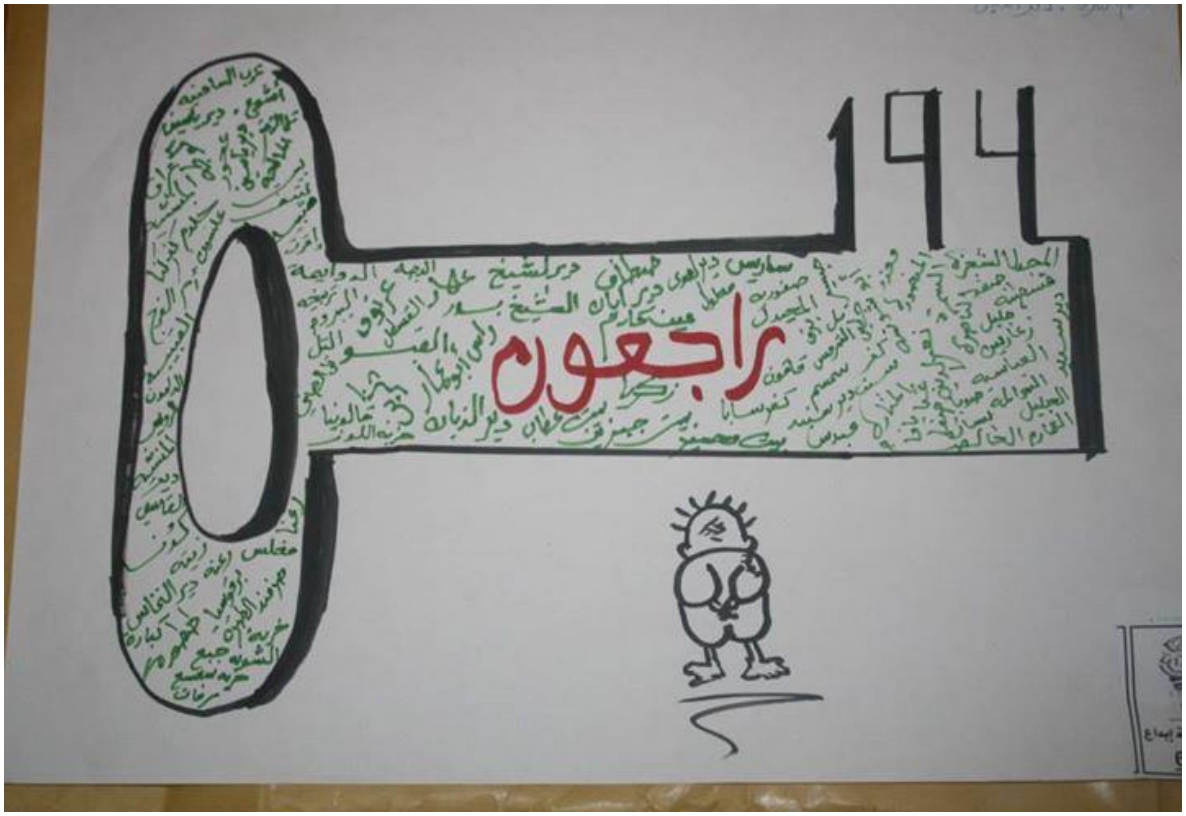

(الشكل 9): إحدى اللوحات المشاركة في مسابقة الرسم التي نظمتها مؤسسة إبداع

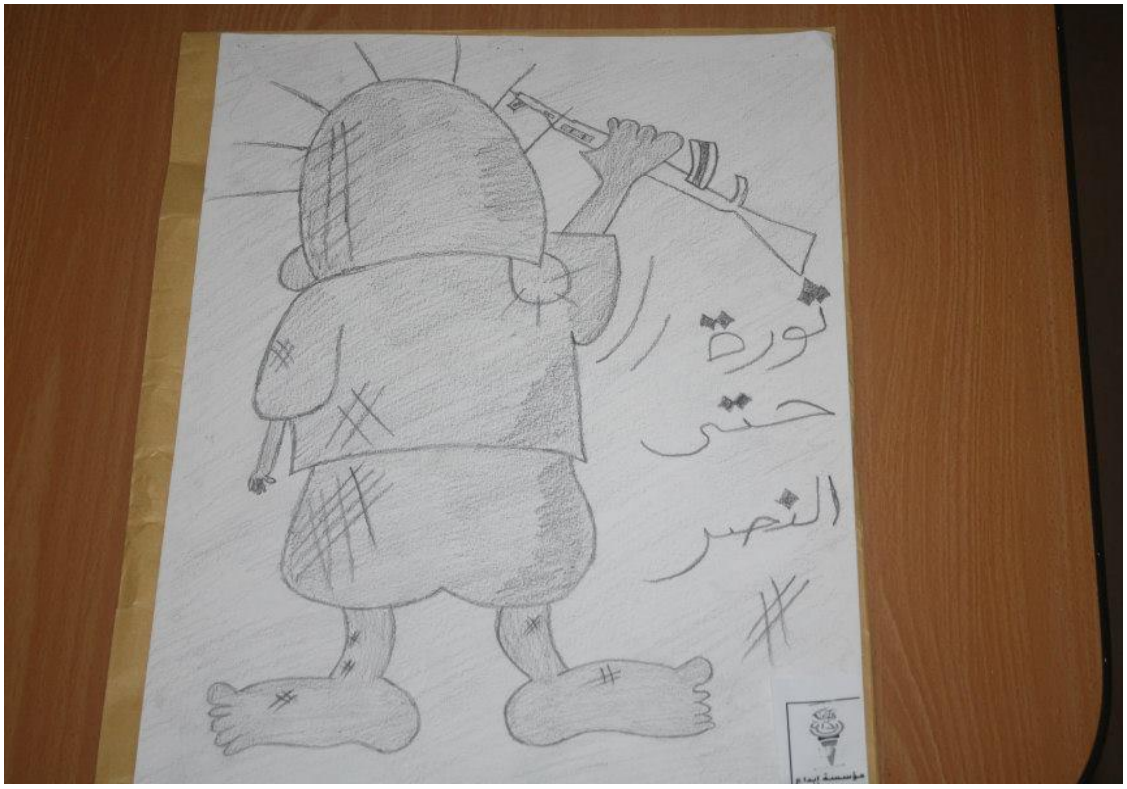

(الأشكال 10-11): إحدى اللوحات المشاركة في مسابقة الرسم التي نظمتها مؤسسة إبداع

مؤسسة إبداع
88

مؤسسة إبداع
8

(الأشكال 12-13-14): بعض اللوحات المشاركة في مسابقة الرسم التي نظمتها مؤسسة إبداع

(الأشكال 15-16): جانب من فعالية الأسرى التي نظمتها مؤسسة إبداع

(الأشكال 17-18): جانب من فعالية الأسرى التي تضمنت توزيع الماء والملح والتي نظمتها مؤسسة إبداع

(الأشكال19-20): جانب من فعالية الأسرى التي تضمنت تعليق الشعارات على سيارات المارة والتي نظمتها مؤسسة إبداع

(الشكل 21):الرسالة التي وزعها أطفال مؤسسة إبداع على المارة في فعالية الأسرى

(الأشكال22-23): مسابقة مؤسسة إبداع للقرى المهجرة في ذكرى النكبة

قرية عجور
عجور قرية تقع شمال غربي محافظة الخليل
حق العوده حق
غير قابل للتصرف
فلسطين

حق العوده مفتاحه أحمر لا تتنازل عنه

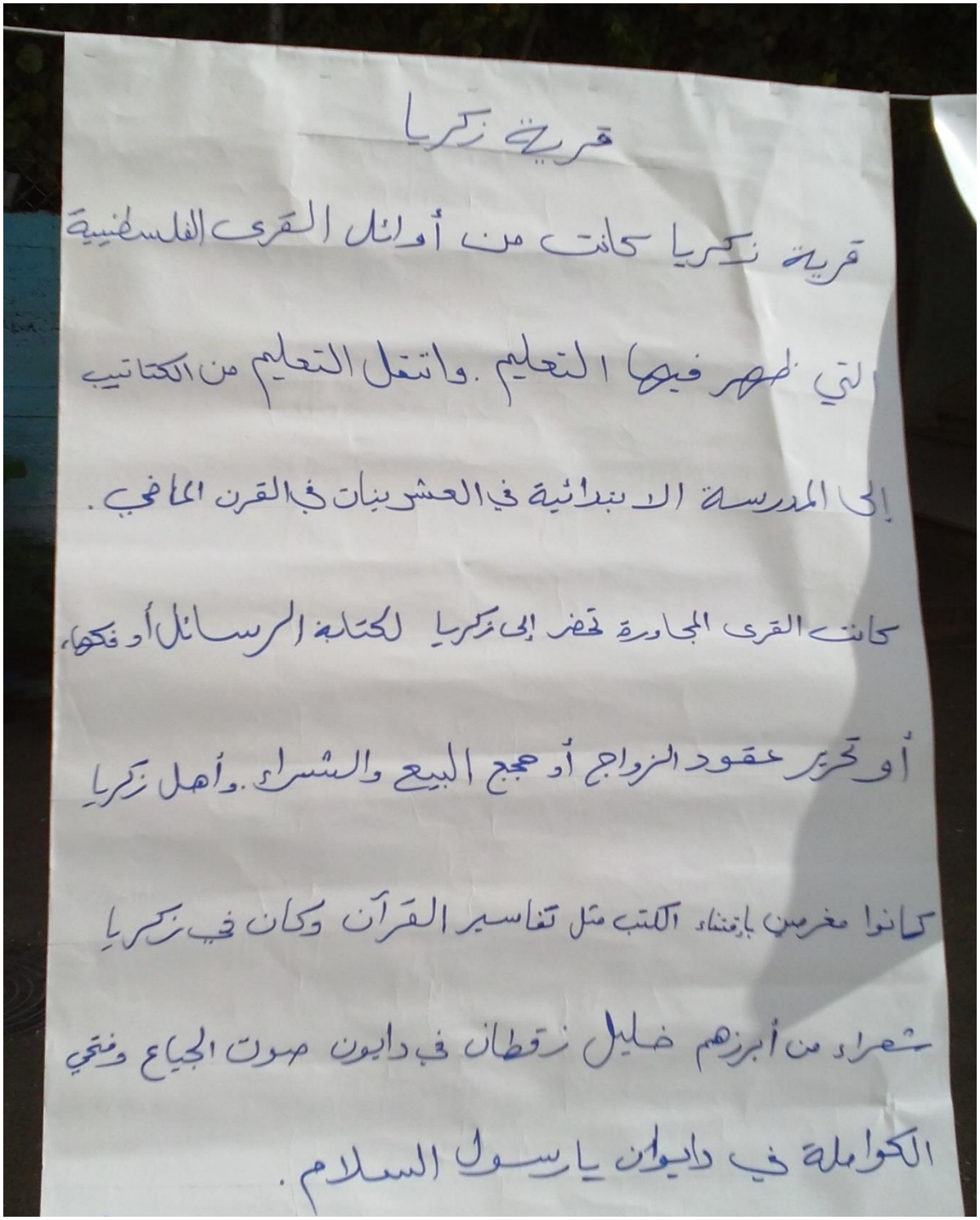

قرية زكريا

قرية زكريا كانت من أوائل القرى الفلسطينية التي ظهر فيها التعليم. وانتقل التعليم من الكتاتيب إلى المدرسة الابتدائية في العشرينات في القرن الماضي.

كانت القرى المجاورة تحضر إلى زكريا لكتابة الرسائل أو فكها، أو تحرير عقود الزواج أو حجج البيع والشراء. وأهل زكريا كانوا مغرمين باقتناء الكتب مثل تفاسير القرآن وكان في زكريا شعراء من أبرزهم خليل زقطان في ديوان صوت الجياع وفتحي الكواملة في ديوان يا رسول السلام.

(الأشكال 24-25-26): جانب من احتفال يوم التضامن مع الشعب الفلسطيني في مدرسة إناث الدهيشة الابتدائية

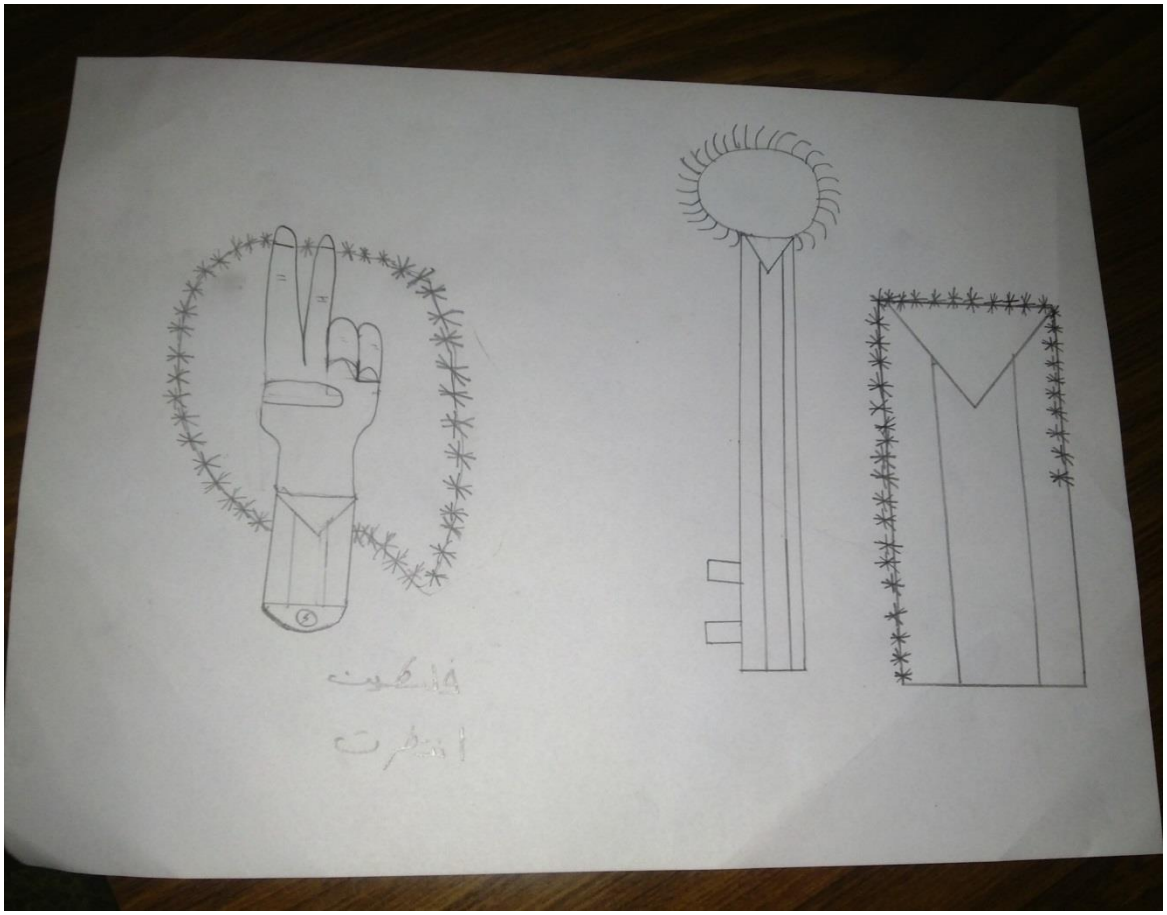

(الشكل 27): لوحة الطالب مصطفى موسى (ذكور الدهيشة الإعدادية) والتي قام برسمها في حصة الرسم حول اليد والنسب

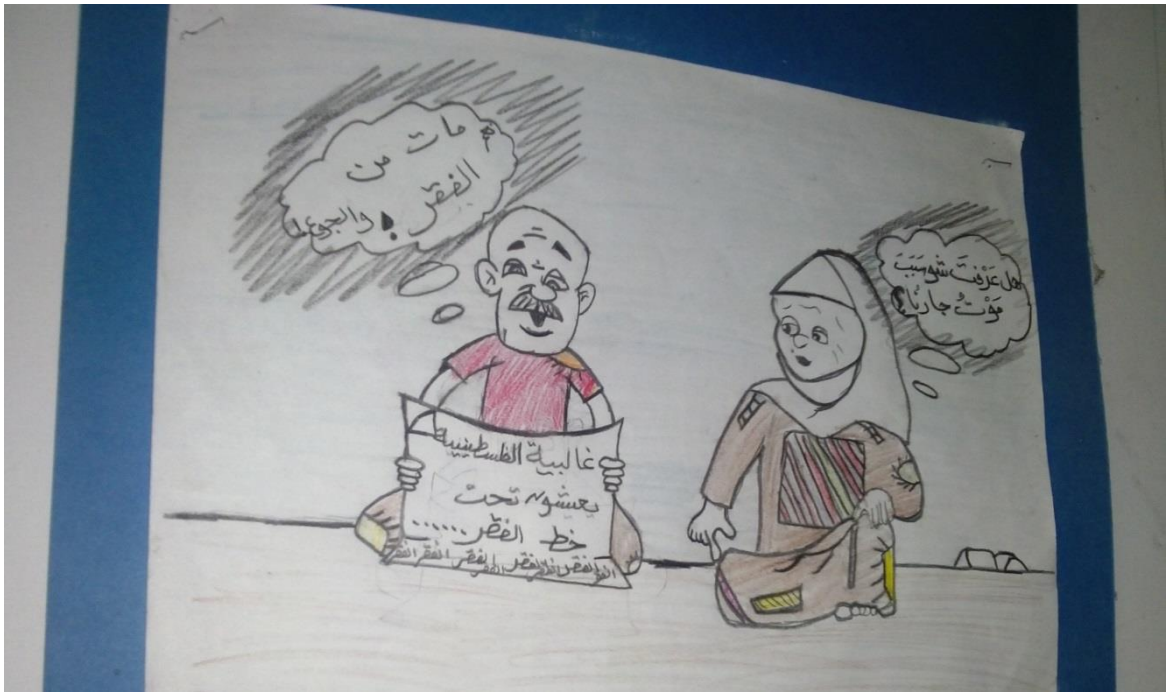

(الشكل 28): إحدى لوحات الطلبة في مدرسة ذكور الدهيشة الإعدادية

(الشكل 29): إحدى لوحات الطلبة في مدرسة ذكور الدهيشة الإعدادية

(الشكل 30): مسابقة "أجمل رسمة تعبيرية عن معاناة النكبة" التي نظمتها مؤسسة إبداع

(الشكل 31): إحدى لوحات الطلبة في حصة الرسم في مدرسة ذكور الدهيشة الإعدادية

(الشكل 32): إحدى لوحات الطلبة في حصة الرسم في مدرسة ذكور الدهيشة الإعدادية

ملحق خاص بالمقابلات (ملخص المقابلات):

يوجد في مخيم الدهيشة العديد من المراكز والمؤسسات والمدارس، وقد تم عقد مقابلات مع العديد من مدراء هذه المراكز مثل مؤسسة كرامة وليلك وإبداع، إضافة إلى مدراء المدارس، وقد قامت الباحثة بالتركيز على الفعاليات المقدمة من مؤسسة إبداع بشكل خاص، لأن المسح قصدي وليش شامل لكل المؤسسات على اختلاف ما تقدم، إذ أن ما تقدمه مؤسسة إبداع من فعاليات تعد شاملة ومنوعة وثرية وفي صلب هدف الدراسة لكونها تحتوي تعبيرات هوياتية، وكذلك الأمر بالنسبة للمدارس، إذ تم التركيز على ما تقدمه مدرسة ذكور الدهيشة الإعدادية، ومدرسة إناث الدهيشة الابتدائية، دوناً عن المدارس الأخرى، وذلك لتميزهما بوجود النشاطات والفعاليات المطلوبة على نحو مكثف نسبياً.

أما تفاصيل المقابلات التي تمت مع مدراء المدارس الأخرى: مدرسة ذكور الدهيشة الابتدائية، ومدرسة إناث الدهيشة الإعدادية فكانت كالتالي:

1- مدرسة إناث الدهيشة الإعدادية: لقد تم مقابلة مديرة المدرسة السيدة فاطمة القيسي، والتي أكدت بدورها أنه لا يتم عمل فعاليات في المدرسة بشكل دائم، ونادراً ما يتم الاهتمام بالإذاعة المدرسية. لكنها أكدت أنه من الممكن القيام ببعض الأنشطة والفعاليات وذلك في مناسبات محددة مثل ذكرى النكبة أو يوم الأرض وما إلى ذلك من مناسبات، ويتم من خلال هذه الفعاليات، تقديم بعض الكلمات والأناشيد والعروض المسرحية، كما يتم عرض بعض الأفلام ذات العلاقة أحياناً. إلا أننا لم نتمكن من التزود بأي شيء من قبل المدرسة ممثلة بمديرتها ومسؤولة الأنشطة، وذلك لسببين: لعدم وجود مواد تخص الفعاليات إذ لا يتم الاحتفاظ بها في العادة، إضافة لتخوف المديرة من التعرض للمساءلة من قبل إدارة الوكالة لظنها أن الموضوع يرتبط بأبعاد سياسية، رغم نفينا المستمر لذلك وتأكيدنا على أن الموضوع لا يرتبط بالوكالة أو سياستها، وعلى الرغم من أخذ الموافقة المسبقة من قبل مدير التعليم في الوكالة للسماح للباحثة بدخول المدارس وعمل المقابلات مع الأطراف المعنية وحضور الفعاليات، وفق ما

تقتضيه قوانين العمل في الوكالة، وعلمها المسبق بذلك. لذلك اضطررنا لاستبعاد المدرسة المذكورة من ضمن التحليل.

2- مدرسة ذكور الدهيشة الابتدائية: تم مقابلة مدير المدرسة السيد برهان العيسة، والذي أكد عدم وجود كلمات صباحية بشكل دائم ضمن برنامج المدرسة، ولا حتى فعاليات إلا في مناسبات معينة وبشكل قليل وغير دائم، أي أنها مرتبطة أكثر بحدث معين لكن دون توثيق للفعالية. كما أنه لا يوجد برلمان أو لجنة خاصة لمثل هذه الفعاليات. لكنه أكد على أن مثل هذه الفعاليات حين تتم تكون من اختيار الطلاب أنفسهم وبطريقتهم، مؤكداً أنها في معظم الأحيان تتضمن مواضيع سياسية بغض النظر عن المناسبة. هذا وقد ذكر بأنه في "ذكرى النكبة مثلاً هذا العام (2014)، الطلاب هم من قاموا بالفعالية بأنفسهم، وكل طالب جاء وهو يضع إسم بلده الأصلي على صدره وعلم فلسطين بيده...ولم أستطع فعل شيء أو منعهم".

3- مدرسة إناث الدهيشة الابتدائية: تم مقابلة مديرة المدرسة السيدة إحسان الرحال، والتي أبدت تعاوناً واهتماماً كبيرين بالموضوع لاهتمام مدرستها بكافة كوادرها بمثل هذه النشاطات، لإيمانها بأنها تحمل رسالة مهمة وقادرة على التغيير. وقد أكدت السيدة رحال على وجود لجنة ثقافية خاصة في مدرستها تعنى بكافة الأنشطة في المدرسة، إضافة لوجود كورال خاص للمدرسة بالتعاون مع مؤسسة إبداع. كما أكدت على اهتمام المدرسة بالإذاعة الصباحية والقيام بالفعاليات بشكل دائم خاصة في المناسبات المهمة مثل المناسبات الوطنية. كما أن هذه الفعاليات مقسمة بين الصفوف لضمان مشاركة جميع الطلبة بمثل هذه الأنشطة المهمة والفعالة. كما قمنا بمقابلة السيدة عادلة العزة مسؤولة الأنشطة الثقافية، والتي أبدت هي أيضاً بدورها الكثير من التعاون والتفهم لإيمانها بدور الثقافة في تشكيل الوعي لدى الطلبة، كما أكدت بأنها تهتم بوجود الدبكة الفلسطينية والتراث في معظم الفعاليات "لأنها جزء من هوية الطالبة ولكي تحافظ عليها". كما وضحت بأن الطالبة هي من تقوم باختيار الموضوع بعد أن تقوم المعلمة بتذكيرها بالحدث، وتقوم هي بتنقيح الكلمات إن لزم الأمر أحياناً. هذا وقد تم حضور بعض الفعاليات التي قامت

بها المدرسة مثل فعالية النكبة وفعالية يوم التضامن مع اللاجئين الفلسطينيين، إضافة لحضور بعض الكلمات الصباحية في أوقات متفرقة؛ في مناسبات محددة أو في عدم وجود مناسبات معينة لمعرفة طبيعة المواضيع المختارة. وجدير بالذكر أننا كنا قد اتفقنا مع مديرة المدرسة بعدم اطلاع مسؤولة الأنشطة أو الطلبة عن مواعيد زياراتنا لئلا يتم التحضير المسبق للموضوع ومحاولة مناسبته مع المناسبة لئلا يؤثر ذلك على سير التحليل ونتائجه.

4- مدرسة ذكور الدهيشة الإعدادية: تم مقابلة مدير المدرسة السيد وجيه أبو لبن، والذي أبدى تعاوناً كبيراً معنا ليظهر مدى اهتمامه واضطلاعه على الجانب الخاص بالدراسة، وإيمانه بأن المدرسة "صانعة للرجال" كما قال. ومن خلال المقابلة، أكد أبو لبن على وجود برلمان طلابي فعال في المدرسة، وعلى اهتمامهم بالجانب الثقافي بشكل كبير، من خلال القيام بالعديد من الأنشطة وفي مناسبات مختلفة وبشكل دائم، كما أكد على ضرورة وجود إذاعة مدرسية بشكل دائم وموزعة على جميع الصفوف لضمان مشاركة وتفاعل الجميع. كما أوضح بأن البرلمان يحدد الموضوع للإذاعة والنشاطات والتي ترتبط بالعادة بحدث معين. كما أنه يوجد لجان وتتكون من الطلاب والمعلمين، وهدفها الأساسي "إحياء التراث الفلسطيني".

كما بين على وجود العديد من الأنشطة الصفية والتي تكون كجزء من المنهاج وبقرار الطلاب، ويطلب أحياناً من الطلاب مثلاً بحث معين حول أي موضوع بشكل عام، ولكن الجميع أو الأغلب يميل لاختيار الجانب السياسي "وهذا أمر طبيعي بحكم طبيعة البيئة والوضع الذي يعيشه الطلاب"، يؤكد السيد أبو لبن.

أما فيما يخص الإذاعة المدرسية، فقد وضح بأنها شاملة ومتنوعة وترتبط أحياناً بحدث معين بحسب المناسبة، ولكنه أكد على اهتمامهم بتقييم الكلمة "على ألا تكون كلمات تحريضية ولا تخلق أي نزاع أو محاولة توجيه الطلاب باتجاه معين".

بعض من الفعاليات التي قامت بها المدرسة مثلا، عمل 50 مفتاح من قبل الطلبة في الذكرى ال50 للنكبة، والقيام بكتابة أسماء القرى والحديث عنها، القيام بمسابقات شعرية أو مسابقات أدبية ككتابة مواضيع تعبيرية

تخص موضوع معين وبمناسبة معينة يتم اختيارها من قبل اللجنة الثقافية المشرفة. كما تقوم المدرسة بعمل وقفات احتجاجية ومسيرات في أحداث معينة مثل التضامن مع الأسرى.

تم كذلك مقابلة السيد يوسف عدوي، وهو مدرس اللغة العربية والتربية الإسلامية ومشرف اللجنة الثقافية والإذاعة المدرسية في المدرسة. وقد أفادنا السيد عدوي كثيراً باطلاعنا على كافة الأنشطة التي تقوم بها المدرسة وتزويدنا بالعديد من المواد المهمة واللازمة وأهمها سجلات اجتماعات اللجنة الثقافية والإذاعة المدرسية، والتي سيتم تحليل مضمونها ومضمون فعالياتها المذكورة في القسم الثاني. مؤكداً على إيمانه بأن مثل هذه الفعاليات "هدفها الأساسي هو تنمية الإحساس الوطني والشعور القومي والديني والإنساني لدى طلابنا".

كما أوضح طبيعة هذه الفعاليات وقام بإعطائنا أمثلة كثيرة عليها، وإحدى هذه الفعاليات اشتملت على القيام بالتضامن مع الأسير سامر العيساوي مثلاً من خلال الطلب من الطلاب والمعلمين أن يقوموا بالصيام لمدة يومين. كما تقوم المدرسة بتأبين الشهداء والأسرى داخل وخارج المخيم، عمل مسابقات شعرية وأدبية وفنية تتعلق بالقضية وفلسطين. فمثلاً، قامت المدرسة ممثلة بطلابها، بعمل مسابقة للإلقاء على مدى شهر لتمثيل المدرسة، وأكد عدوي بأنه وفي معظم الأحيان يتم اختيار قصائد لمحمود درويش أو سميح القاسم، "لأن قصائدهم تتلاءم مع الواقع الذي نعيشه ووضع الأقصى". ولهذه المناسبة، فقد قامت اللجنة المنظمة باختيار قصيدة (أيها العابرون) لمحمود درويش، مؤكداً أنه من الممكن "أن يختار قصيدة (ليل ولاجئة) للشاعر السوداني محي الدين فارس لأنها تمثل الحال الذي نعيشه كلاجئين، ولكي نذكر طلابنا بالقضية وحق العودة والقرى، وأنه لا بد من الرجوع، لأن المخيم ليس سكنهم أو أرضهم". أما إن كان الخيار يتعلق بمحمود درويش فسيختار قصيدة (سقط القناع) أو قصيدة (خطاب في سوق البطالة) لسميح القاسم، أو لنازك الملائكة وفيما كتبته عن فلسطين. وفي ختام الحديث أكد السيد عدوي على حضور القدس والأقصى في فعالياتهم، فقد طلب من الطلاب عمل مجسمات ولوحات عن القدس، مؤكداً أنه "لو عاد الأقصى بدون زكريا (قريته الأصلية)، فلن آخذ حقوقي، ففلسطين بدون القدس لا تحل المشكلة".

هذا وقد تم حضور بعض الفعاليات التي قامت بها المدرسة مثل فعالية النكبة ويوم الاستقلال، وحضور بعض حصص الرسم لبعض الصفوف بإشراف الأستاذ وائل الحلو، إضافة إلى حضور بعض الكلمات الصباحية في أوقات متفرقة؛ في مناسبات محددة أو في عدم وجود مناسبات معينة لمعرفة طبيعة المواضيع المختارة. مع القيام بنفس الاتفاق مع مدير المدرسة والذي قمنا به مع مديرة المدرسة المذكورة سابقاً وللأسباب عينها.

5- مؤسسة إبداع لتنمية قدرات الطفل والتبادل الثقافي الدولي: تم مقابلة هشام عواد، وهو أستاذ الرياضة في مدرسة ذكور الدهيشة الإعدادية ومسؤول الفرقة الثقافية في المدرسة وفي مؤسسة إبداع، وقد أكد عواد على دوره في ربط طلاب المدرسة وأنشطتها بما تقدمه مؤسسة إبداع من أنشطة وفعاليات. كما بين الحقول التي تعمل بها المؤسسة والتي تتمثل بالدائرة الفنية وتشمل الفرقة الفنية والمسرح والكورال والكمنجاتي، والدائرة الصحية والدائرة النسوية والدائرة الشبابية والنادي الرياضي والدائرة الإعلامية.

كما أكد بأن المؤسسة تقوم بتقديم العديد من العروض المهمة والهادفة والتي تحمل الهم الوطني الفلسطيني وتجسد معاناة الشعب الفلسطيني تحت الاحتلال الإسرائيلي، مؤكداً على دور الفن في تكريس القيم الوطنية والحفاظ على الهوية. كما تحدث عن أهم عروض قدمتها الفرقة الفنية في المؤسسة في الداخل والخارج، بهدف نقل الصورة الحقيقية للشعب الفلسطيني، مشيراً إلى أن هذه العروض تحكي عن حكاية الألم الفلسطيني ولكنها تحمل الأمل أيضاً بالعودة. أما هذه العروض فتمثلت بعرض (غربة) الذي يتحدث عن الشتات الفلسطيني في جميع أنحاء العالم، وإرادة الإنسان وصلابته، والحنين الدائم للعودة إلى الوطن، إضافة إلى التأكيد على العودة إلى القرى والمدن الأصلية التي هجر منها الفلسطينيون قسراً..أما عرض (خيمة) فيتحدث عن حياة اللاجئ الفلسطيني في الشتات ومخيماته مع تمسكه بحق العودة. عرض (وصية) يتحدث عن الإنسان والأرض وعن علاقة الفلاح الفلسطيني بأرضه، ووصية الجد لأولاده بأهمية التمسك بالأرض وعدم التفريط بها أبداً. أما عرض(معتقل) فجاء ليتحدث بصوت جموع الفلسطينيين ومعاناتهم تحت الاحتلال بسبب قساوة العدو وممارساته القمعية واليومية والتي تؤثر على سير حياتهم.

المراجع

1- العربية

مقابلات

إبراهيم النجار، أحد الطلاب في مدرسة ذكور الدهيشة الإعدادية، 2014/11/16

إحسان رحال، مدير مدرسة إناث الدهيشة الأساسية/ الابتدائية، 11+16+2014/11/30

برهان العيسة، مدير مدرسة ذكور الدهيشة الأساسية/ الابتدائية، 11+2014/11/16

عادلة العزة، مسؤولة الأنشطة الثقافية،11+16+2014/11/30

فاطمة القيسي، مدير مدرسة إناث الدهيشة الأساسية/ الإعدادية، 2014/11/11

مصطفى موسى، أحد الطلاب في مدرسة ذكور الدهيشة الإعدادية، 2014/11/16

معتز أبو غالية، أحد الطلاب في مدرسة ذكور الدهيشة الإعدادية، 2014/11/16

ناجي عودة، المدير التنفيذي لمركز العمل الشبابي للتنمية المجتمعية- ليلك، 2014/11/16

هشام عواد، أستاذ الرياضة في مدرسة ذكور الدهيشة الإعدادية ومسؤول الفرقة الثقافية في المدرسة وفي مؤسسة إبداع، 11+16+2014/11/30

وائل الحلو، مدرس الرسم/ ذكور الدهيشة الإعدادية، 2014/11/16

وجيه أبو لبن، مدير مدرسة ذكور الدهيشة الأساسية/ الإعدادية، 11+16+2014/11/30

ياسر عبد الغفور، مدير مؤسسة كرامة لتنمية الطفل والمرأة، 2014/11/16

يوسف عدوي، مدرس اللغة العربية والتربية الإسلامية ومشرف اللجنة الثقافية والإذاعة المدرسية، 11+16+2014/11/30

كتب

أبو دحو، رلى وآخرون. *أمكنة صغيرة وقضايا كبيرة- ثلاثة أحياء فلسطينية في زمن الاحتلال*. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، كانون الثاني/ يناير 2010، 95.

زينة، علاء الدين، ترجمة، إدوارد سعيد. *الثقافة والمقاومة*. بيروت: دار الآداب، 2007.

الحصري، ساطع. "ما هي القومية- أبحاث ودراسات على ضوء الأحداث والنظريات." *سلسلة التراث القومي: الأعمال القومية لساطع الحصري*. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد 13، 1985. (ص53)

الدروبي، سامي، وجمال الأتاسي، ترجمة، فرانز فانون. *معذبو الأرض*. بيروت: قدمس للنشر والتوزيع، 2009.

الراضي، مجيد، ترجمة، إيرنست غيلنر. *الأمم والقومية*. دمشق: دار المدى للثقافة والنشر، 1999. (ص15- 23-24)

السقا، أباهر. "دراسة سوسيولوجية عن الهوية الاجتماعية للشباب الفلسطيني في مخيمين فلسطينيين." في: *اللاجئون الفلسطينيون: حقوق وروايات وسياسات*، 199، 203، 204، 205، 212. بيرزيت: معهد إبراهيم أبو لغد للدراسات الدولية، وحدة الهجرة القسرية واللاجئين، جامعة بيرزيت، 2011.

الصاوي، علي، ترجمة، مايكل ثامبسون وآخرون. *نظرية الثقافة*. الكويت: كتاب عالم المعرفة، 1997، 9

العونلي، ناجي، ترجمة، هيجل. *فينومولوجيا الروح*. بيروت: المنظمة العربية للنشر، 2006

المالكي، مجدي. "التحول في الهوية السياسية للاجئي المخيمات في الضفة الغربية وقطاع غزة." في: *اللاجئون الفلسطينيون: حقوق وروايات وسياسات*، 194. بيرزيت: معهد إبراهيم أبو لغد للدراسات الدولية، وحدة الهجرة القسرية واللاجئين، جامعة بيرزيت، 2011.

بركات، حليم. *المجتمع العربي في القرن العشرين- بحث في تغير الأحوال والعلاقات*. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، تموز/ يوليو 2000. (ص62)

بن نعمان، أحمد. *الهوية الوطنية الحقائق والمغالطات.* الجزائر: شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشروالإشهار، 1995. (ص21).

حسين صالح، قاسم. *في سايكولوجية الفن التشكيلي: قراءات تحليلية في أعمال بعض الفنانين التشكيليين.* بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 1990. (ص42).

حنفي، ساري. "إدارة مخيمات اللاجئين في لبنان: حالة الاستثناء والبيوسياسية (bio- politics)." في: تجليات الهوية– الواقع المعاش للاجئين الفلسطينيين في لبنان، 74. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية والمعهد الفرنسي للشرق الأدنى (IFPO)، 2010.

دراج، فيصل. *الهوية، الثقافة، السياسة– قراءة في الحالة الفلسطينية.* الأردن: دار أزمنة، كانون ثاني/ يناير، 2010.(8، 9، 34، 25، 42، 43، 46، 50، 52، 98)

_____. *ذاكرة المغلوبين الهزيمة والصهيونية في الخطاب الثقافي* الفلسطيني. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2002. 82، 108، 109

_____. "فلسطين: الهوية والثقافة،" عن *مؤسسة ياسر عرفات*. رام الله، شركة مؤسسة الأيام، الكتابالسنوي، العدد 2، كانون الثاني/ يناير، 2012. (50، 52، 54، 57، 62).

درويش، محمود. *قصيدة طباق إلى إدوارد سعيد من ديوان كزهر اللوز أو أبعد.* بيروت: مؤسسة رياض الريس للنشر والتوزيع، أيلول/ سبتمبر 2015)، 183، 184

ديب، ثائر، ترجمة، بندكت أندرسون. *الجماعات المتخيلة... تأملات في أصل القومية وانتشارها*. بيروت:قدمس للنشر والتوزيع، 2009. (26، 28، 31، 45، 52، 55، 64، 65، 143، 144، 145)

زريق، إيليا. *اللاجئون الفلسطينيون والعملية السلمية.* بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1997.(ص14، 16)

زريق، قسطنطين. "معنى النكبة 1948." في *الأعمال الفكرية العامة للدكتور قسطنطين زريق.* بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، المجلد الأول، 1994، 17.

سيف، محمد عبد الحميد. *حق اللاجئين الفلسطينيين في العودة والتعويض في ضوء أحكام القانون الدولي العام*. بيروت: الدار العربية للعلوم- ناشرون، 2002. (47، 48، 49)

عزم، أحمد جميل، تحرير. "كيف ندرس الهوية." في*نجمة كنعان- المقاومة المدنية والثقافية الفلسطينية- معركة الهوية*. عمان: دار فضاءات للنشر والتوزيع، 2011

كناعنة، شريف. *دراسات في الثقافة والتراث والهوية*. رام الله: مواطن، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، مؤسسة ناديا للطباعة والنشر والإعلان والتوزيع، 2011. (ص46، 47، 48، 386، 397، 398، 416، 417، 449، 450)

محسن، نبيل، ترجمة، أمين معلوف. *الهويات القاتلة "قراءات في الانتماء والعولمة."* دمشق: دار الحصاد للطباعة والنشر والتوزيع، 1999. 7، 8، 16

محفوظ، محمد. *الحضور والمثاقفة- المثقف العربي وتحديات العولمة*. بيروت: المركز الثقافي العربي، 2000. (ص19).

محمد، زكريا. *في قضايا الثقافة الفلسطينية*. عن مواطن، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية. رام الله: مؤسسة ناديا للطباعة والنشر والإعلان والتوزيع، 2002. (ص 35، 36).

محمد صالح، محسن وآخرون، *أوضاع اللاجئين الفلسطينيين في لبنان*. بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2008.

مسلماني، مليحة. *النكبة في الخطاب الثقافي الفلسطيني- الفن التشكيلي نموذجاً*. بيت لحم: بديل- المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين، 2007. (9، 10، 11)

هلال، جميل. *النظام السياسي الفلسطيني بعد أوسلو: دراسة تحليلية نقدية*. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية بالاشتراك مع مواطن- المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، 2006.

الرسائل الجامعية

أبو رحمة، عماد الدين محمد. "أثر عملية التسوية السياسية على الهوية الفلسطينية– دراسة لاتجاهات طلبة الجامعات الفلسطينية بقطاع غزة." *رسالة ماجستير*. غزة: جامعة الأزهر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، دراسات الشرق الأوسط، 2011): 16.

العجاتي، محمد أحمد. "أزمة الهوية في الفكر السياسي العربي: دراسة مقارنة في رؤى حسن حنفي ومحمد عابد الجابري. " *رسالة ماجستير*. القاهرة: جامعة القاهرة، 2001. (ص14).

بركان، إكرام. "تحليل النزاعات المعاصرة في ضوء مكونات البعد الثقافي في العلاقات الدولية." *رسالة ماجستير*. الجزائر: جامعة الحاج لخضر باتنة، كلية الحقوق، قسم العلوم السياسية فرع الدبلوماسية والعلاقات الدولية، 2010. (ص11، 49، 50، 52، 53، 55، 71، 72، 78، 81، 84.)

نوري، عزيز. "الواقع الأمني في منطقة المتوسط– دراسة الرؤى المتضاربة بين ضفتي المتوسط من منظور بنائي." *رسالة ماجستير*. الجزائر: جامعة الحاج لخضر– باتنة، 2012.

دوريات

أبو زيد، أحمد محمد. "الثورة والسياسة الخارجية المصرية الاستمرارية والتغير. "*كراسات استراتيجية*– صادرة عن مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، العدد 229 (2012): 16.

أبو ندا، أشرف صقر. "الهوية الفلسطينية المتخيلة بين التطور والتأزم." *مجلة المستقبل العربي*– صادرة عن مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد 423 (أيار/ مايو 2014): 81، 82، 83، 84، 85، 88

الرفيدي، وسام. "الهوية الوطنية الفلسطينية بعد اتفاقية أوسلو: إشكالية التفكيك برسم النظام!." *جريدة حق العودة*– صادرة عن بديل– المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين، بيت لحم، العدد 45 (تشرين الأول 2011): 8.

الزين، صابرين. *هوية اللاجئين في ثقافتهم ولغتهم المحكية: بحث مقارن ما بين الجيل الثاني والثالث للنكبة، مخيم الجلزون نموذجاً*. فلسطين: بديل–المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين، 2007. (ص7– 10–13–14–15)

العزة، مهند. "فن المقاومة." *جريدة حق العودة– صادرة عن* بديل– المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين، بيت لحم، العدد 37 (شباط 2010): 10

القلقيلي، عبد الفتاح، وأحمد أبو غوش. *الهوية الوطنية الفلسطينية: خصوصية التشكل والإطار الناظم*. بيت لحم: بديل– المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين، ورقة عمل رقم 13، نيسان 2012. (ص 9، 10، 11، 12، 14، 17، 18، 20، 26، 29، 30، 32، 37، 39، 40، 42، 43، 45)

المصري، خالد. "النظرية البنائية في العلاقات الدولية." *مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية*، دمشق: جامعة دمشق، العدد 2، المجلد 30 (2014): 317.

الياس، رانيا. "دور الثقافة في حماية الهوية وتعزيز المقاومة والصمود." *جريدة حق العودة– صادرة عن* بديل– المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين، بيت لحم، العدد 37 (شباط 2010): 10.

براشاد، فيجاي. "الأهمية المركزية للعمل الثقافي: تهيئة المناخ للكفاح المتواصل ضد الاضطهاد." *جريدة حق العودة– صادرة عن* بديل– المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين، فلسطين– بيت لحم، العدد 37 (شباط 2010): 9.

حلواني، فادية المليح."تجليات ثقافة المقاومة في الشعر العربي المعاصر." *مجلة العلوم الإنسانية*، جامعة محمد خيضر بسكرة، دمشق، جامعة دمشق– كلية الآداب والعلوم الإنسانية (2005): 2، 3، 5.

خير، فاطمة. "البعد الدولي لقضية اللاجئين."*مجلة صامد الاقتصادي*، الأردن: دار الكرمل للنشر والتوزيع، العدد 105 (1996): 142.

"دليل مخيم الدهيشة." فلسطين– القدس: إعداد معهد الأبحاث التطبيقية– أريج (2010): 4، 11.

سعيد، محمود. *لاجئو الداخل*. رام الله: مركز اللاجئين والشتات الفلسطيني (شمل)، سلسلة دراسات 13، 1999. (ص10).

شلبي، محمد. "دور الثقافة في هندسة العلاقات الدولية." *الموقع الإلكتروني للمركز المغربي متعدد التخصصات للدراسات الاستراتيجية والدولية CMIESI*، مقالات وتحاليل، فاس، 344 http://www.cmiesi.ma/acmiesi/ar/notes_hal.php?id=21

صايغ، روز ماري. *تجسيدات الهوية لدى مخيمات اللاجئين الفلسطينيين- رؤية جديدة لـ "محلي" و"الوطني"*. بيت لحم- فلسطين: بديل- المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين، تشرين الثاني، 2009. (ص 21)

ضاهر، مسعود. "النهضة العربية والنهضة اليابانية: تشابه المقومات واختلاف النتائج." *عالم المعرفة*، عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 252 (ديسمبر 1999): 113.

عوض، أحمد. "ثقافة المخيم الفلسطيني في الأردن." ورقة عمل مقدمة لمؤتمر الهوية والثقافة الوطنية ودورهما في الإصلاح والتحديث، عن الموقع الرسمي لمركز الثريا للدراسات والاستشارات والتدريب (الأردن): 4. http://www.thoriacenter.org/project_details.asp?id=99&cat=10

عوكل، طلال. "واقع ومستقبل الثقافة الوطنية الفلسطينية." *مجلة الدراسات الفلسطينية*، بيروت: المجلد 14، العدد 56 (خريف 2003): 7.

قراقع، عيسى. "استراتيجية الدفاع عن النفس أمام سياسة النفي والإلغاء." *جريدة حق العودة- صادرة عن* بديل- المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين، بيت لحم، العدد 37 (شباط 2010): 2.

كناعنة، شريف. "المفاهيم الأساسية للثقافة." في*الثقافة، الهوية والرؤيا*، إياد البرغوثي، محرر، وقائع مؤتمر الثقافة الفلسطينية في الداخل: ستون عاماً على النكبة : التحدي و الإنتماء .. الواقع والرؤيا. عكا: الأسوار للتنمية الثقافية والاجتماعية، 2007.

مدرسة ذكور الدهيشة الأساسية، "سجل اجتماعات اللجنة الثقافية والإذاعة المدرسية." الأعوام الدراسية: 1996- 1997/ 1997- 1998/ 1998- 1999/ 1999- 2000/ 2000- 2001.

مدرسة ذكور الدهيشة الأساسية، "سجل اجتماعات اللجنة الثقافية والإذاعة المدرسية." الأعوام الدراسية: 2000- 2001.

مصالحة، نور الدين. "الذاكرة الجماعيّة: المقاومة المحلّيّة والنضال من أجل العودة."*مجلة جدل*، حيفا: مدى الكرمل- المركز العربيّ للدراسات الاجتماعيّة التطبيقيّة، العدد 3 (أيار 2009).

مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، حالة اللاجئين في العالم، خمسون عاماً من العمل الإنساني،اتفاقية الأمم المتحدة للاجئين لسنة 1951. القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، الطبعة الأولى، 2000، 23.

منيف، عبد الرحمن. "الثقافة الوطنية واقع وتحديات."في *قضايا وشهادات (كتاب دوري)*،دمشق: مؤسسةعيبال للدراسات والنشر، ع 6، شتاء 1992، 17.

ميعاري، محمود. "اللاجئون وغير اللاجئين في الضفة الغربية وقطاع غزة: هوية واحدة أم هويتان مختلفتان؟، "*ورقة مقدمة لورشة عمل بيرزيت حول الهوية* (بيرزيت: معهد إبراهيم أبو لغد للدراسات الدولية، وحدة الهجرة القسرية واللاجئين، جامعة بيرزيت، 2011)، 7.

نصار، عصام. "إشكاليات كتابة تاريخ الهوية الفلسطينية." *مجلة الكرمل*، فلسطين: مؤسسة الكرمل الثقافية، العدد 63 (ربيع 2000): 248.

وايلز، ريتش. "الفن المقاوم: التربية المقاومة من خلال الفنون والثقافة الشعبية في مخيمات اللاجئين في بيت لحم." *جريدة حق العودة- صادرة عن* بديل- المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين، بيت لحم، العدد 37 (شباط 2010): 14.

وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى، بيان صادر إلى طواقم العاملين في الضفة الغربية/ تعميم رقم 2015 /13 /WB خاص بموضوع "حيادية العاملين، وعند استخدام وسائل التواصل الاجتماعي". صادرة عن مكاتب رئاسة الأونروا- القدس، 17 أيلول 2015، 1.

وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى، عن الأونروا. صادرة عن دائرة العلاقات الخارجية والاتصال– الأونروا– القدس، 2012، 4.

ونوس، سعد الله. "الثقافة الوطنية والوعي التاريخي." في *قضايا وشهادات (كتاب دوري)*، دمشق: مؤسسة عيبال للدراسات والنشر،ع 4، خريف 1991)، 5.

ندوات ومؤتمرات

السقا، أباهر. "الهوية الاجتماعية الفلسطينية: تمثلاتها المتشظية وتداخلاتها المتعددة." *سلسلة وقائع المؤتمر السنوي الثاني (1)– التجمعات الفلسطينية وتمثلاتها ومستقبل القضية الفلسطينية– المحور الأول: الفلسطينيون...الهوية وتمثلاتها– الجلسة الثانية– الهوية الاجتماعية*. عن المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الاستراتيجية– مسارات. رام الله: مؤسسة الناشر للدعاية والإعلان، أيار/ مايو 2013. (ص41، 42، 43).

الشيخ، عبد الرحيم. "الهوية الثقافية الفلسطينية..."المثال" و"التمثيل" و"التماثل"." في سلسلة وقائع المؤتمر السنوي الثاني (1)– *التجمعات الفلسطينية وتمثلاتها ومستقبل القضية الفلسطينية*– المحور الأول: الفلسطينيون...الهوية وتمثلاتها– الجلسة الثالثة–الهوية الثقافية. عن المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الإستراتيجية – مسارات، فلسطين– رام الله: مؤسسة الناشر للدعاية والإعلان، أيار/ مايو 2013. (ص70، 71،72، 73،77، 78، 79)

عديلة، معتصم خضر. "تجليات الحب والكراهية في الأغنية الفلسطينية." مؤتمر فيلادلفيا الدولي الثالث عشر (*ثقافة الحب والكراهية*). جامعة القدس– فلسطين، كلية الآداب والفنون/ جامعة فيلادلفيا، 27– 29 تشرين أول 2008. (ص2، 3، 4، 6، 7، 11، 20، 21).

مصرية، نورما. "ذاكرة الزمان والمكان: اللاجئ الفلسطيني ما بين الهوية المتخيلة والهوية الحقيقية." بحوث *المؤتمر الذي عقده مركز دراسات التراث والمجتمع الفلسطيني في جمعية إنعاش الأسرة بعنوان الهوية الفلسطينية إلى أين؟*. البيرة، 2008): 62، 63.

تقارير ومواقع إلكترونية

الموقع الالكتروني لجامعة منيسوتا– مكتبة حقوق الإنسان، الاتفاقية الخاصة بوضع اللاجئين، مجموعة صكوك دولية، المجلد الأول، الأمم المتحدة، نيويورك، 1993، 892

الموقع الإلكتروني لوكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى:

http://www.unrwa.org/ar/where-we-work/%D8%A7%D9%84%D8%B6%D9%81%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%BA%D8%B1%D8%A8%D9%8A%D8%A9/camp-profiles?field=3275&qt-view_camps_camp_profiles_block=8#qt-view_camps_camp_profiles_block

الموقع الإلكتروني لوكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى، الرئيسية، أين نعمل، الضفة الغربية، ملف المخيمات، مخيم الدهيشة للاجئين:

http://www.unrwa.org/ar/where-we-work/%D8%A7%D9%84%D8%B6%D9%81%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%BA%D8%B1%D8%A8%D9%8A%D8%A9/camp-profiles?field=3275&qt-view_camps_camp_profiles_block=8#qt-view_camps_camp_profiles_block

الموقع الإلكتروني لوكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى، الرئيسية، من نحن، اللاجئين الفلسطينيين:

http://www.unrwa.org/ar/%D8%A7%D9%84%D9%84%D8%A7%D8%AC%D8%A6%D9%8A%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%84%D8%B3%D8%B7%D9%8A%D9%86%D9%8A%D9%8A%D9%86

2–الأجنبية

Books

Almond, Gabriel A. and Sidney Verba. *The Civic Culture: Political Attitudes and Democracy in Five Nations*. California: Newbury Park, Sage publication, Inc., 1989.

Axt, Heniz Jürgen, Milososki, Antonio, and Oliver Schwarz.*Conflict– a literature review.*University of Duisburg-Essen: Department of Social Sciences Institute for Political Science: Published by GanipGunawan, 23rd February 2006. (P3)

Howard Ross, Marc. ed. Mark Irving Lichbach&Alan S. Zuckerman. *Comparative Politics- Rationality, Culture, and Structure/ Culture in Comparative Political Analysis.*Cambridge- New York: Cambridge University Press, 2nd Edition, 2009. (P 136, 137, 142, 142, 148)

Kenneth W. Thompson, rev., Morgenthau, Hans J, *Politics Among Nations: The Struggle for Power and Peace.* Boston: Mc Graw- Hill Education, 7th Ed., 2005. (p 9)

Khalidi, Rashid. *Palestinian Identity: The Construction of Modern National Consciousness*. New York: Columbia University Press, 1997.

Khalili, Laleh. *Heroes & Martyrs of Palestine, The Politics of National Commemoration*. Cambridge: Cambridge University Press, 2007. (p1, 2)

Kier, Elizabeth. *Imagining War: French and British Military Doctrine between the Wars*. New Jersey: Princeton University Press, 1997.

Litvak, Meir, ed. Introduction: Collective Memory and the Palestinian Experience, in Meir Litvak, *Palestinian Collective Memory and National Identity*. New York: Palgrave Macmillan, 2009. (p 2, 7, 8)

Onuf, Nicholas. *Rule and Rules in International Relations.* Erik Castrén Institute of International Law and Human Rights: University of Helsinki, 24 April 2014.

Viotti, Paul and Mark Kuppi. *International Relations Theory*. London: Pearson Eduction, Inc., 5th ed, 2011, P. 389.

Wendt, Alexander. *The Social Theory of International Politics.* Cambridge- London: Cambridge University Press, 1999.

Periodicals

An Interview with Laleh Khalili by Forum staff on November 20, 2014, From the website of "The Fletcher Forum Of World Affairs", The Fletcher School, TUFTS University http://www.fletcherforum.org/2014/11/20/khalili/

Barnett, Michel. "Social constructivism." In *The globalization of world politics*, edited by, Jhon Bayliss and Steve Smith, 259. Oxford: Oxford University Press, 3rd ed., 2008.

KARACASULU, Nilüfer, and Elif UZGÖREN. "Explaining social constructivism contributions to security studies." Perceptions, *Journal of International Affairs*, (Summer, Autumn, 2007): 32.

Walt, Stephen M.. "International Relations: One World, Many Theories." *Foreign Policy*, No. 110, Special Edition: Frontiers of Knowledge, published by Carnegie Endowment for International Peace (Spring, 1998): 40- 41- 42.

Wendt, Alexander. "Anarchy is what States Make of it: The Social Construction of Power Politics." *International Organization,* Vol. 46, No. 2. (Spring, 1992): 393.

_____. "Constructing International Politics." *International Security*, Vol. 20, No. 1. (Summer, 1995): 72, 73.